

الندوات والمؤتمرات (٦)

أبحاث ودراسات

الندوة التي أقامها المركز بالشراكة مع
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم احتفاء بالعربية في يومها العالمي

أبحاث ودراسات

الندوة التي أقامها المركز بالشراكة مع

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
بجامعة القصيم

احتفاء بالعربية في يومها العالمي

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language



أبحاث ودراسات

الندوة التي أقامها مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية بالشراكة مع
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
بجامعة القصيم
احتفاء بالعربية في يومها العالمي ١٨/ديسمبر/٢٠١٤م
الموافق ٢٦/صفر/ ١٤٣٦هـ

الطبعة الأولى
الرياض
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

أبحاث ودراسات: السجل العلمي للأبحاث المقدمة في الندوة التي أقامها
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية بالشراكة مع
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية في جامعة القصيم
(٢٦ / صفر / ١٤٣٦ هـ - ١٨ / ديسمبر / ٢٠١٤ م).
/مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية .- الرياض، ١٤٣٦ هـ

٢٨٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم - (الندوات والمؤتمرات؛ ٦)

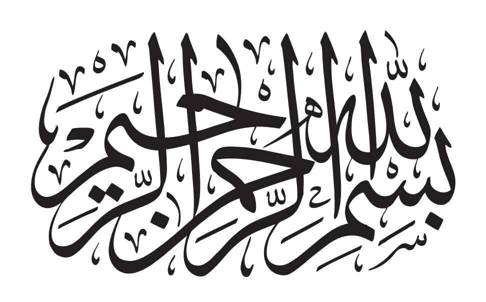
ردمك: ٤-٨-٩٠٦٤٠-٦٠٣-٩٧٨

١- اللغة العربية - ندوات ٢- اللغة العربية - بحوث
أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٤١٠,٦٣ ١٤٣٦/٣٩٥٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٩٥٢

ردمك: ٤-٨-٩٠٦٤٠-٦٠٣-٩٧٨



كلمة المركز

تتكامل الأنشطة والبرامج في مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية فيما يحقق رؤيته العامة في دعم الأفراد والمؤسسات التي تعمل في خدمة اللغة العربية، وإيجاد حالة إيجابية من العمل المشترك، والتواصل البرامجي والمعرفي؛ تحقيقاً لأهدافه وسياساته العامة وتمثيلاً للاسم الكريم الذي يتشرف بحمله، واللغة الكريمة التي يخدمها.

وبدعم من معالي المشرف العام وزير التعليم العالي ورؤية مجلس أمنائه وضع المركز خطته في العمل ضمن دوائر دولية متعددة، منها: تفعيل الجهود المؤسساتية السعودية لمواكبة الحدث الدولي في الاحتفاء باللغة العربية الذي يأتي في ١٨ ديسمبر من كل عام، ويوافق يومها العالمي لعام ١٤٣٦هـ (يوم ٢٦ صفر)، ويخطط المركز لتكون المناسبة منبراً لإطلاق المبادرات، وتقييم الجهود، والنقاش العلمي، وأن يكون يوماً من الاحتفاء بسنة من الإنجاز السابق أو التهيؤ لعام قادم؛ لا أن تكون للاحتفاء الخطابي المجرد.

ويمثل اليوم العالمي للغة العربية مساراً من المسارات الرئيسة التي ينشط فيها المركز لتتكامل مع مساراته الأخرى في النشر والتعاون الدولي والتخطيط اللغوي والمشروعات العلمية والمؤتمرات وغيرها؛ إذ تعد اللغة العربية من أقدم لغات العالم استخداما وأطولها عمرا، كما أنها من أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين، وتستمد خلودها

وانتشارها من كونها لغة للقرآن الكريم الذي يتصل به خُمُس العالم من خلال استخدام بعض كلماتها في الشعائر الدينية اليومية الرئيسة، إضافة إلى أنها لغة يتصل بها كثيرون لأسباب قومية أو ثقافية أو علمية.

وقد اقترح المركز على منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) موضوع (الحرف العربي) ليكون الموضوع الرئيس للاحتفاء؛ وذلك لتوحيد الجهود، وإبرازها على المستويين المحلي والعالمي، والعناية بهذا المسار اللغوي المهم، وقد أقرت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية هذا الموضوع وجرى إعلانه دوليا.

ويأتي اختيار المركز لموضوع الحرف العربي لما يمثله من قيمة رمزية للغة العربية، حيث يُنظر إلى الحرف من الزوايا الجمالية والثقافية والتاريخية، إضافة إلى أنه يمثل حلقة الوصل بين اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى مما مكّن للحرف العربي الدخول في تكوينها في مختلف الثقافات والحضارات البشرية.

ولقد كان من أهم مجالات التعاون والشراكة في برامج الاحتفاء: الشراكة مع كليات اللغة العربية ومعاهد تعليمها وأقسامها؛ لتنفيذ ندوات علمية متخصصة مع برامج رديفة، حيث وضع المركز الإطار العلمي العام والغطاء المالي، وترك لهذه الجهات الأكاديمية بخبرتها العلمية ورؤيتها المتخصصة جميع التفاصيل من اختيار العنوانات، والباحثين، ومراجعة البحوث، وتحريرها، وتدقيقها لغويًا، وإعداد

الكتب، وتهيئتها للنشر، بحيث يكون العمل تكاملياً في خدمة اللغة العربية، مع ما رافق هذه الندوات من أجواء معرفية، بحيث تصبح المناسبة مجالاً لتقويم الجهود، وإعادة مناقشة المناهج، واختبار المسيرة، وهو ما يدفعنا إلى تقديم مزيد من الشكر والتقدير للجهود الجادة التي واكبت التحضير لها أو انعقادها.

ويمثل هذا الكتاب واحدا من ثمرات الشراكة مع الجامعات في هذا اليوم العالمي، وإننا لنشكر كل من أسهم فيه بالجهد الإداري والعلمي، ونرجو أن تكلل هذه الجهود بالنجاح والتوفيق.

وفق الله الخطى، وسدد الآراء في خدمة لغتنا الشريفة.

الأمين العام

د.عبدالله بن صالح الوشمي

نـــــدوةُ

قضايا المصطلح

التي أقيمت احتفاءً باللغة العربية في يومها العالمي

٢٦/صفر/١٤٣٦هـ الموافق ١٨/ديسمبر/٢٠١٤م

بالشراكة بين

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

وكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

قسم اللغة العربية وآدابها

قائمةُ الأوراقِ العلميَّةِ المقدَّمةِ في النّدوةِ

م	الورقة العلمية	مقدمها
١	المصطلح: بين المفهوم، والمقتضى	د/ حسن فهد الهويمل
٢	إشكالات تلقي المصطلح في المدوّنة النقدية العربية بين اللسانيات والبنيوية	د/ سعيد شوقي سليمان
٣	الحجاج بين بلاغتين: دراسة في المصطلح	د / السيد عبدالسميع حسونة
٤	تعدد المصطلح النحوي ومحاولات نقده في العصر الحديث	د / سليمان يوسف خاطر
٥	أزمة المصطلح اللساني في العربية: «لسانيات النص»	د/ أحمد عبدالرحمن حسانين
٦	ما لايسع المحقق جهلو من مصطلحات (التحقيق) ورموزه	د/ عمار أمين الدّدّو
٧	أثر الترجمة في اختلاف المصطلحات في العربية	د/ سالم عبيد القرارعة ود / محمد عبد القادر عبد الله أحمد
٨	نعوت البلاغة، دراسةٌ في المصطلح	د/ إبراهيم عبدالعزيز زيد
٩	المصطلح اللغوي: الإشكاليات ومعالجتها	د / علاء رمضان عبد الكريم أحمد

تحرير

د / إبراهيم عبدالرحمن المطوّع

جلسات الندوة

الجلسة	إدارة الجلسة	المتحدثون	عنوان الورقة
الأولى من الساعة ٩- ١٠ص	د/ إبراهيم البطشان	د / حسن الهويمل د / سعيد شوقي د/ السيد حسونة	المصطلح: المفهوم، والمقتضى إشكالات التلقي في المدوّنة النقدية الحديثة الحجاج بين بلاغتين: دراسة في المصطلح
الثانية من الساعة ١٠- ١١ص	أ.د/ إبراهيم الحندود	د / سليمان خاطر د / أحمد حسانين د/ عمار الددو	التعدد في المصطلح النحوي وأثره على المتعلم أزمة المصطلح اللساني في العربية: «لسانيات النص» مصطلحات (التحقيق) ورموزه: إشكالات وحلول
الثالثة من الساعة ١١ -١٢ ظ	د/ عبدالله الغفيص	د/ سالم القرارعة ، ود/محمد عبدالقادر د/ إبراهيم زيد د/ علاء رمضان	أثر الترجمة في اختلاف المصطلحات في العربية نعوت البلاغة، دراسةٌ في المصطلح المصطلح اللغوي: الإشكاليات ومعالجتها

كلمة العميد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، وبعد :

فإن اللغة العربية تمرّ في عصرنا الحاضر برياح عاصفة، تريد أن تغيّر من ملامح بنيتها؛ بسبب ما يشهده العالم من تقارب كبير، أبرزها العالم التقني الذي مازج الأجناس البشرية بعضها ببعض، وأصبحت اللغة الأم تمرّ بمنعرج خطير، بفضل الإقبال الكبير من أبناء هذا الجيل على هذه الوسائل التقنية الحديثة، وهم العنصر المؤثر في امتداد اللغات، وحياتها، وانتشارها .

ولا يخفى أنّ من أهم أعظم وسائل الحفظ للغة العربية هو نزول القرآن الكريم بها، لكن يظل التأثر والتأثير على أصول هذه اللغة حاضرًا مع قرب الأجيال وبعدها عن المنبع الثر لها، الذي يعدّ رافدًا، يقوّم ألسنتها، ويجوّد ألفاظها عن العامي، واللغات الأخرى .

ومن هذا المنطلق قام قسم اللغة العربية وآدابها بالمشاركة في محور من محاور الاحتفاء باللغة العربية، من لدن مركز الملك عبدالله العالمي لخدمة اللغة العربية، فاختار محور المصطلح، الذي يعدّ من العناصر المؤثرة في هذا العصر، في ظل التطور التقني الكبير، وظهور كثير من المصطلحات العلمية، في الدراسات الإنسانية الحديثة، فكانت هذه الورقة المقدمة في هذا الكتاب؛ لتعالج جانبًا من جوانبه المتعددة، وتقدم نظرة في بعض منعطفاته القديمة والحديثة، آملين أن تكون لبنة ذا قيمة في البحث العلمي، تحلّ مشكلاً، أو تفتح أفقًا .

أ.د. علي بن إبراهيم السعود

عميد كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

بحـــوث الندوة

المصطلح بين المفهوم والمقتضى..!

د. حسن بن فهد الهويمل

ذلكم العنوان الذي اخترته لهذه المناسبة اللغوية، قريب من موضوع (جائزة الملك فيصل العالمية) لعام ١٤٢٨هـ، وهو من أخطر الموضوعات، وأهمها، وأجدرها بمزيد من العناية والتذكير، وإنْ لم تكن مثل هذه القضية حاضرة المشاهد الإعلامية، والأدبية.إذْ الناس يمرُّون بمثل هذه الإشكاليات، ولا يعرجون عليها.

واشكالية المصطلح ستظل قائمة، ما بقي الجدل، والاجتهاد. وقد نفلها المصطلون بحرها عصارة أفكارهم، ولما تنتهي جدليتها، والمقاربة لا تراهن على الحسم، ولكنها تثير كوامن القدرات، وتستدرج حملة الهم لمزيد من الجدل، سعيا وراء اثراء المشهد.

و(مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية) حين يحتفي مثل هذه الظواهر، ويطرحها في هذه المناسبة، بمؤازرة من قسم اللغة العربية بالجامعة،فإنه يعرف مدى أهمية مثل هذه القضايا، وخطورة تأثيرها على مجريات الفكر المعاصر.

ومن قبله قاربت (جائزة الملك فيصل العالمية) متعلقات المصطلح، بكل منطوياته.

وأحسب أنّ هذا الموضوع من أهمّ القضايا، التي يجب أن يتناولها قسم اللغة العربية وآدابها بـ(جامعة القصيم)،وهو يشاطر العالم العربي احتفاءه باللغة العربية، ويحيي هذا الملتقى بهذه الندوة.

وإشكاليات (المصطلح) و(الترجمة) في اللغة العربية، لمّا تزل قائمة على أشدّها، وجذبُها إلى المشاهد مؤذن بتحرف لحل، أو تحيُّز إلى موقف.

والمؤلم أنّ طرح اشكالية المصطلح بين المفهوم، والمقتضى، لن يثير انتباه الدهماء من الأدباء والإعلاميين، وهذه المناسبة تحدونا إلى البحث في اشكاليات المصطلح ومتعلقاته .

واشكالية المصطلح الذي عُنِيَت به سائر المؤسسات التي تهتم بالجانب اللغوي،كأقسام الأدب، والنقد في الجامعات، و(مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية)، تزداد اتساعاً وتعقيداً، وبخاصة أنّ الحضارة العربية في حاضرها مرتهنة لما يفد عليها من مصطلحات منقولة، أو معربة، أو مترجمة.

وأخذها بما جدّ من أفكار، ومبادئ يفتقر إلى الوعي، والحاجة، وحين لا يَحْكُم التفاعلَ وعيٌ مسنود بالمعرفة، يكون الخلط، والارتباك، واستنزاف الجهد،والوقت،والمال دون عائد متكافئ، ولاسيما أنّ المصطلحات في قطاع الترجمة تعتمد على جهود فردية، وعلى الرغم من كلِّ العوائق،فإنّ هناك أرضيات محلية، وعربية صالحةٌ، لكي تكون منطلقاً لترشيد المسار المصطلحي، الذي يُعدٍ إكسير الصراع الفكري،والأدبي،والسياسي،والديني.

وتحويل خدمة المصطلح من جهود فردية مشتتة إلى عمل مؤسساتي منظم مطلب أولي، لاحتواء الفوضى، وترشيد المسار.

إذْ ما استمعت إلى خصام، أو قرأت لنقد، أو تعقّبت معركة أدبية، إلاّ أيقنت أن اضطراب المفاهيم مصدر كل نزاع، ولن يَترَ هذه الفوضوية إلاّ سلطان المصطلح، متى أخذ وضعه الطبعي، وسِمتهُ الجامعة المانعة.

ولأنّ فوضى المصطلحات على أشدِّها، فإنّ المختصمين

قد يكونون في خندق واحد، ويؤمنون بفكرة واحدة، ويسلكون طريقاً واحداً، ثم لا ينجون من طائف الاختلاف.

ومتى فتشت عن السبب وجدته في اضطراب المفاهيم حول مصطلح، أو ظاهرة. وليس عليّ من بأس حين استذكر الغيرة الجامحة التي انتابت (عمر بن الخطاب) رضي اللّه عنه حين استمع إلى رجل يتلو القرآن على قراءة لم يسمعها من قبل، فلم يتردّد في الأخذ بتلابيبه، يجرّه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

وما أنْ مثُلا بين يديه، طلب من عمر إرساله، ليأخذ نَفَسَه. ولمّا سمع دعواه، طلب من الاثنين أن يتلوا الآيات المختلَف حول قراءتها، وما كان منه إلاّ أن أقرَّهما معاً، وحُسِمت المشكلة في قضية القراءات، التي لم توصل مصطلحاتها إذ ذاك.

وقضايا المصطلح تكاد تكون عين الاختلاف المتوهم، ومع ذلك فهي شائكة، ومعقّدة، ولا يكتوي بنارها إلاّ الذين يرابطون على ثغور الفكر،والأدب، فهم الذين يصطرعون، ويصطرخون، وما من شيء يدعو إلى الاختلاف والشَّحْناء.

ولربما يقترفون ما يندمون على فعله، لعدم توفُّر الإمكانيات للتثبُّت، والتبيُّن، فكم يصيبون قوماً بجهالة، ظنّاً منهم أنّ من يواجهون يتولون كبر الخطيئات.

وإذا انجلى الغبار تبيّن لهم أنّ الأمر لا يحتمل كلّ هذا التصدِّي، والتحدِّي، والصمود.

إنّ غياب الرّصد المؤسساتي للظواهر، والمصطلحات، وتحديد المفاهيم، والمقتضيات، والتسليم لها، وذهاب كل مفكر برؤيته، مدعاة إلى مزيد من الاضطراب، وستظل جدلية المصطلح على اشدها، مالم تكن هناك مرجعية معرفية، قادرة على الاستمالة،والإقناع.

والمصطلح حين يدخل المشاهد، ويستقر في رحمها، كما النطفة، تبدأ معه رحلة الأطوار من علقة، ألى مضغة، ألى عظام، ألى اكتساء باللحم، ألى أن ينشأ خلقاً آخر.

وإذا كان الإنسان يكتمل خلقه، ويتشكّل على أحسن تقويم، فإنّ مرد ذلك نشأتُه في رحم واحد، ورعاية أحسن الخالقين له.

أمّا المصطلح فيتلقاه أكثر من رحم فكري، بل أكاد أقطع بأنّ لكلِّ مفكِّر قراره المكين، الذي تتشكّل فيه المصطلحات، بل قد تتلقّاه أرحام الأفكار سوياً، ثم تمسخه ليكون كما تريد، وهذا مكمن الاشكالية.

وفوضوية تناسل المصطلحات، يكتوي بنارها ذووا الشأن. إن هناك ترجمة،ونقلاً ،وتعريباً، وابتكاراً. ولكلٍّ مترجم، أو ناقل، أو معرب، أو مبتكر رؤيتُه وخلفيّته الثقافية،وهمّه الفكري.

وكلٌّ ناشط في مشاهد الفكر يريد تكثير سواده، بحيث لا يتردّد في تحديد المفهوم الذي يريد، أو إفراغ المصطلح من محتواه،وشحنه بما يرى، فيما يظل المصطلح مشحوناً عند آخرين بمدلوله الواضح.

والمتلقِّي تجتاله المصطلحات، وتحتنكه المفاهيم، ويقعد له ذووا الرسالات الفكرية كلّ مرصد.

ولو أنّ المصطلح أعطي حقه الحدِّي الجامع المانع، وأصبح كما المصطلح المعياري في عالم النحاة،والصرفيين، لما تحوّل من ضابط مُسعف، إلى معوق مربك، وكلٌّ مكتوٍ بنار الاختلاف غير المبرّر، تسعده مثل هذه المبادرات، التي قد يكون لها الأثر،ولو بالوقوف عند هذا الحد من التدهور. فالمصطلح ليس مادة ثقافة وحسب، إنّه الساعي للإصلاح بين المختصمين، إذْ يشكِّل مرجعية لفض المنازعات.

والمصطلح يفر إليه المختصمون ليفضَّ الاشتباك، ويقر في الأذهان مقتضاه الجامع المانع.

وبحث المصطلح، واشكالياته في هذا اللقاء محاولةٌ لربطه باللغة التي تمنحه

الثبات، والوضوح، وعلى النخب الفكرية أن يجنحوا إلى الوفاق، لتوجه جهودهم إلى خدمة اللغة،والمحافظة عليها، وإثرائها وهذا الملتقى محاولة لتحرير المسائل المتعلقة بجدل المصطلح.

إنّ معترك الأقران لا يرجِّح كفة أحدهم على الآخر إلاّ برهان المصطلحات، فإذا كانت المصطلحات متعدّدة المفاهيم، أصبح المفكرون في لجّة من الفوضى، ألتي لا سرات لها.

والمشاهد لا تصلح بالفوضى، ولا يحكمها الجهل،ولا اضطراب المفاهيم.

واختلاف المفاهيم والمقتضيات حين يمتد إلى المصطلح المفترض فيه أن يكون سبيل الوفاق، يصبح من المتعذّر حسم القضايا المختلَف حولها، وهذا ما نراه ماثلاً في مشاهدنا رأي العين.

و(الترجمة) كما أشرت تسهم في تأزيم الأزمة، ذلك أنّها تتم وفق رؤى فردية، ولكلٍّ مترجم ظروفه، وإمكانياته، ومرجعيّاته الموسوعية والقاموسية.

ولو ضربنا الأمثال بمصطلحيّ (الانزياح)، و(السيميائية) لوجدناهما يختلفان في اللفظ والدلالة من مترجم لآخر، ف(الانزياح) ترجم ب(التجاوز) و(الاختلاف) و(الشناعة) و(التحريف) و(العصيان) و(الإلماحة) و(المخالفة) و(الانحراف).

ولكلٍّ من (بول فاليري) و(وليك) و(بانيار) و(تيري) و(بارت) و(تودوروف) و(أرجون) تعريفاتهم الخاصة، التي التقطها كلُّ مترجم، فترجمها حرفياً، أو معنوياً.

وهذا الاضطراب عند المترجمين، يمتد اثره إلى المتوسلين بالمصطلح،لحسم الخلاف فيما بينهم، ومن هنا اصبحت الترجمة الفردية جزءاً من الاشكالية، وهي اشكالية قد لا يستحضرها المختصمون حول جدلية المصطلح.

أمّا (السيميولوجيا) فقد ترجمت ب(السيميائية) و(السيمية) و(الرمزية) و(الدلالية) و(علم العلامات) و(العلمية) وسواها.

وهذا التعدُّد في الترجمات يرتبط فيه تعدُّد في المفاهيم،والتصوُّرات.

لقد أحسست في وقت مبكر بأهمية (نظرية المصطلح)، ولم أتردد في ملاحقة المستجد في عالم المصطلحيين، وهو عالم أهملته المشاهد، فلم تتح له فرصة الحضور الفاعل.

فالمهتمون بالشأن المصطلحي يعتمدون على جهود شخصية، ويتحركون وفق رغبات شخصية، ويمارسون فعلاً لا يقوم التنسيق بين أطرافه.

وكان حقاً على كل مفكر، أو عالم نَصّرُ المشتغلين به، وتحويل الجهود الفردية إلى تنظيم مؤسساتي، والعمل على التنسيق بين الجهود، واحتواء المترجمين، وإنشاء رابطة تنسِّق،وتدعم، وتوجه،وتوحد التعريب.

إن المجامع اللغوية، وسائر المنظمات الفكرية، والثقافية كـ(اليونسكو) و(معهد المخطوطات)، و(مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية)، ومراكز الفكر العربي تمارس عملها بمعزل عن المشاهد.

واشتغالها بالمصطلح دون المؤمل، وبعض معاجمها تخلط بين المصطلح،والمفردة اللغوية،والظاهرة الفكرية،والأدبية. وقد لا تفرق بين المصطلح بوصفه آلية، أو منهجاً، أو فكراً.

وفوق هذا فإن المصطلح بوصفه معياراً، لا يتخلص من (الايدلوجية)، وبقدر ارتباطه بالانتماء الفكري تكون اشكاليته. وما على المتردد إلا أن يرجع إلى المعاجم، والموسوعات سواء منها ما يرتبط بنزعة، أوطائفة، أوفن، أو حقل معرفي، كالمصطلح الصوفي، والسياسي، والفلسفي، والنفسي، والاجتماعي، والأدبي، والنقدي، والمصطلح عند علماء الحديث، والتفسير، والتاريخ، والبلاغة، والصرف.

إن هناك خلطاً عجيباً من حيث الحقول، وخلطاً أعجب من حيث التعريف، والتحليل والموقف من المصطلح، والتأريخ له.

لقد كانت لي إلمامات متأنية، ومتنوعة بالمصطلح عبر مختلف الحقول، والعصور. ولم أكن في يوم من الأيام متفائلاً، فالاضطراب والفوضى، وتعدد المصادر، وتنوع المفاهيم،وفرح كل حزب بما لديه عقبات، كما الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض.

ولكيلا أشيع هذا التشاؤم، وأعرقل التفكير بالحلول، فإنني أراهن على نجاح الجهود المؤسساتية، متى استوعبت القضية، ومارست الفعل الحضاري، بعيداً عن الآنية والذاتية وتوغلاً في الموضوعية،والمعرفية. ومتى تفسح لها المحتاجون والمنتفعون في مشاهد الفكر والأدب.

ولأن المصطلح يكون في أغلب أحواله عالمي الانتماء، فإن واجب المجامع العلمية العربية، والجامعات العربية، والمراكز، والمنظمات ذات الاختصاص التنسيق بين الجهود لتوحيد المصطلح صياغة، ودلالة،ومفهوماً،ومقتضى.

وعلى ضوء المتابعة الواعية، فإن إشكالية المصطلح ليست بحاجة إلى مزيد من القول، ذلك أن القول لن يكون إلا معاراً، أو معاداً، والحل في الوعي والتمثل.

المشهد لا يطلب المزيد من القول، ولكنه يطلب القليل من العمل، وما لم نُعِدْ قراءة ما قيل فإننا سنظل نتدفق قولاً عقيماً، لا يغني من الحق شيئا.

وإذ لم نزل مرتهنين للتنظير المتناقض، فإننا أحوج ما نكون إلى مزيد من تحرير القضايا الرئيسة، وتحديد الموقف منها.

عرفت إشكالية المصطلح حين دخلت في معارك أدبية، لم تترك في مشاهد الأدب إلا أشلاء السمعة، وحين استعدت قراءة المعارك الأدبية التي خاضها من قبل عدد من أساطين الفكر والأدب، منذ أن تواصلت مشاهدنا مع مشاهد الحضارات الشرقية والغربية، ومنذ أن كنا قابلين للتبعية.

وتعميق الإشكالية في انعدام المصداقية، فالخصم لا يجد حرجاً في تصنيفك وفق ما يريد، لا وفق ما أنت عليه، وهو يجد من الأشياع، والأتباع من يسلمون له، ويتكفلون بإشاعة أحكامه.

وأنت في ظل هذا الظلم تستنزف كل طاقاتك لنفي هذا الاتهام، وفي ظل الدعوى والنقض تهمل القضايا الأساس لمن لا يحسن رعايتها ولا تنميتها، ومتى فتشت عن الينبوع الذي لا يغور لتغذية الخصام، لوجدته في المصطلح.

وليس غريباً أن تهتم سائر المؤسسات المعنية باللغة العربية بقضايا المصطلح، ففي كل قطر، مثلما أنه في كل مرحلة أدباء، وعلماء، ومفكرون يشغلهم المصطلح، ويحملهم على التأسيس المعرفي له، ولكنهم من القلة والتهميش، بحيث لا يكون لهم من الأمر شيء.

وإسهامهم في الترجمة، أو الدرس، أو التجريب إضافة غير رئيسة. ولأننا أحوج ما نكون إلى تلك الفئات المسكونة بالهم المصطلحي، فإننا نود أن يكون لهم شأن وأثر، وأن تتاح فرصٌ أكثر، ومساحات أكبر، فهم كالجبال التي ترسي الأرض من الاضطراب.

فأي مشهد أدبي لا تسوده المصطلحات المتفق على مفهومها، ولفظها، ومقتضاها لا يمكن له أن يكون راسياً متوازناً.

والمصطلح إما أن يكون غربي النشأة: معرباً، أو مترجماً، أو منقولاً. أو يكون عربياً موروثاً، أو مبتكراً.

والصياغة اللفظية المتعددة الصور بتعدد المترجمين، أو المعربين تواكبه دلالات ومقتضيات تفقده أهليته ومهمته.

والمشتغلون بالشأن الاصطلاحي تختلف مهماتهم، ومقاصدهم.

فالموسوعيون، والمعجميون، والمؤرخون، والمنظرون، والمتبنون. لكل واحد

منهم زاويته التي يشتغل فيها، ولكل مصطلح في تلك التنوعات مفهوم، ومقتضى واحد،لا يكون في مجال آخر، وهذا إجهاض متعمد لجدوى المصطلحات، وتعطيل لأدائها.

وليس من حقنا ونحن نتحدث عن مشكلة المصطلح في مفهومه، ومقتضاه أن نتجاهل طائفة من المفكرين والنقاد، كانت لهم إلمامات سريعة، أو متأنية. معرفية، أو موقفية من المصطلح.

وإذ لا تكون لهم الضجة التي ظفر بها من دونهم، فإننا لا ننطلق من الشهرة، ولا نحفل بالضجيج الإعلامي، ومتى استحوذت علينا أضواء الإعلام، غفلنا عن زوايا معتمة في جوفها كل الصيد.

لقد بادر المصطلح عددٌ من الأكاديميين على سبيل المعجمة، أو النقد، وكانت لهم رؤية لا بد أن يكون لها حيزها المناسب في مشاهدنا.

فعلى المستوى المحلي عرفت الأستاذين (سعد البازعي) و(ميجان الرويلي) من خلال (دليل الناقد الأدبي) عبر طبعاته الثلاث.

وعرفت الأستاذ الدكتور (عبدالله الغذامي)-شفاه الله- من خلال كتابه (الخطيئة والتكفير) بحيث حرر في طائفة من المصطلحات والنظريات الأسلوبية. وعرفت من كتابه (النقد الثقافي) وفيه طرح هذا المصطلح بوصفه بديلاً للنقد الأدبي، وإذ لا اتفق معه، فإنني احترم رؤيته، وأعدها إضافة معرفية في مشهدنا الأدبي.

وعرفت الأستاذ الدكتور (محمد مريسي الحارثي) من خلال كتابه (عمود الشعر العربي) و(النقد الأخلاقي) ، وهي محاولة معرفية جادة لتحرير مصطلح تراثي.

وعرفت الأستاذ الدكتور (صالح زياد الغامدي) من خلال دراسات معمقة،

ومن خلال بحثه (الغموض في الشعر العربي) الذي لما يزل مخطوطاً - على ما أذكر -.

وفي حقل معرفي آخر يجب أن نشير إلى معالي الدكتور (عبدالوهاب أبو سليمان) من خلال كتابه (الفكر الأصولي). وكل هذه المحاولات، بذلت لتقليص جدلية،واشكالية المصطلح.

على أن طائفة من المفكرين والنقاد يستبطنون الهم المصطلحي، ولكنهم يفيضون بشيء من هذا الهَمِّ في ثنايا تناولاتهم ذات المساس بالنظرية المصطلحية.

ذلك على المستوى المحلي، أما على المستوى العربي، فإن بين يدي اسهامات جادة لعدد من العلماء،والأدباء، والمفكرين.

لعل من أهمهم: (أحمد مطلوب) و(عبدالواحد لؤلؤة) و(محمد مفتاح) و(الشاهد البوشيخي) و(حسين نصار) و(محمد رشاد الحمزاوي) و(توفيق الزيدي) و(عبدالمنعم الحفني) و(عزت محمد جاد) و(محمد عناني) و(سعيد علوش)، (نبيل راغب) الذي يلتقي مع (البازعي والرويلي) إلى حد الخلطة في كتابه (موسوعة النظريات الأدبية)، ومئات آخرون.

وهذه الكوكبة من العلماء، يتنازع جهودها وضع المعاجم، أو دراسة إشكاليات المصطلح.

ف(توفيق الزيدي) درس (جدلية المصطلح والنظرية النقدية) و(رياض قاسم) و(حسين نصار) و(أحمد الشرقاوي إقبال) و(وجدي غالي) درسوا ما سلف من معاجم وأبرزوا خصائصها، ومناهجها، وحصروها، وأشاروا إلى مفاتيحها، ولم تقتصر الدراسات على معاجم المصطلحات، بل امتدت إلى المعاجم اللغوية.

ولأنني من أهل هذا الهم، وخاصته أعرف عن اشكالية المصطلح ما لا يعرفه عنه الأكثرون.

والهم الذي يشغل المشاهد الثقافية تلافى الخلاف حول المفاهيم، والمقتضيات. واهتمام المؤسسات ذات الشأن بقضايا المصطلح نزوع خَيِّر صوب التوفيق بين وجهات النظر، وأحسب أن حسم مشكلة المصطلح مؤذن بتصفية العديد من المشاكل العالقة بمجمل القضايا الفكرية، والأدبية.

وإذا كانت (الترجمة) بيت الإشكاليات، فإن (المصطلح) أكثر إشكالية في ظل الظروف القائمة. إننا أمام مصطلح مضطرب بين مفاهيم متعددة، ومقتضيات متنوعة، وواجب المؤسسات ذات الشأن أن تحاصر المشكلة بالتنسيق، والتناول المعرفي، والتوسل بالتأصيل للمسائل، والتأسيس للمعارف. ولن يتم شيء من ذلك حتى تتجمع الجهود الفردية المشتتة، وتتحول إلى مؤسسات، تستقطب الكفاءات، وتستغل الجهود، والخبرات.

إشكالات تلقي مصطلحي «Synchronic & Diachronic» في المدونة النقدية العربية بين اللسانيات والبنيوية

د. سعيد شوقي محمد سليمان
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية بجامعة القصيم

توطئة:

تمثل المصطلحات المترجمة دوما ناتج التلاقح بين ثقافتين؛ معرفيا ولغويا، وهي إذ تمثل ذلك، يتبدى فيها أثر صبغيات القوة والضعف، المولِّدة لمنتج التَّلاقح بين الثقافتين. وغالبا ما يخرج المنتج في أربع هيئات: صواب لفظ المصطلح مع دقة معرفية لمعناه، أو صواب لفظ المصطلح مع خطأ معرفي لمعناه، أو خطأ لفظ المصطلح مع دقة معرفية لمعناه، أو خطأ لفظ المصطلح مع خطأ معرفي لمعناه.

وينتج الخطأ اللفظي والمعرفي عجز ترجمة وقصور فهم، تضيق توطئة عن عدهما وتوضيحهما تفصيلا وتوسعا؛ لكنّا حتما سنفعل هذا ضرورة علمية؛ اقتصارا على مصطلحينا في حينه من البحث.

ولقد مُنينا في ثقافتنا العربية بمنتجات ندرت فيها الهيئة الأولى، وتعاظم فيها ما تبقى من هيئات ثلاثة.

وإذا كان ثمة مجهود مصطلحي سريع وجاد لخدمة ثقافتنا العربية، فليتمثلْ في المعالجة الحثيثة الدائمة لهيئات المنتجات الثلاثة؛ لتصير على نوع الهيئة الأولى.

ويمثل هذا البحث، محاولةً لرد هيئات ما توارد غير دقيق في المدونة النقدية العربية الحديثة عن مصطلحي Synchronic و Diachronic في لفظهما المصطلحي، ومعناهما المعرفي؛ إلى هيئتهما الأقرب إلى الدقة في المنتج الغربي؛ بغية استخدامهما على الوجه الأمثل عند تطبيقهما على أي منتج نصي عربي من خلال مبحثين، أولهما ويتعلق بإشكالات خاصة بالصياغة، وآخرهما ويتعلق بإشكالات خاصة بالفهم. على أننا سنسوق حتما في أثناء عرض المبحثين الإشكالات الخاصة أيضا بتلقي كل منهما في المدونة النقدية العربية.

هذا ولقد اخترنا مصطلحي Synchronic و Diachronic دون غيرهما من مصطلحات حديثة؛ لسببين: الأول: لأن المصطلحين مصطلحان محوريان في المدونة النقدية العربية الحديثة، ومنهجيتها؛ والآخر: لأن ثمة ابتعادا معرفيا عن معنى المصطلحين الغربيين في كثير من كتابتنا العربية؛ فالتضارب المصطلحي العربي الكبير الذي عم هذين المفهومين اللسانين واضح جلي [١].

سوف يتتبع هذا البحث إذا - بما بدا في توجهه - مصطلحي Synchronic و Diachronic؛ في إشكالات ترجمتهما، ومعناهما، وتلقيهما في المدونة النقدية العربية الحديثة، وسوف يكون منهجنا في هذا التتبع منهجا وصفيا مقارنا نقديا.

ولقد فضلنا فائدة للبحث أن نقدم ما ظننا أنه ترجمة صحيحة ومعنى صائب للمصطلحين طبقا للهيئة الأولى، ثم بعد ذلك ندمج في أثناء العرض أيضا، بطريقة جدلية تحليلة كتابات الهيئات الثلاثة الأخرى، التي نظن أنها تميزت بغير الدقة مع ما قدمناه؛ حتى يبدو المصطلح ومفهومه الصائبان وضدهما غير الفاعل لذلك؛ في مقابلة من التمايز المصطلحي والمعرفي.

وقد يستتبع ذلك منا أن نبدأ بمبحث إشكالات المعنى، ونؤخر مبحث إشكالات الصياغة؛ وذلك لسببين: أولهما، أن الصياغة فرع المعنى، فلا تتم

---

(١) د. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص١٨٣.

صياغة جيدة إلا بعد فهم المعنى، آخرهما، أن تقديم إشكالات المعنى يجعل من السهولة بمكان فهم إشكالات الصياغة؛ على أن نبقي إشكالات التلقي كما هي في أثناء عرض المبحثين.

وأحب أن أشير هنا إلى أن ما سأقدمه من طرح صائب للفظ والمعنى ليس حكرا علينا وحدنا - وإن كان لنا اجتهادنا في ذلك - ولكنه نابع أيضا من كتابات غربية، وعربية، تلقت المصطلح مثل ما نظن أننا تلقيناه بشكل صائب.

المبحث الأول: إشكالات الفهم:

وتتمثل في أربعة إشكالات، هي:

١- عدم الربط في فهم معنى المصطلح بين اللسانيات، والبنيوية.

٢- عدم فهم آلية امتداد المصطلح بين الأزمنة المختلفة.

٣- عدم فهم طبيعة عمل المصطلح في فنون اللغة المختلفة.

٤- التباس معنى المصطلح مع معاني مصطلحات أخرى، داخل المنظومة السويسرية، والبنيوية.

وللتغلب على الإشكالية الأولى، وهي عدم الربط في فهم معنى المصطلحين بين اللسانيات، والبنيوية؛ لا بد بداية، من إرجاع فهم مصطلحي Synchronic وDiachronic، إلى أول من ركز الضوء عليهما بكثافة، في مطلع القرن العشرين، وهو فردينان دي سوسير(١)؛ وذلك لأن مباحث سوسير اللغوية التي جمعها تلامذته بعد وفاته، كانت حدثا فارقا بين قرنين من الزمان (٢)، فلقد « تمثل

(١) ولد في جنيف بسويسرا في ١٧ نوفمبر ١٨٥٧م، وتوفي سنة ٢٢ فبراير ١٩١٣م. انظر. جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، ص٦٤.

(٢) تلميذاه هما: تشارلز بالي وألبرت سشهاي، وجمعا محاضراته ومذكراته في كتاب بعنوان: محاضرات في اللسانيات العامة. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص١٠.

الفرق الأساسي والأكثر وضوحا بين القرنين التاسع عشر، والعشرين في النهوض السريع لعلم اللغة الوصفي في مقابل علم اللغة التاريخي؛ حتى كان له وضع السيادة الحالي[١].

ومنذ ذلك الوقت استُعملت المفاهيم التي اقترحها سوسير استعمالا واسعا، من قبل اللغويين والنقاد، حتى وصلت إلى البنيويين؛ مما جعل سوسير يُكرَّس» أبا للبنيوية »[٢].

وعلى الرغم من أن سوسير قد عُد « أبا للبنيوية «، فإنه لم يكن بنيويا، والدليل على ذلك أربعة أمور:

١- أن مصطلح بنيوية لم يظهر إلا حوالي ١٩٢٨م [٣] ولقد حُدد هذا التاريخ«؛ بذلك المؤتمر الذي عقدته مدرسة (أو حلقة براغ) اللغوية، في مدينة لاهاي بهولندا «، في العام ذاته[٤] وكتاب سوسير ظهر بالفرنسية عام ١٩١٦م [٥]، مما يعني أن الفارق بينهما اثنا عشر عاما.

٢- أن كلمتي البنية والبنيوية لم تردا في كتاب سوسير[٦].

٣- أن اعتبار سوسير « أبا للبنيوية « هو عمل استعادي لاحق [٧].

---

(١) ر.هـ.روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، فصل علم اللغة في القرن العشرين، ص٢٨٧.

(٢) ماري آن بافو وجورج إليا رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، ص١٠٦.

(٣) ماري آن بافو وجورج إليا رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، ص١٠٦.

(٤) دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ص٢٠٩.

(٥) نشرا أول ترجمة لكتاب سوسير في الإنجليزية بعنوان: مقدمة في علم اللغة العام سنة ١٩٥٩م. انظر: نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ماري آن بافو وجورج إليا رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، ص١٠٦.

٤- أن سوسير لم يكن صارما على المستوى العلمي، إذ لم يتحدث عن « بنية » وإنما تحدث على « نسق» [١].

ولعل هذه النقطة هي من أهم ما نود الوصول إليه في بحثنا هذا، فالحق أن التفريق بين النسق والبنية سوف يحل كثيرا من إشكالات مصطلحي الدراسة، كما يلي:

النسق System:

يدل مصطلح نسق من الإغريقية Sustema على التجميع، ثم أصبح منذ القرن السابع عشر يطلق على مجموعٍ يكوّن كلا عضويا، وبهذا المعنى يستعمل سوسير هذا المصطلح في دروسه حيثٌ قدَّمَ تحديدَه للغة بأنها: « نسق دوال »[٢]، وفي أحيان أخرى تترجم الدوال بالعلامات؛ فتصير « نسق علامات »[٣].

والحق أن النظر إلى اللغة بوصفها نسقا لم يكن من اختراع سوسير، إذ إننا نجد هذا النظر « عند أرسطو وكذلك عند الرواقيين، وقد أدرك هذا النظر منتهاه في نحو المناظرات في القرن الثاني عشر الميلادي، وهكذا لم يكن هذا المفهوم أمرا طارئا وجديدا عند سوسير [٤].

لكن الجديد حقا عند سوسير هو فكرته عن أن وحدات اللغة قابلة للتعريف، لا عن طريق وصف معزول كما كان قبله، وإنما بموجب موضع كل وحدة، وعلاقتها داخل النسق؛ إذ ليس للوحدات اللغوية ميزات خاصة بها خارج ما تقيمه من علاقات مع الوحدات الأخرى، وهي علاقات وصفها سوسير بالتقابلات

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص١٤٥.

(٣) نفسه، ص١١١.

(٤) ماري آن بافو وجورج إليا رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، ص١٢٨.

السلبية[1] ما لم تقابل وحدات أخرى؛ فإذا قابلت وحدات أخرى عُدت وحدات ذوات قيمة [2] إذ حينها تستوضح حالها ضمن علاقتها بعلامات أخرى[3].

وبعد أن عرف سوسير اللسان بوصفه « نسقا من العلامات »، تحدث عن علاقات علاماته؛ فبين أن كل علامة تختص بعلاقات تقيمها مع علامات أخرى تأخذ مظهرين:

١- **علاقات تركيبية**: تختزل ضمنها العلامات بموجب تسلسلها داخل خطية الخطاب؛ ففي قولنا مثلا « علم أحمر »، نجد أن العلامة أحمر معرفة عبر علاقتها بالعلامة علم، التي ترتبط بها دلاليا (فكلمة أحمر تدل على نوعية تنطبق على موضوع العلم (ومورفولوجيا) فلو وردت كلمة علم على صيغة الجمع أعلام، فذلك يستوجب ورود كلمة أحمر، على الصيغة نفسها، وتركيبيا أحمر هو صفة للكلمة علم.

٢- **علاقات ترابطية**: تشرف على وصل العلامة بالعلامات التي تقاسمها الخصوصيات نفسها؛ ففي المثال السابق، يمكن للكلمة أحمر أن ترتبط بالكلمة أزرق وأخضر بوصفها كلمات متضمنة لمعنى اللون، حيث يمكن أن تبدل بالأولى (فنقول علم أزرق، علم أخضر. إن قيمة العلامة معرفة إذاً عبر إمكانات ارتباطها باسم معين من جهة، وبوجود نعوت أخرى للون داخل اللسان[4].

معنى ذلك أن نسق سوسير، قابل للتغير الذاتي لعناصره في بعديه التركيبي والترابطي دون أن يخل ذلك بالنسق؛ فإذا تغيرت علامة أحمر إلى غيرها لم

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص١٣٣.

(٣) ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة، عبد القادر فهيم الشيباني، ص١١١.

(٤) نفسه، ص١٠٦.

يخل ذلك بالنسق، على خلاف ما تحدده البنية فيما سيلي؛ فإذا سقط عنصر من البنية اختلت وتهدمت وانهارت. فلعبة الشطرنج مثلا نسقها كهكذا نسق؛ فإذا وضعنا مكان قطعة منها شيئا عرفناه، اتخذ فعلها البنيوي على الفور، أما لو أسقطنا من حسابنا تلك القطعة اختلت بنية اللعبة.

البنية Structure:

وإذا كان مصطلح النسق - كما سبق أن ذكرنا - قد دل على التجميع، وعلى مجموع يكوّن كلا عضويا، وإذا كان سوسير قد استعمله بهذا المعنى وربطه بالدوال، حين بين أنه «نسق دوال» [(١)]؛ فإن تعريف سوسير رغم كل ذلك عامٌّ للغاية لا يقول شيئا عن الكيفية التي يُنظَّم بها هذا « الكل العضوي « المكون لنسق ما. وعند هذه النقطة بالذات يتداخل مفهوم البنية فيعيّن ويصف نوع العلاقة بين العناصر المكونة لـ «الكل العضوي»[(٢)].

والواقع أن التعريف التام لكلمة نسق يتضمن تخصيصا إضافيا: فالنسق هو مجموع يشكل كلا عضويا له بنية، فهذان العنصران (نسق - وبنية) يشكلان علاقة تكامل، إن لم يكن علاقة تضمن، فالقسمة نسق/بنية لا تحيل إلى إمكانية وجود كل يتمتع باستقلالية وحسب، بل تحيل كذلك إلى فكرة كل يتوفر له نمط تنظيم خاص به، يحقق له استقلاليته [(٣)].

ولا شك أن البنية تتسم بما هو أكثر من ذلك؛ إذ إن لها محددات ثلاثة، توضع بوصفها شرطا؛ لإعطائها الهوية، والاسم، وهي: الشمولية، والتحول، وذاتية الانضباط [(٤)]؛ الشمولية، تعني اتساق وتناسق البنية داخليا؛ أي إن

---

(١) ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة، عبد القادر فهيم الشيباني، ص١٤٥.

(٢) نفسه، ص١٠٦.

(٣) نفسه.

(٤) د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص٧٠.

وحدات البنية تتسم بالكمال الذاتي، وليست مجرد وحدات مستقلة جُمعت معا قسرا وتعسفا، بل هي أجزاء تتبع أنظمة داخلية من شأنها أن تحدد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها [١]؛ والتحول؛ يعني أن البنية « يجب أن تعمل على أنها إجرائية تحويلية تؤثر في تكوين ما يدخلها من مادة جديدة مثلما تتأثر بدورها بمادتها الجديدة. هذه الخاصية التي تقوم اللغة كنظام بتهيئتها للفعل الفردي غير المحدود، فبينما تتسم اللغة كنظام بمحدودية قارة (محدودية القوانين والأعراف والقواعد التي تدين بها لغة ما) إلا أن الفعل الحقيقي الذي يقوم به متكلم اللغة لا تحده حدود، بل كلما زادت الأدائية الفردية أثبتت اللغة كنظام قدرتها على امتصاص وتَبْيِئَة الجديد ضمن حدودها وقوانينها»[٢]. وذاتية الانضباط، تعني أن البنية لا تعتمد على مرجع خارجها لتبرير وتعليل عملياتها وإجراءاتها التحويلية، فالتحولات تعمل دائما على صيانة القوانين الداخلية ودعمها، تلك التي تخلق وتبرر هذه التحولات، وتعمل كذلك على إغلاق النظام، كي لا يحيل أو يرجع إلى غيره من الأنظمة» [٣].

وقد يكون في لعبة الشطرنج مجال للتفريق العملي بين النسق والبنية، بعد أن علمنا أن نسق سوسير، قابل للتغير الذاتي لعناصره في بعديه التركيبي والترابطي دون أن يخل ذلك بالنسق؛ فإذا تغيرت مثلا علامة أحمر إلى غيرها لم يخل ذلك بالنسق، على خلاف ما حددته البنية فيما سبق، من أنه إذا سقط عنصر منها اختلت وتهدمت وانهارت. ففي لعبة الشطرنج يوجد نسق وبنية؛ نسق معروف في تنسيق قطع لعب الشطرنج؛ وإذا وضعنا مكان قطعة من هذه القطع كالعسكري مثلا، شيئا عرفناه مثل قطعة نقود مثلا، اتخذت هذه القطعة فعلها النسقي على الفور كالعسكري تماما، أما لو أسقطنا من حسابنا تلك القطعة/العسكري؛ فإن

(١) د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص٧١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص٧١.

البنية اللعبية ستختل تماما، بل ستنهار. من هنا فإننا يمكن أن نقرر أن المحدد رقم اثنين في البنية وهو التحول، خاص بما يحدث من تغيرات في بعدي النسق التركيبي والترابطي لا البنية.

معنى هذا أن كل بنية تشتمل على نسق، وليس شرطا أن يكون لكل نسق بنية؛ معنى هذا أيضا أن عمل سوسير عمل نسقي وليس بنيويا، ويبدو أن منتج سوسير النسقي احتاج اثني عشر عاما ليصير بنيويا.

يترتب إذا على ذلك أن ندين أية مقاربة لـ Synchronic و Diachronic عبر مدخل لساني لا يفرق بين نسق وبنية؛ مما يرتب إشكالات في فهم المصطلحين، كما سيبين توا، وأن نقارب Synchronic و Diachronic عبر مدخلين؛ أحدهما لساني يعتمد النسق، والآخر بنيوي يعتمد البنية، كما يلي:

أولا- المدخل اللساني:

ولنفهم هذا المدخل اللساني في فهم المصطلحين موضع الدراسة؛ ينبغي أن نقف على منجز سوسير اللساني ، الذي تمثل فيما يلي:

الأول: أبان سوسير أن اللغة نظام من الدوال/العلامات Sign، وأن العلامة مبنى ذو طبيعة ثنائية، يكونها دال ومدلول، دال Signifiant ذو طبيعة مادية، مكونة من « صورة سمعية » تستدعي إلى الأذهان «مفهوما» هو ما يعبر عنه بالمدلول Signife [١]، والعلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية وليست طبيعية، مما يترتب عليه أن الدال حر في التقاط مضمونه، وتبديله أيضا، الحال التي تسم العلامة بتبادليتها [٢].

---

(١) فرديناند دي سوسير: فصول من دروس في علم اللغة العام، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مقال من كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السميوطيقا، إشراف: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، ص١٥٢.

(٢) نفسه، ص١٦١.

الثاني: ميز سوسير بين مادة علم اللغة Langue، والمقدرة اللغوية للمتكلم Parloe، حيث جعل اللغة Langue هي مَعِيْنُ الجماعة اللغوي في المعجم، والقواعد، والشكل اللغوي المغروس في كل فرد منها [1] وهي ظاهرة اجتماعيّة في جوهرها ومستقلّة عن الفرد ودراستها فيزيائيّة بالأساس، والكلام Parloe هو المادة التي يتكلم بها الفرد في الجماعة والتي يمكن الحصول عليها مباشرة، وهو الجانب الفردي من اللّغة؛ أي الكلام متضمّنا التصويت، ودراسته فيزيونفسيّة.

الثالث: ميز سوسير بين بعدين في دراسة علم اللغة: بعد الـ Synchronic، وبعد الـ Diachronic، وجعل كلا منهما يستخدم مناهجه ومبادئه الخاصة به وأساساته في الدراسة. وفي طرحه لمفهوم الـ Synchronic أبان أنه الدراسة التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في أي زمن، ولمفهوم الـ Diachronic أبان أنه الدراسة التي تعالج تاريخيا عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن [2].

الرابع: أوضح سوسير أن أي Langue يجب أن تُرى وتُوصف Synchronic بوصفها نظاما من العناصر المترابطة؛ أي عناصر معجمية وقواعدية وشكلية، وليس بوصفها مجموع الكيانات المكتفية بذاتها، التي ضاهى بينها وبين مجرد التسمية Nomencelature، فالعناصر اللغوية ينبغي أن تُعرف بينها وبين بعضها وليس بشكل مطلق. وهذه هي النظرية التي عبر عنها بقوله إن اللغة عبارة عن صيغة وليست مادة non substance forme a langue is، ووضح هذا باستعارتيه المعروفتين: قطع الشطرنج أو القطارات، التي تحدد وتعرف كأنه في نظام اللعبة أو شبكة السكة الحديدة ككل. وهذه العلاقات المتبادلة في اللغة parloe، تقوم

---

(١) ر.هـ.روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، فصل علم اللغة في القرن العشرين، ص٢٨٨.

(٢) ر.هـ.روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، فصل علم اللغة في القرن العشرين، ص٢٨٨.

على كل من البعدين الأساسين للتركيب اللغوي الـ Synchronic، وهما: البعد الأفقي المنطبق على تتابع المنطوق: Syntágmatic، ويعرف بالعلاقات التركيبية، والبعد الرأسي المتمثل في أنظمة العناصر أو الفئات المتقابلة: Paradigmatic، ويعرف بالعلاقات الاستبدالية أو الترابطية [١].

وثمة ملحوظة واصفة لدمج Synchronic وDiachronic، بالـ Syntágmatic وParadigmatic، أظهرها سوسير، عندما استخدم مثالا تشبيهيا لجذع الشجرة يوضح به Synchronic وDiachronic؛ إذ اعتبر أن القطع العرضي/الأفقي، هو فعل الـ Synchronic، الفعل نفسه الذي يفعله الـ Syntágmatic، واعتبر القطع الطولي / الرأسي، هو فعل الـ Diachronic، الفعل نفسه الذي تفعله الـ Paradigmatic.

وبتتبع مصطلحي الدراسة Diachronic & Synchronic عند سوسير، بما هو مجال عمله على مادة، نجد أنه جعل مجال الـ Synchronic (النحو العام) أو (علم اللغة الثابت) أو (الحالة اللغوية المطلقة) أو (القيم والعلاقات المتزامنة) في مقابل الـ Diachronic الذي جعل مجاله (الحالة اللغوية الخاصة) أو (علم اللغة التاريخي) أو (حقائق التطور) أو (العناصر المتعاقبة زمنيا). وأشار سوسير إلى أن دراسة الأولى أصعب من الثانية إذ إن تتبع سلسلة من التغييرات وحقائق التطور كما الـ Diachronic من الأمور السهلة والمسلية أما العلاقات المتزامنة كما الـ Synchronic فتكثر فيها الصعوبات [٢]؛ لأنها تهتمّ بالعلاقات المنطقيّة والسّيكولوجيّة التي تربط مصطلحات متعايشة ومكوّنة لنظام لغوي محدّد وتدرك بوعي جماعي.

وفي تعريفه (للحالة اللغوية المطلقة) كما الـ Diachronic يرى أنها الحالة التي لا يظهر فيها أي تغيير لغوي، ويرى أن ذلك يستحيل على مستوى الإطلاق

(١) نفسه، ص٢٨٩.

(٢) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ص١٢٠.

لأن اللغة تتغير بطريقة ما رغم كل شيء، ويفك هذا الاحتراز بإهمال التغيرات التي لا أهمية لها كما عالم الرياضيات عندما يهمل الكميات الصغيرة جدا من الحساب. ويرى بهذا أن فكرة الحالة اللغوية لا يمكن أن تكون إلا تقريبية مثل أكثر العلوم التي تبسط المعطيات عادة [(١)].

وعندما يقدم سوسير مفهوم (الحالة اللغوية المطلقة) فإنه يفرقها عن مفهوم العصر Era و الفترة Period اللتين ترتبطان بحالة تاريخية اقتباسا وتوجيه فعل قد تبعد الباحث عن التفكير في اللغة نفسها إلى محيطها وتبعده أيضا عن التحديد المكاني.

وهذه النقطة في غاية الأهمية؛ إذ إن فهمها جيدا، هو الذي سيجعلنا نتغلب على الإشكالية الثانية من إشكالات فهم معنى المصطلحين، وهي: عدم فهم آلية امتداد مصطلحي Synchronic وDiachronic بين الأزمنة المختلفة؛ « فالحالة اللغوية المطلقة ليست في الواقع نقطة من الزمن يكون فيها المجموع الكلي للتغيرات الحاصلة ضئيلا جدا ينحصر في الحدود الدنيا، وقد تضم هذه الفترة عشر سنوات أو جيلا أو قرنا بل أكثر من ذلك. فقد لا تتغير لغة ما طوال فترة طويلة من الزمن ثم يقع فيها تغيير جذري في بضع سنوات. وقد نلاحظ لغتين قائمتين جنبا إلى جنب خلال فترة معينة تتطور إحداهما تطورا جذريا وتبقى الثانية على حالها من دون أي تغيير يذكر؛ فتكون الدراسة: Diachronic للغة الأولى وSynchronic للغة الثانية [(٢)].

ويرى سوسير أننا لكي نتجنب الانطباع المأخوذ من المقولة: إن بداية عصر ما ونهايته تتميزان عادة بحدوث ثورة فجائية، كثيرا ما تؤدي إلى تغيير الحالة الراهنة، فيجب البحث في الحالة لا الحقبة ولا الفترة؛ لأن التغيرات ممكن أن لا تكون جوهرية [(٣)].

---

(١) نفسه.

(٢) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ص١٢١.

(٣) نفسه.

من هنا كانت مقولة د. عبد السلام المسدي عن أن الـ Synchronic « تستند إلى الزمن التقديري الذي هو زمن افتراضي؛ لأنه زمن منهجي لا غير » [(١)].

أما بالنسبة للـ Diachronic فلقد أبان سوسير أنه لا يدرس العلاقات بين العناصر الموجودة في (حالة لغوية مطلقة)، بل العلاقات بين عناصر؛ يحل كل عنصر منها محل العنصر الآخر بمرور الزمن [(٢)].

من هنا كانت أيضا مقولة د. عبد السلام المسدي عن الـ Diachronic أنها «تحاول التوسل بالزمن الطبيعي – ذاك الذي بتعاقبه يسير الكون، وما في الكون من وقائع وظواهر » [(٣)].

على أن ثمة ملاحظتين يجب تأكيدهما في الـ Diachronic :

أولهما: أن الـ Diachronic يصعب ملاحظتها إذا انصب اهتمامنا فقط على اللغة الأدبية التي تُفَرَض على اللغة الدارجة (الطبيعية). فاللغة الأدبية بعد أن تظهر إلى الوجود ويتعزز مركزها، تبقى عادة ثابتة إلى حد كبير وتجنح نحو الاحتفاظ بكيانها، فاعتمادها على الكتابة يمنحها ضمانا خاصا في الحفاظ على نفسها؛ لذا لا تبين لنا هذه اللغة مدى التغيير الذي يحدث في اللغة الطبيعية عندما تتحرر من القيود الأدبية [(٤)].

أخراهما: أن علم الصوت – بجميع أجزائه – هو الموضوع الأساسي لعلم اللغة الـ Diachronic. وذلك لأنه رغم التغير في دلالات الكلمات، والتطور في الأصناف النحوية، فإن تحديد التطور فيهما يبدو صعبا جدا ليس كما سهولته في الأصوات؛ لأنه حتى في وضعيتهم السكونية، لهم تاريخهم الخاص بهم [(٥)].

---

(١) د. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص١٣٠.

(٢) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ص١٦٣.

(٣) د. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص١٣٠.

(٤) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ص١٦٣.

(٥) نفسه.

ثم يصل سوسير لقمة طرحه بقوله: إن دراسة الـ Diachronic، لا علاقة لها بالقواعد، ودراسة الـ Synchronic ، لها علاقة بالقواعد [1].

يتضح إذا من كلام سوسير أن المعنى النهائي لـ Synchronic هو دراسة اللغة في زمن ما، وعناصرها تعمل معا؛ مفردات وقواعد وشكل، وكأننا نراها رؤى العين، رغم عدم وجودنا في ذلك الزمن، وكأننا ذهبنا لنصورها حية.

ويتضح أيضا من كلام سوسير، أن المعنى النهائي لـ Diachronic، هو دراسة التغيرات التي تحدث في عناصر اللغة - صوتا على الأغلب الأعم - في زمن ما أو في عدة أزمنة عبر التاريخ؛ معنى هذا أن الـ Diachronic، عكس الـ Synchronic، فإذا حدثت الـ Synchronic في زمن ما، فلا مجال للـ Diachronic فيه، وإذا حدثت الـ Diachronic في زمن ما، فلا مجال للـ Synchronic فيه.

هذا وإن كان بعضهم يرى استحالة إقامة الفصل بينهما، لكننا نقول بما قلناه سابقا بضرورة الفصل ولو على سبيل من الجبر الرياضي.

ثانيا- المدخل البنيوي:

وبعد أن عرضنا مصطلحي الـ Synchronic و Diachronic عند سوسير، نتوجه للبنيوية، وقبل تفهم ما حدث للمصطلحين فيها، نود بداية السؤال: ما البنيوية؟

البنيوية، ما هي إلا منهج بحث، طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة بحيث تخضع هذه المعطيات - فيما يقول البنيويون - إلى المعايير العقلية [2].

وإذا كنا قد سكتنا عن إنجاز سوسير العلمي في كل بنوده السابقة؛ اللهم إلا في

---

(١) نفسه، ص١٦٤.

(٢) جون ستروك: البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص٧.

جزئية الـ Synchronic و Diachronic؛ فإننا نحتاجها هنا، ذلك أن مسعى البنيوية سار على هدي منها، « فلو لم يكن سوسير قد قال خلاصته الشهيرة: « اللغة للشكل وليست جوهرا »؛ لما كان أي من الأعمال التي نشرها كل من ليفي شتراوس وبارت وغيرهما بعد ذلك ممكنة؛ فالبنيوية تتمسك بهذه الفرضية الجوهرية، وهي أنها تدرس العلاقات (بنية) القائمة بين عناصر في نظام (نسق) يشترط كل منها وجود الآخر، وليس بين «جواهر » كل منها « مستقل بذاته» [(١)].

ولكن كيف يبحث المنهج البنيوي المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة بحيث يخضعه إلى المعايير العقلية كما اقتضى تعريف البنيوية؟

للإجابة عن هذا السؤال سنسوق كل مقولات المنهج البنيوي عبر إعادة ترتيب مصطلحاته في النقاط الآتية:

١- الوحدات التكوينية الأولية / الثنائيات المتضادة / المعنى الوظيفي / النسق / البنية / النظام / اللغة / القوانين الكلية المطلقة.

وبها يتضح أن البنية تتكون من وحدات تكوينية أولية، لا تتماهى في بعضها، ولكنها تتبدى في تعدد من الثنائيات المتضادة؛ لتؤدي معنى وظيفيا، يشكل نسقا (أو بنية أو نظاما أو لغة أو قوانين كلية مطلقة).

للبنيوية إذا نسق تتضح من خلاله « نظرتنا إلى البنية ككل، وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية؛ ذلك أن البنية ليست مجموع هذه العناصر، بل هي العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة. العنصر خارج البنية غيره داخلها، وهو يكتسب قيمته داخل البنية، وفي علاقته ببقية العناصر، أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي تنهض بها البنية فتنتج نسقها» [(٢)].

---

(١) نفسه، ص١٥.

(٢) د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): في معرفة النص، ص٣٢.

٢- حزم من العلاقات/الأنماط الكلية للتعارضات/القراءة الأفقية/ القراءة الرأسية.

وبها يتضح أن الوحدات التكوينية الأولية يمكن معرفتها من خلال قراءة أفقية ورأسية معا، لحزم من العلاقات موضع الدراسة البنيوية؛ للوقوف على عددها وكيفية تعارضات تشكلها؛ بغية اكتشاف أنماطها الكلية المتعارضة، التي صنعت النسق.

٣- Diachronic & Synchronic.

طالما أن النسق يعمل الآن، ولمدة طويلة ما شاء الله لها أن تعمل، وطالما لم يحدث به تغير في عنصر من عناصره المكونة، فهو ثابت في بنيته: Synchronic، فإذا أصاب البنية خلل صارت Diachronic. فالـ Synchronic، هو زمن بنية متكونة، متزامنة، منتظمة الحركة، مبلورة النسق، بنية تعمل بقوانين لها، وهي في خصائصها هذه قابلة للعزل ولكشف نظامها ولكشف قوانين هذا النظام وحركة تلك العناصر المتعايشة في هذه البنية وفقا لهذا النظام [١]، وDiachronic هو «زمن تخلخل البنية، زمن تهدم العنصر، وهو بذلك انفتاح البنية على الزمن»[٢].

٤- الأبنية اللاواعية المراوغة.

وفيها يتضح أن النظم البنيوية منشغلة بنفسها عن الواقع المرجعي، لا تدرك كنه نظامها، الحال التي تبين أن الأبنية البنيوية لا تُدرك إلا بمتابع، ومُلاحظ.

البنيوية إذا «تُفسر الحدث على مستوى البنية؛ فالحدث هو كذلك بحكم وجوده في بنية؛ أي في نسق من العلاقات ذات النظام المستمر، والمستمرة به البنية. قيام الحدث على هذا المستوى له استقلاليته، وهو في قيامه محكوم

(١) نفسه، ص٣٣.

(٢) نفسه، ص٣٤.

بعقلانية، هي عقلانيته، التي هي عقلانية مستقلة عن وعي الإنسان وإرادته، إنها الآلية الداخلية للبنية»[١].

يتأكد إذا أن Diachronic & Synchronic في الطرح البنيوي، تتسمان بمجموعة من السمات هي:

١ – أن Diachronic & Synchronic لا تعملان إلا على النظم الكبرى والكيانات الكبيرة.

١ – أن Synchronic تعني أن البنية تعمل معا في وقت واحد، بتماسك شديد، لا خلل لعنصر فيها، الكل يعمل في حالة اتساق؛ معنى هذا أن الفعل الأساسي في البنيوية فعل Synchronic.

٣ – أن Diachronic تعني أن ثمة خللا حدث في أحد عناصر البنية، وأن البنية في حالة خلل؛ معنى هذا أن الفعل العرضي في البنيوية فعل Diachronic.

٤ – أن اكتشاف البنية يحتاج إلى متابع أو ملاحظ، ذي حس بنيوي، قادر على تحديد الانتظام في كم هائل من الاختلافات الفردية لأية موضوع قيد دراسة بنيوية مستحقة.

وفي ذكر دور المتابع أو الملاحظ هنا مساحة؛ ربما تبين خير إبانة، عن طبيعة الإشكالية الثالثة، التي حددناها سلفا في إشكالات المصطلحين، وهي: عدم فهم طبيعة عمل المصطلح في فنون اللغة المختلفة؛ وذلك لأن عمل المتابع أو الملاحظ، لا يمكن أن يتحقق إلا من موقع التخيل والتجريد [٢]، إذ إنه عمل استخلاصي، أو استنتاجي، مجرد [٣]، ولا يتحقق هذا الاستخلاص أو الاستنتاج أو التجريد

---

(٣) نفسه، ص٣٥.

(١) د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): في معرفة النص، ص٦٥.

(٢) نفسه، ص٦٦.

إلا كما حددنا بفعل التجريد التخيلي ولا نقول النظري [1]. ولا شك أن هذا الاستنتاج التجريدي يتأثر حسب طبيعة المادة المدروسة؛ ففي علوم كعلوم اللغة والنحو والعروض تقل المساحة التخيلية لصرامة البناء العلمي الذاتي لمنظومات البنى عبر العصور المتلاحقة؛ الأمر الذي قد يخفت بعض الشيء في طبيعة الإبداع الأدبي؛ لطبيعته الذاتية المخاتلة. هذا فضلا عن أن تحديد منظومات بناء اللسانيات يجعلها تتوقف عند الجملة؛ إذ إنها الوحيدة التي تعتقد اللسانيات بأحقية الاهتمام بها، والملفوظ ليس شيئا آخر غير تتابع للجمل التي تؤلفه [2]؛ الحال التي لا يمكن حدوثها في البنيوية التي تفارق الجملة إلى الخطاب.

يضاف إلى هذا أيضا أن مصطلحي Diachronic & Synchronic يمكن أن يعملا معا باقتدار في المجال اللغوي، بينما تعمل Synchronic وحدها باقتدار في المجال الأدبي، ويضاف كذلك أن مصطلح Synchronic يمكن أن يقصر زمنه في دراسة اللغة نسبيا عن زمنه في دراسة الأدب.

يترتب إذا على سوق المدخل البنيوي فيما سبق، إضافة إلى ما تم عرضه عن المدخل اللغوي قبل ذلك، أن نؤكد مرة أخرى أن Synchronic كما قلنا هي فعل النسق عند سوسير في علم اللسانيات، وفعل البنية عند البنيويين في البنيوية، ومادة عملها عند سوسير هي الأصوات المجتمعية، وعند البنيويين هي الكليات المطلقة.

وأحب أن اذكر في نهاية طرحي للمدخلين: اللغوي والبنيوي، وما بدا فيهما من مفاهيم، خاصة للنسق والبنية؛ أن النسقية السوسيرية، اندمجت بعد ظهور البنيوية، بالبنية، وصارت الدراسات اللغوية بعد ذلك، تعمل بما يسمى: اللغوية البنيوية؛ معنى ذلك أن النسق اختفى من المشهد لصالح البنية.

---

(٣) نفسه.

(١) رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للحكايات، من كتاب: من البنيوية إلى الشعرية، تأليف: رولان بارت وجيرار جينت، ترجمة: د. غسان السيد، ص١٧.

وقبل أن أسوق النتائج التي ترتبت على تقديم مفاهيم ما سبق، في المدونة اللغوية والنقدية العربية أحب أن أناقش ترجمة لفظي المصطلحين إلى العربية، فيما يلي:

المبحث الثاني: إشكالات الترجمة:

لاستيعاب إشكالات الترجمة جيدا؛ لا بد في البداية أن نشرح تركيبيهما الأجنبيين في صورتيهما الأصليتين المكونتين لهما.

ولنبدأ بمصلح Synchronic فنجد أنه يتركب في صورته اللاتينية الأصلية من جزأين، هما: Syn وChronic، كما يلي:

- » The word is built on the Ancient Greek words (□□□) “with” and (□□□□□□) “time”.

وخلاصته أنها تعني: with time، يعني مع الزمن، أو في الزمن [1]، حيث إن Syn تعني with؛ التي تعني مع، أو في، و Chronic التي تعني Time، أو زمن.

ويتضح من هذا، أن Synchronic، تنهض على مرتكزين، هما:

أ - الاشتراك في زمن بمفهوم سوسير أو بنية بمفهوم البنيوية.

ب - التفاعل بين العناصر المشتركة في الزمن بمفهوم سوسير أو البنية بمفهوم البنيوية.

ولنثنِ بمصلح Diachronic فنجد أنه يتركب في صورته اللاتينية الأصلية من جزأين، هما: Dia و Chronic، كما يلي:

- The word is built on the Ancient Greek words □□□ “through” and □□□□□□ “time”.

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Synchrony_and_diachrony.

وخلاصته أنها تعني Through time، التي تعني: خلال الزمن، أو من خلال الزمن أو عبر الزمن [1]، حيث إن Dia تعني Through، التي تعني من خلال، أو خلال، و Chronic، التي تعني Time، أو زمن.

ويتضح من هذا؛ أن Diachronic ترتكز على مرتكزين أيضا، هما:

أ - تغير في الزمن بمفهوم سوسير أو البنية بمفهوم البنيوية.

ب - تغير في العناصر بمفهوم سوسير أو تهدم في البنية بمفهوم البنيوية.

وطبقا لتفهم أصلي المصطلحين فيما بديا توا؛ عبر مرتكزي مفهومي كل منهما، تتضح جملة إشكالات ترجمة المصطلح في أربعة إشكالات هي:

١- العجز عن صياغة المصطلحين، يسوق تسميتهما بالوصف.

٢- عدم وجود لفظ يجمع بين معنيي مرتكزي، كل مصطلح على حدة إلا فيما ندر.

٣- تداخل كثير من مصطلحات ترجمتهما، مع مصطلحات قارة قبل ذلك، أو مصاحبة لهما.

٤- الخلط في ترجمة مصطلحيهما مع ألفاظ مصطلحات آخر.

وسوف تتم مناقشة جملة هذه الإشكالات، في أثناء مناقشة ترجمات المصطلحين، ولتكن البداية أولا بمصطلح Synchronic، ثم يليه مصطلح Diachronic :

أولا - Synchronic:

تُرجم هذا المصطلح إلى العربية مرارا بكيفيات مختلفة، هي: تزامن - التزامن - تزامني - التزامني - تزامنية - التواقت - توقيتي - الآني - آنية

---

(1) Ibid.

- الآنية - التوزع الآني - الراهن - التعاصر - تعاصرية - وصفي - وصفية - وصفية - سنكرونية - السنكروني - سانكرونية - دراسة الحالة الحاضرة الزمنية - قراري - استبدالية - سكوني - حال الاستقرار - حال الثبات [١].

كنا قد دوَنّا آنفا أن معنى الـ Synchronic من كلام سوسير هو دراسة اللغة في زمن ما، وعناصرها تعمل معا؛ مفردات وقواعد وشكل، وكأننا نراها رؤى العين، رغم عدم وجودنا في ذلك الزمن، وكأننا ذهبنا لنصورها حية. وأن المعنى النهائي لها في البنيوية أنها بنية متكونة، متزامنة، منتظمة الحركة، مبلورة النسق، بنية تعمل بقوانين لها قارة فيها، وهي في خصائصها هذه قابلة للعزل ولكشف نظامها ولكشف قوانين هذا النظام، وحركة تلك العناصر المتعايشة في هذه البنية؛ وفقا لهذا النظام [٢].

وكنا قد دونا توا أيضا أن مصطلح Synchronic يرتكز على مفهومين هما: الاشتراك في زمن والتفاعل بين العناصر المشتركة في ذلك الزمن.

فأي من الترجمات السابقة يحمل هذين المفهومين؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال، هي التي تمثل إشكالية ترجمة المصطلح إلى العربية.

ولنأخذ مجموعات الترجمات السابقة التي وضعناها؛ بغية التحليل، في وحدات متجانسة دلاليا، لا عددا يعبر عن جمع في مجموعة، حتى لو تكونت من مصطلح واحد، ونناقشها مجموعة مجموعة قياسا على مرتكزي معنى المصطلح.

نستبعد بداية مجموعة الترجمات التي نقلت المصطلح بنطقه الأجنبي على عادة الـ Transliterate بصياغاتها المختلفة، إذ لا فائدة منها في فعل المثاقفة،

(١) خرّج د. يوسف وغليسي، في كتابه: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص١٤١١٤٣؛ كثيرا من المصطلحات التي استخدمناها، وذكرها عند أصحابها.

(٢) د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): في معرفة النص، ص٣٣.

إذ إنها تعد في نظرنا مثل الجنين الخديج، الذي يجب دفنه، مثل: سنكرونية - السنكروني - سانكرونية.

والذين فعلوا ذلك؛ لم يكونوا بدعة في فعلهم؛ فلعلهم خشوا من عدم دقة علمية نقل المصطلح إلى العربية، كما خشى «ماريو باي» عندما تحدث بالطريقة نفسها عن مصطلحين آخرين هما: Parole و Langue؛ حيث يقول: «وأخيرا تجدر الإشارة إلى مصطلحين اثنين ذاعا على يد دي سوسير De Sausseure ويستحسن ألا يترجما، وأن يتركا في صيغتهما الفرنسية، وهما Parole و Langue [(١)].

كذلك نستبعد مجموعة الترجمات التي قُدِّمتْ عن طريق التسمية بالوصف إذا لا قيمة صياغية لها، مثل: دراسة الحالة الحاضرة الزمنية - حال الاستقرار - حال الثبات - التوزع الآني - عبر التزامنية. وفي هذا، تتضح الإشكالية الأولى من إشكالات ترجمة المصطلحين، وهي: العجز عن صياغة المصطلحين، يسوق تسميتهما بالوصف.

والحق أننا لو طبقنا مرتكزي المفهومين السابقين، اللذين يتبديان من معنى مصطلح الـ Synchronic، كما حددناهما آنفا؛ فإننا لن نجد أكثر من ترجمة واحدة، من جملة ما سبق تعبر عنهما تعبيرا شموليا. وفي هذا، تتضح الإشكالية الثانية من إشكالات ترجمة المصطلحين، وهي: عدم وجود لفظ يجمع بين معنيي مرتكزي، كل مصطلح على حدة إلا فيما ندر.

فالمجموعة الأشهر في الاستخدام العربي وهي: تزامن - التزامن - تزامني - التزامني؛ ربما كانت هي الوحيدة القادرة على تمثل هذين المرتكزين؛ لذا نرشحها استخداما لترجمة المصطلح إلى العربية، فالاشتراك في الزمن قائم فيها متعاضدا مع البنية الصرفية: تفاعل/تزامن؛ التي تحمل معنى التفاعل بين

---

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، ص١١٥.

العناصر المشتركة في الزمن. ولعل سبب كونها الأشهر في الترجمات العربية، أنها حققت المرتكزين.

لكن هل ثبَّت وجود مرتكزي معنى المصطلح قَدَمَي هذه الترجمة في المدونة العربية؟

إن الناظر فيما تبقى من مجموعات يتأكد من عدم حدوث ذلك، فالمجموعة: وصفي – وصفية؛ هي الأقل شهرة نسبيا مما سبق في الاستخدام العربي؛ بمعنى أنها تحتل المرتبة الثانية في الاستخدام، رغم أنها لا تعبر عن أي معنى لمرتكزي معنى المصطلح السابق، فما الذي جعلها مستحقة لمكانة هذا التواتر؟

إن الذي جعلها تستحق ذلك هو العرض السوسيري، الذي جعل قطيعة معرفية مع علم اللغة التاريخي، في مقابلة مع علم اللغة الوصفي، ومن الوصفي انسحبت الصفة على الـ Synchronic، فصارت تسميته له كما بدا، دون اكتنازها بمرتكزي معنى أي ما سبق.

هذا، وعلى الرغم من ارتباط معنى Synchronic بالوصفية؛ فقد أعتقد أن مصطلحا آخر ينبغي أن يرتبط مع Synchronic أكثر من الوصفية، رغم أن هذا المصطلح قُدِّم في تاريخنا اللغوي على أنه مضاد للوصفية، وهو مصطلح المعيارية Prescriptive، الذي يقوم على فرض القاعدة؛ أي يبدأ بالكليات وينتهي إلى الجزئيات [(١)]. فلو تأملنا في هذا الفعل الأخير نجده هو فعل Synchronic باقتدار. وهو نفسه فعل المعيارية الأساسي، الذي قامت به في زمن ما لاستخراج القواعد Standared language . والذي لا شك فيه أن فعلها الأساسي هذا في ذلك الزمن تم عن طريق الوصفية أيضا، ثم بعد ذلك توقفت المعيارية عن اصطحاب وصفيتها في الفعل، وصارت تحاكم الوصفية التي جلبتها صفة وكيانا على أدنى خروج معياري حسابا عسيرا، ومن ساعتها انفصلت المعيارية عن الوصفية عن

(١) د. علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص٢٣.

Synchronic، رغم أن فعلها السابق هو الأقرب لفعل Synchronic؛ حتى بثباتها الحالي التي هي عليه في أي لغة ثبات Synchronic حتى وإن كان كاذبا.

واستغرب جدا في ارتباط Synchronic بالوصفية المتغير معناها دوما عند مقابلته مع المعيارية، وعدم ارتباطها بالمعيارية رغم أن الأخيرة أقرب لطبيعة عملها على الأقل في الزمن الذي نَصَّبت فيه نفسها بفضل الوصفية، مصطلحا معياريا حاكما متوجا قبل أن تتخلى عمن ساعدها في هذا.

ويرتبط أيضا بترجمة الوصفية خلطا مصطلح Descreption والذي يعني الوصف في استخدامات الدراسات البلاغية والنقدية العربية؛ قديما وحديثا؛ فقديما قال قدامة بن جعفر في باب « نعت الوصف »: « الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات »[١]، وحديثا قالت الدكتورة سيزا قاسم: أنها لم تجد أفضل من تعريف قدامة للوصف [٢].

ولقد ساق أبو هلال العسكري تعريفا للوصف يقترب من مفهوم Synchronic، حيث يقول: « أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نَصْبَ عينيك » [٣]. فنصب عينيك هذه هي ما قدمتُه سابقا في تعريف Synchronic، من أننا نصفها وكأننا نراها الآن، لكن شتان بين وصف أبي هلال العسكري ووصف Synchronic، فوصف أبي هلال العسكري يستوعب أكثر معاني الموصوف، من خلال كلام شعري خاص، ووصف Synchronic يهتم بكل شكل (موفولوجيا) الموصوف من خلال حالة لغوية مطلقة.

وهذا اللبس بين الوصفية والوصف هو الذي أوقع مصطلح Synchronic في كثير من إشكالات معناه، فكثيرا ما مورس الوصف بمفهوم قدامة وأبي هلال

---

(١) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، ص١١٨.

(٢) د. سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ص٧٩.

(٣) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص١٢٨.

العسكري وصاحبه يتخيل أنه يمارسه بمفهوم وصفية Synchronic. وفي هذا تتضح الإشكالية الثالثة من إشكالات ترجمة المصطلحين، وهي: تداخل كثير من مصطلحات ترجمتهما، مع مصطلحات قارة قبل ذلك، أو مصاحبة لهما.

وفي كتابه أسس علم اللغة ينتصر « ماريو بان » لوضع الوصفية مقترنة مع Description، ووضع التاريخية مقترنة مع Historical، يقول: «إن علم اللغة الحديث ليقسم الآن إلى قسمين هما: علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics، وعلم اللغة التاريخي Historical Linguistics[1]. وعندما يتحدث عن Synchronic وDiachronic يجعلهما مترادفين لهما، يقول: «وهناك مصطلح يستعمل لعلم اللغة التاريخي، هو: Diachronic Linguistics، ومصطلح آخر، يرادف علم اللغة الوصفي، هو: Synchronic Linguistics»[2].

ولا شك أن الفهم بطريقة الترادف هذا هو الذي أدخل Description في Synchronic، والجمع بينهما يضر بمعناهما معا.

يرتبط بهذا أيضا المجموعة: التواقت - توقيتي، والمجموعة: الآني - آنية - الآنية - الراهن، والمجموعة: التعاصر - تعاصرية، والمجموعة: قراري - سكوني، والمجموعة: المحايث - المحايثة. فكل مفردات هذه المجموعة تنتمي إلى مرتكز واحد هو المرتكز الأول: الاشتراك في زمن، بمعنى أنها تمثل نصف مرتكزي معنى المصطلح، فيما عدا ثلاثة مصطلحات، وهي: التواقت - التعاصر - تعاصرية، تنتمي إلى مرتكزين، هما: الاشتراك في الوقت، والاشتراك في التواقت/التعاصر/التفاعل بين العناصر المشتركة في الوقت/العصر، الحال التي تجعلها تتساوى رتبة بمصطلح التزامنية؛ لكن لأن ارتباطها بضابط زمني يبدو قليلا جدا بالنسبة لزمن التزامنية، وهو الوقت والعصر، يجعلها قد لا

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، ص٣٦.

(٢) نفسه، ص٣٦.

تنهض بدراسة نسقية أو بنيوية؛ لذا نضعها عندنا خارج المنافسة المصطلحية. وإذا كان مصطلحا: قراري، وسكوني قد حظيا بمرتكز واحد، هو: الاشتراك في الزمن؛ فإن استبعادهما أوجب، وذلك لأنهما قد يظهران أن الحالة اللغوية التي تدرسها Synchronic، لا تتحرك البتة، إذ إن Synchronic، تصف اللغة في حالة حركتها، لا سكونها، ولا قراراها، رغم أن المقصود بها حتما، هو سكون واستقرار القواعد والمفردات والشكل دون تغيير أو هدم، وثمة سبب ثالث يختص به المصطلح سكوني دون قراري؛ وهو أنه قد يوحي في الأخير بارتباطه بنفس حروف Synchronic، ومن ثم ي يتواتر معناهما ترابطا شرطيا، وكأنهما صياغة واحدة من جذر واحد، والوضع الأصلي لهما غير ذلك.

وفي الإنجليزية مصطلح لفظه: Immanence، وهو في الأصل مصطلح فلسفي أُلحق بالمدونة النقدية، وترجم بألفاظ كثر، حاملا من مُترجمه معاني: كموني - سكوني - محايث - قراري؛ وذلك لأنه معناه يدل على: « ما يكمن في أية ذات كمونا دائما وملموسا... وعلى ما يصدر عن كائن؛ تعبيرا عن الجوهر، الذي يحمله الكائن، في ذاته »[(1)]. ونرفض هذا المصطلح أيضا: كموني؛ للسبب الذي رفضنا به مصطلحي قراري، وسكوني، فضلا عن أن اللفظ محايث، لا يبين له جذر لغوي عربي.

يتبقي مصطلح آخر تُرجمت Synchronic به، وهو مصطلح الاستبدالية، وكما يتبدى من صياغته ظاهريا، فلا معنى فيه يقترب من مرتكزات الـ Synchronic، وكان الأجدى به - شكلا - أن يعلق بالـ Diachronic، التي قد يكون في تغير عناصرها أو هدمها استبدالا؛ لذا فإن استخدامه في Synchronic يعد ظاهرا خطأ بينا، ولكن كيف تواتر ذلك اللفظ الغريب إلى معنى Synchronic الواضح المرتكزات في الترجمات العربية؟

(١) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، AG ، ص٦٢٢.

تواتر ذلك من اللبس الذي قد يظهر بين Diachronic و Synchronic و Syntágmatic وParadigmatic ، وهما المصطلحان اللذان أوردناهما في انجازات طرح سوسير في البداية، والذي يبين عن أن Syntágmatic تتمثل في البعد الأفقي المنطبق على تتابع المنطوق، وParadigmatic تتمثل في البعد الرأسي المتمثل في أنظمة العناصر أو الفئات المتقابلة.

ولقد أورد د. يوسف وغليسي في كتابه: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد [(١)]؛ حديثا عن خطأ د. عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المتجاورة في استخدام هذين المصطلحين. ولقد استشهدنا بكلام د. عبد العزيز حمودة هنا؛ لاختبار هذا المأخذ عليه؛ يقول النص: « إن اللغة، بالنسبة لمؤسس البنيوية اللغوية، شكل وليست مادة، ومن ثم، فإن شتراوس حينما يطبق مقولة سوسير الأساسية حول التركيز على العلاقات بين الأنساق على الشكل وليس المادة، يقوم بتحديد الخطوات التفصيلية للتحليل اللغوي، وهو تحليل ضروري قبل الانتقال إلى دراسة علاقة اللغة بالأنساق الأخرى؛ تاريخية أو اجتماعية أو نفسية أو أنثروبولوجية. بداية يجب أن يركز التحليل اللغوي على الداخل، على الوظائف الداخلية للأنساق الصغرى، في علاقتها بعضها ببعض. ثانيا، يجب تقسيم التعبير اللغوي إلى عدد محدد من العناصر. ثالثا، عناصر اللغة تحددها علاقاتها المتبادلة، وهذه العلاقات استبدالية Synchronic، يمكن على أساسها لعنصر أن يحل محل عنصر أو عناصر أخرى، وتعاقبية Diachronic بين عناصر تجتمع معا في نفس الوقت «[((٢))].

وكما بدا فعلا ارتبط مصطلح الاستبدالية مع Synchronic، والتعاقبية بالـ Diachronic، مع أن الوضع العلمي ليس كذلك، فلو بدل الأستاذ الدكتور عبد العزيز حمودة موضعي مصطلحيه السابقين، بالـ Paradigmatic وSyntágmatic لاستقام الحال عند د. يوسف وغليسي.

(١) د. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص١٤٣.

(٢) د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التركيبية، ص٢٠٣.

على أننا قد نرى صوابا معرفيا في استخدام د. عبد العزيز حمودة مصطلحي Syntágmatic وParadigmatic، في موضعهما بتلك الهيئة، بدلا من مصطلحي Synchronic و Diachronic؛ وذلك استنادا إلى دمج سوسير الـ Synchronic وDiachronic، بالـSyntágmatic وParadigmatic، ففي مثاله التشبيهي الذي بيّن فيه آليتي هذا الدمج، وهو مثال جذع الشجرة، الذي يبين عن أن القطع العرضي/الأفقي في الجذع، هو فعل الـ Synchronic، وهو هو الفعل نفسه الذي يفعله الـ Syntágmatic، والقطع الطولي/الرأسي في الجذع، وهو هو فعل الـ Diachronic، هو هو الفعل نفسه الذي تفعله الـ Paradigmatic؛ لذا فلا غضاضة في هذا السياق من وضعهما معا في وضعية الاستبدال[1]. وفي هذا، تتضح الإشكالية الرابعة من إشكالات ترجمة المصطلحين التي سقناها بداية، وهي: الخلط في ترجمة مصطلحيهما مع ألفاظ مصطلحات أخرى.

وفي الأخير، كما بدا؛ فأنا أفضل استخدام ترجمة Synchronic: بالوصفية؛ للتعامل من النسق السوسيري، واستخدام الترجمة: التزامنية؛ للتعامل مع البنية في البنيوية، لا سيما والوصف فيما يرى فيليب فامون «يبدو متأبيا بصفة خاصة على مختلف المناهج المستلهمة من البنيوية» [2].

ثانيا - Diachronic:

تُرجم هذا المصطلح أيضا إلى العربية مرارا بصياغات مختلفة، هي: تعاقب - التعاقبي - التعاقب - تعاقبية - التعاقبية - تطور - التطور - دراسة التطور عبر الزمنية - تطوري - تزمن - الزمني - زماني - الزمنية - التزامن - زمانية - زمنية - التاريخي - تاريخي - تاريخية - تأريخي - التاريخية - التوالدي - التفارق - التلاحقية - تغير - التتابع - دياكرونية - دايكرونية - الدياكروني [٣] - حركي - متحرك.

(1) http://www.encyclopedia.com/doc/1O29DIACHRONICANDSYNCHRONIC.html.

(2) Philippe Hamon, Du Descriptif, Hachette Livre,Paris.1993.P;6.

(٣) الناقلون عن الفرنسية يقولون: دياكرونية، والناقلون عن الإنجليزية يقولون: دايكرونية. انظر، د. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص١٤٣.

ولقد كنا ذكرنا آنفا أن معنى الـ Diachronic في كلام سوسير هو دراسة التغيرات التي تحدث في عناصر اللغة؛ صوتا على الأغلب، في زمن ما، أو في عدة أزمنة؛ معنى هذا أن التعاقبية عكس التزامنية، فإذا حدثت التزامنية في زمن ما، فلا مجال للتعاقبية، وإذا حدثت التعاقبية، فلا مجال للتزامنية، وإن كان بعضهم يرى استحالة إقامة الفصل بينهما، لكننا نرسخ الفصل؛ بما ذُكر سابقا بضرورة الفصل، ولو على سبيل من الجبر الرياضي.

وكنا قد دوَّنَّا توا أيضا أن مصطلح Diachronic يرتكز على مفهومين هما: التغير في الزمن، والتغير بين العناصر المشتركة في ذلك الزمن.

فأي من الترجمات السابقة يحمل هذين المفهومين؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال، هي التي تمثل إشكالية ترجمة المصطلح إلى العربية.

ولنأخذ مجموعات الترجمات السابقة التي وضعناها كما فعلنا في Synchronic؛ ونعرضها للتحليل، عبر سوق وحدات منها متجانسة دلاليا، لا عددا يعبر عن جمع في مجموعة، حتى لو تكونت من مصطلح واحد؛ ونختبرها قياسا على ميزان المرتكزين:

على أننا يجب أن نستبعد بداية مجموعة الترجمات التي نَقَلت المصطلح بنطقه الأجنبي على عادة الـ Transliterate بهيئاته المختلفة، إذ لا فائدة منها في فعل المثاقفة، إذ إنها تعد في نظرنا مثل الجنين الخديج، الذي يجب دفنه، كما بينا ووصفنا سلفا، مثل: دياكرونية - دايكرونية - الدياكروني.

كذلك للسبب نفسه، نستبعد أيضا مجموعة الترجمات التي قُدِّمتَ عن طريق التسمية بالوصف إذا لا قيمة صياغية لها، من مثل: دراسة التطور عبر الزمنية. وفي هذا الاستبعاد أيضا كما كان في الـ Synchronic تتضح الإشكالية الأولى

من إشكالات ترجمة المصطلح، وهي: العجز عن صياغة المصطلحين، يسوق تسميتهما بالوصف.

كذلك نستبعد مجموعة ما تمت ترجمته بالتزمن - الزمني - زماني - الزمنية - التزامن - زمانية - زمنية؛ وذلك لأنها لا تنتمي لأي من المرتكزين السابقين بصلة؛ فحتى أول مرتكز؛ الخاص بالتغير الزمني، لا يوجد صراحة فيها، رغم أن صياغتها كلها منه؛ ولتداخلها أيضا مع تزامنية Synchronic؛ بداية من المادة المشتركة: زمن، ووصولا لعدم تفرقتها بين الزمن والزمان، فضلا عن اشتمال أحدها علي صيغة ذاتية، لا تعتمدها أبدا اللغة، بل يفعلها الكلام؛ وهي التزمن/التفعل.

وثمة مجموعة أخرى استبعدناها، هي المصطلح: حركي، وهيئته الأخرى: متحرك؛ لأنهما قد يُلتبس بهما أن Diachronic هي التي تتحرك وأن Synchronic ساكنة، فالحركة حادثة لا ريب في اللغة؛ Synchronic، ثم بعد ذلك؛ Diachronic.

والحق أننا لو طبقنا المرتكزين، اللذين تبديان من معنى مصطلح الـ Diachronic، كما حددناهما آنفا ؛ فإننا لن نجد أكثر من ترجمة، من جملة ما سبق تعبر عنها تعبيرا شموليا. وفي هذا، تتضح الإشكالية الثانية من إشكالات ترجمة المصطلح، وهي: عدم وجود لفظ يجمع بين معنيي مرتكزي كل مصطلح على حدة إلا فيما ندر.

في المجموعة الأشهر في الاستخدام العربي وهي: تعاقب - التعاقبي - التعاقب - تعاقبية - التعاقبية؛ نجد أنها فقط، هي التي تعبر حقيقةً عن وجود المرتكزين؛ فأحدهما، التغير في الزمن قائم فيها، عقب بعد عقب، وثانيهما، التغير في العناصر قائم فيها عقب بعد عقب أيضا؛ من خلال صيغة تفاعل/تعاقب؛ لذا نرشح اختيارها لتقوم بمهمة الترجمة دون غيرها.

وقد يرتبط بهذا أيضا مجموعتان مغمورتان، من مثل: التلاحقية، ومن مثل: التتابع؛ للوضع نفسه الذي سقناه في التعاقبية، لكننا نرفضهما معا لصالح التعاقبية، لقلة شيوعهما.

ويرتبط بهذا أيضا المجموعة: تطور – التطور – تطوري؛ إذ إنها تعبر أيضا عن المرتكز الأول، في تغير الزمن، وعن المرتكز الثاني، في تغير العناصر، دون وجود ذلك في صياغة اللفظ مثل الصياغة تفاعل، بل في فحوى المعنى التطوري، لكنا نستبعدها؛ لأن لفظ التطور يحمل معنى الارتقاء دائما، وهو ما لا يحدث دائما في التغيرات التي تحدث سواء داخل النسق أو داخل البنية، فضلا عن أنه يرتبط بنظرية شاع ذكرها وانتشر، واشتهر فيها، وهي نظرية داروين.

يرتبط بهذا أيضا مجموعات، من مثل: التفارق، ومن مثل: التغير، ومن مثل: التوالدي، للوضع نفسه الذي سقناه للتطور؛ فضلا عن أن مصطلحي: التفارق – التغير، يثبتان لحظة تفارق وتغير لا تجعلان معنيي التغير والتفارق تراكميين؛ ومصطلح التوالدي؛ لارتباطه بمصطلح بنيوي شبيه في البنيوية التكوينية. وفي هذا، وما قبله، تتضح الإشكالية الثالثة من إشكالات ترجمة المصطلحين، وهي: تداخل كثير من مصطلحات ترجمتهما، مع مصطلحات قارة قبل ذلك، أو مصاحبة لهما.

وفي المجموعة الأكثر شهرة في الاستخدام العربي، وهي: التاريخي – تاريخي – تاريخية – تأريخي – التاريخية؛ نجد أنها تعبر فقط عن مرتكز واحد، هو الأول، في تغير الزمن، وتخل بالمرتكز الثاني، في تغير العناصر؛ بمعنى أنها حققت نصف مرتكزي معنى المصطلح، يضاف إلى هذا أن المصطلح التاريخي يشير إلى تغير ماض في النسق، ولا يشير إلى إمكانية حدوث هذا التغير في فعلهما المستقبلي، هذا فضلا عن أنه يختلط في تسميته بالتاريخية في علوم التاريخ؛ وفي هذا تتضح الإشكالية الرابعة من إشكالات ترجمة المصطلحين، وهي: الخلط في ترجمة مصطلحيهما مع ألفاظ مصطلحات أخرى ؛ لذا كان يتوجب علينا استبعادها،

وبالفعل فعلنا ذلك عندما وضعناها في البنيوية، وفضلنا عليها التعاقبية كما بدا سابقا. لكن الذي جعلها تستحق أن نرشحها للاستخدام المصطلحي لمعنى الـ Diachronic، في العرض السوسيري، هو العرض السوسيري نفسه، الذي جعل علم اللغة الوصفي الذي هو سمة الـ Synchronic، في قطيعة معرفية مع علم اللغة التاريخي، الذي هو الـ Diachronic، وإذا كنا قد اخترنا الوصفية ترجمة للـ Synchronic، فكان حتما أن نختار التاريخية ترجمة للـ Diachronic، لتقفل دائرة التقابل بينهما سوسيريا.

وكما بدا؛ فأنا أفضل استخدام ترجمة Diachronic بالتاريخية؛ للتعامل من النسق السوسيري، واستخدام الترجمة: التعاقبية؛ للتعامل مع البنية في البنيوية.

وفي النهاية أتساءل: أي هيئة من الهيئات المفترضة الأربعة، التي حددناها في توطئة البحث؛ يمكن أن نضع مصطلحينا فيها؟

لا شك أن الإجابة قد اتضحت صراحة بما مِلنا إليه من اختيار مصطلحي فيما سبق.

خاتمة :

لعل ما ترتب على تقديم مفهومي مصطلحي البحث ولفظهما، وما اتضح عبر مدخلي اللغة والبنيوية، يتبلور فيما يلي:

١ - من جملة عرض طروح سوسير في Diachronic & Synchronic يَتَّضح ما يلي:

أ - أن دراسة الـ Diachronic & Synchronic مرتبطة بالـ Langue (لا) Parloe؛ معنى ذلك أنها لا تتوقف أمام الأداء الفردي أبدا، ولا تسترع كثيرا في هوى دراسة النصوص المكتوبة.

ب - أن دراسة الـ Synchronic ترتبط بدراسة (الحالة اللغوية الثابتة المطلقة) شكلا (مورفولوجيا)؛ معنى ذلك أنها لا تلتفت إلى العصور والفترات ما لم تلتبس بالشكل. ج- أن دراسة الـ Diachronic ترتبط بدراسة (الحالة اللغوية الثابتة المطلقة التي تغيرت) صوتا؛ معنى ذلك أنها لا تلتفت إلى العصور والفترات أيضا، ولا إلى القواعد؛ ونادرا جدا ما تتعرض إلى دلالات الكلمات والتطور في الأصناف النحوية.

د - أن تغير العصور والفترات قد يتماس انطباقا مع Synchronic، وقد لا يتماس؛ بمعنى أنه يمكن (للحالة اللغوية الثابتة المطلقة) أن تظل ثابتة رغم التغير من عصر إلى عصر ومن فترة إلى فترة، أو أن تتغير في ظرف آخر حتى داخل العصر الواحد أو الفترة الواحدة.

هـ - أن حدوث الـ Synchronic في حالة لغوية مطلقة في زمن ما، ينفي حدوث الـ Diachronic في نفس الحالة اللغوية المطلقة في ذاك الزمن، وكذلك فإن حدوث الـ Diachronic في حالة لغوية مطلقة تغيرت في زمن ما، ينفي حدوث الـ Synchronic في نفس الحالة اللغوية المطلقة التي تغيرت في ذاك الزمن.

و - أنه على سبيل التجوز، لا العلمية: أن ندرس لغة ديوان أو لغة قصيدة؛ تزامنيا/وصفيا بطريقة سوسير.

٢ - ومن جملة عرض طروح البنيوية عن Diachronic & Synchronic يُنبَّه إلى فعل ما يلي:

أ - استخدام مصطلح التزامنية بمعنى الوصفية، دون ربطها بالبنيوية كما هو فعل التزامنية الأصلي عند سوسير، وتخطي وصف التزامنية بكل ما يمكن أن يقوله المنهج الوصفي لدراسة شيء ما إلى البنية كما هو فعل التزامنية الأصلي في البنيوية؛ فتزامنية الوصفية عند سوسير تعمل بنيويا وغير بنيوي، وتزامنية البنيوية تتخطى تزامنية الوصفية إلى ما هو أبعد؛ وهو تحديد البنية ككل؛ لذا فإن كل دراسة تزامنية بنيوية وصفية سوسيرية، وليست كل دراسة وصفية سوسيرية بنيوية. والدليل على ذلك أن استعراضا لآليات المنهج الوصفي يبين عن ذلك، ولننظر إلى محددات ذلك المنهج كما وردت في كتاب المنهج الوصفي في كتاب سيبويه للدكتور نوزاد حسن أحمد [(١)]:

أولا - دراسة اللغة وفق منهج علمي صائب تشكل اللغة مادته الرئيسة.

ثانيا - دراسة لغة معينة في زمان ومكان محددين.

ثالثا - الفصل بين المظهر الاجتماعي للغة، والمظهر الفردي لها.

رابعا - جعل اللغة المنطوقة هدف البحث اللغوي.

خامسا - ربط الدرس اللغوي بالاستعمال الواقعي للغة.

سادسا - الاعتماد على المتكلم الأصلي للغة.

سابعا - اتخاذ الاستقراء العلمي منهجا لاستنباط الحقائق اللغوية العامة.

(١) د. نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص٢٨٢٩.

ثامنا - رفض القياس المستند إلى الفلسفة والمنطق الأرسطي، وتأكيد دراسة اللغة في ضوء القياس الطبيعي المعبر عن منطق اللغة.

تاسعا - الحرص على الموضوعية في إطلاق الأحكام المستقراة من اللغة، والابتعاد عن فرض آراء مسبقة لا علاقة لها باللغة.

عاشرا - إبراز شخصية الباحث الوصفي من خلال ربط الوصفي الموضوعي بالتفسير الذي لا يخرج عن منطق اللغة.

حادي عشر - دراسة المستويات اللغوية على أساس من التحليل الشكلي، والتحليل الوظيفي والدلالي، وعلى أساس العلاقة بين المستويات اللغوية الثلاثة.

وكما بدا، فالكاتب لا يربط الوصفية بالمنهج البنيوي وإنما يربطها بأي منهج آخر، يعممه في أولا بقوله (وفق منهج علمي صائب) وقوله في ثانيا (دراسة)، ورابعا بقوله (هدف البحث اللغوي) وخامسا بقوله (الدرس اللغوي) وسابعا يحدده بغير محدد، بقوله (اتخاذ الاستقراء العلمي منهجا) وثامنا بقوله (دراسة اللغة في ضوء الاستقراء الطبيعي) وعاشرا بقوله (الموضوعي) ويحدده أعمق من ذلك في حادي عشر بقوله (التحليل الشكلي والتحليل الوظيفي والدلالي).

وكما يتضح فإن فعل سوسير التزامني، كان وصفيا دون فعل البنيوية التزامني الذي كان بنيويا؛ لذا اقترحت الدراسة ترجمة Synchronic سوسير بالوصفية، وSynchronic البنيوية بالتزامنية. وأن تجتهد في الفصل بين الوصفين؛ إدراكا لقيمة التطور العلمي. ولا أدري لماذا لم يستخدم اللغويون الوصفية كما استخدمها النقاد وصفا بصفة عامة بمفهوم Descrepition، دون إلحاقها بتزامنية نسق سوسير؟

ب- عدم ربط الدراسة طبقا لسوسير، أو البنيوية، بعصر أو وقت، قبل تمام التأكد من انتهاء النسق أو البينة عنده؛ فقد نأخذ مثلا دراسة

صوتية للشعر الجاهلي، أو دراسة بنيوية للشعر ذاته، ونحن لا نعلم أنها يمكن أن تكون قد امتدت لعصر صدر الإسلام أو الأموي أو غيره؛ فالنظم اللغوية والبنيوية كما بيَّنَّا، لا تحدها عصور وأوقات؛ لأنه يمكن أن توجد في العصر الجاهلي نفسه نظم لغوية أو بنيوية تقف عنده وحده، ولا تتعداه إلى سواه، فالنظام النسقي أو البنيوي هو الضامن وهو المقصد، وليس العصر أو الوقت؛ لذلك ينبغي إعادة تقسيم تاريخ اللغة، وتاريخ الأدب إلى تاريخ النظم اللغوية والبنيوية، فالتقسيم بتاريخ الأدب السياسي ضال مضلل، فقد تستمر نظم لغوية وبنيوية في أكثر من عصر، أو تختفي في عصر واحد ويظهر غيرها. من هنا فإن الدعوة قائمة لإعادة رسم التاريخ اللغوي والأدبي وفقا للنظم في مجالات اللغة كافة، والإبداع؛ شعرا وسردا وخطابة، إلخ، دون تقييدها بالتقسيم السياسي؛ جاهلي، صدر إسلام، أموي، عباسي، إلخ.

ج- الاقتصار على مصطلح التعاقبية عند ربطه بالخلل البنيوي الذي يحدث في البنية، أما إذا استخدم بمعنى التاريخية فليقتصر على فعل الطرح السوسيري بوصفه وجها مقابلا للوصفية، يبين عن حاصل جمع تغيرات وصفية تراكمت عبر التاريخ في النسق، دون وصفها بالخلل أو الهدم كما البنيوية؛ لذا اقترحت الدراسة ترجمة Diachronic سوسير بالتاريخية، وDiachronic البنيوية بالتعاقبية، يترتب على هذا أنه ينبغي وصف كل تغير، بالتعاقبية طالما حدث في البنية، وكل تغير بالتاريخية، طالما حدث في النسق.

د- أنه على سبيل غير علمي أن ندرس ديوانا أو قصيدة تزامنيا بطريقة البنيوية؛ وذلك أن « الانتظام له في حقيقته أو في ماديته، صفة زئبقية،

والتقاطه ليس ممكنا إلا على مساحة تاريخية واسعة [١]. هذه المساحة التاريخية الواسعة هي التي تسمح بوصول « البنية إلى مستوى من النضج تنتظم معه العلاقة بين عناصرها» [٢].

(١) د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): في معرفة النص، ص٦٦.

(٢) نفسه، ص٦٥.

قائمة المراجع:

* أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

* بسام بركة: معجم اللسانية، منشورات جروس، برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

* أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، A-G ، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط٢، ٢٠٠١م.

* جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، الدقي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

* جون ستروك: البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا، سلسلة عالم المعرفة، (٢٠٦)،، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦م.

* د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

* دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية (٣)، القاهرة، ٢٠٠٢م.

* رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للحكايات، من كتاب: من البنيوية إلى الشعرية، تأليف: رولان بارت وجيرار جينت، ترجمة: د. غسان السيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠١م.

* ر.هـ.روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، فصل علم اللغة في القرن العشرين، عالم المعرفة، (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ١٩٩٧م.

* د. سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٨٤م.

* د. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

* د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التركيبية، عالم المعرفة، (٢٣٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إبريل، ١٩٩٨م.

* د. علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٦م.

* فرديناند دي سوسير: فصول من دروس في علم اللغة العام، ترجمة: عبد الرحمن أيوب. مقال من كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السميوطيقا، إشراف: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

* فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، أفاق عربية، (٣)، سلسلة كتب شهرية، بغداد، العراق، ١٩٨٥م.

* قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩م.

* د. مبارك المبارك: معجم المصطلحات الألسنية؛ فرنسي، إنجليزي، عربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

* ماري آن بافو وجورج إليا رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقرن

إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، آذار (مارس)، ط١، ٢٠١٢م.

* ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة، عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.

* ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م.

* محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م

* د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.

* د. نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبوية، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٧م.

* د. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

الحجاج بين بلاغتين
«دراسة في المصطلح»

أ.د. السيد عبد السميع
حسونة
كلية اللغة العربية،

جامعة القصيم

شكر وتقدير

أبدأ هذا البحث بتقديم جزيل الشكر والتقدير لمركز الملك عبد الله الذي وجه الدعوة ودعم الفكرة في اليوم العالمي للغة العربية، والشكر موصول لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة القصيم، الذي احتضن الندوة ورعاها.

هذا وما التوفيق إلا من عند الله.

«لا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي» ابن حزم الأندلسي.

مدخل :

البحث محاولة لقراءة جديدة في فك مغالق مصطلح الحجاج، وكشف كوامنه القصية، باعتباره منطلق البلاغة القديمة من جهة، وباعتباره - أيضاً - مصدر انبعاث البلاغة الجديدة، من جهة أخرى، بعد زمن طويل اقترنت فيه البلاغة بالخطاب الأدبي، وليس بالخطاب الحجاجي، حتى أصبحت بلاغة ضيقة،

ومختزلة[1]، أو ميتة[2]، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قبلت أي مرجعية تسعفني على تحقيقه، بغض النظر عن زمان هذه المرجعية (ماضياً كان أو حاضراً)، وعن مكانها (غربياً كان أو عربياً).

ومما زادني اهتماما بهذه القراءة في مصطلح الحجاج كونه حظي في السنوات الأخيرة باهتمام متزايد، وبعناية متفاقمة شرقاً وغرباً؛ لارتباطه بكل مجالات الحياة العلمية والثقافية، وحاجتنا إلى ممارستنا له من أجل التواصل مع الآخرين، وإقناعهم بوجهة النظر، أو الرأي، أو الموقف، أو السلوك، وغير ذلك.

أما اختيارنا ليكون الحجاج بين بلاغتين، فيعود إلى إيماني بكون الحجاج كان حاضرا في البلاغة العربية بشكل ملحوظ، وأنها شكلت أساساً خصباً في مفهومه، وزاوجت بين وظيفتيها: الإمتاعية والإقناعية.

ويعنينا في هذا السياق أن نبين أن هذه القراءة ليست تكراراً للقراءات السابقة، وإن استوعبتها، ولكنها قراءة للمصطلح في بعده التاريخي الذي تشكل في زمنه، وفي ضوء معطيات البلاغة الجديدة ومنهجياتها المجاوزة لكل ما

(١) العبارة لجيرار جينيت، ويقصد بهذا الوصف أن البلاغة كانت مع أرسطو وغيره من البلاغيين اليونان تعنى بالخطاب في كافة مستوياتها أو أجزائه (الحجج والترتيب والذاكرة والفعل) فأصبحت في العصر الحديث بلاغة تعنى بالأسلوب أو فن العبارة فقط، بل بجزء من الأسلوب وهو الاستعارة، فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال وزميله،٢٠١٣م، ص١٠ وما بعدها من مقدمة المترجمين.

(٢) من قول رولان بارت، الذي ذكر أن موت البلاغة بدأ في القرن السادس عشر، عندما حصر بيير دي لارامي في كتابه «الجدل» البلاغة في دراسة فن العبارة؛ أي المحسنات الأسلوبية، ليحدد وظيفتها في دراسة وسائل التعبير الجميلة، بدل أن تكون دراسة للحجاج، وهذه البلاغة سادت لقرون طوال في الثقافة الغربية، وما زالت جاثمة على قاعات الدرس في معظم مدارسنا وجامعاتنا العربية، ولا يزال بعض الأساتذة يرتابون في أية محاولة لتجديد الدرس البلاغي الجامعي، ومده بنفس جديد يسهم في إخراجه من البحر الميت إلى المحيط الهادي، على الرغم من مرور ما يقارب قرنا من الزمان على دعوة الشيخ أمين الخولي إلى تجديد هذا الدرس، تلك الدعوة التي ظلت صيحة في واد، على الرغم من ظهور محاولات جديدة تطل علينا بين الحين والآخر من تونس والمغرب؛لإيمانهم بأن البلاغة أجدر الحقول بالتجديد لقدرتها على التفاعل، وبخاصة في ظل الحراك المجتمعي الجديد. السابق، بتصرف يسير.

سبقها من بلاغات، كما أن هذه القراءة لا تدعي لنفسها النهائية فيما توصلت إليه، ولا بد أن يأتي بحث ينقضها جزئيا أو كليا، من خلال قراءة أخرى جديدة في المصطلح.

وهكذا توزع البحث إلى مدخل وأربعة محاور وخاتمة، ففي المدخل كشفت عن الدوافع والاعتبارات، وفي المحور الأول تتبعت مفهوم الحجاج في المعاجم العربية، في حين اهتم المحور الثاني بمصطلح الحجاج في البلاغة الغربية القديمة، وقدمت في المحور الثالث ثلاثا من أهم المدارس الحجاجية الحديثة في البلاغة الجديدة، بينما حاولت في المحور الرابع أن أقدم مسيرة الحجاج في البلاغة العربية القديمة، وفي السياق القرآني، وحاولت في المحور الأخير أن أرصد الجهود العربية المعاصرة في تلقي مصطلح الحجاج، وخصصت الخاتمة لتجميع الاستنتاجات التي خلص إليها البحث.

وقد تبنيت في هذا البحث منهجاً تاريخياً وصفياً تحليلياً، أحاول من خلاله تتبع مسيرة المصطلح وتطوره من لدن النشأة اليونانية بدءاً من السفسطائيين، ومروراً بالإسهامات العربية، وانتهاءً بأقطاب نظرية الحجاج في العصر الحديث غرباً وعرباً.

الحجاج في اللغة:

جاء في لسان العرب:حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجة حتى حاججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة: البرهان، وقيل ما دوفع بها الخصم، وحاجه محاجة وحجاجاً: نازعه الحجة، ومن أمثال العرب: لج فحج، معناه لج فغلب من لاجه بحججه، وفي الحديث: «فحج آدم موسى» أي غلبه بالحجة، والحجة بالضم: الدليل والبرهان، أو هي ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد(١)، وقال الأزهري: الحجة:الوجه الذي يكون به الظفر

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٤١٤ه،مادة(ح ج ج).

عند الخصومة، ومن هنا يقصد (يحج) كل طرف حججه لإثبات دعواه، ودحض دعوى خصمه[١].

ومن الألفاظ التي تكون رديف الحجاج غالباً في اللغة لفظ الجدل، من جدل الحبل أي فتله، وجادله أي خاصمه، مجادلة وجدالاً، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة.

ومن شجرة نسب الحجاج في المعجم العربي أيضاً لفظ البرهان، وهو الحجة الفاصلة البينة، يقال:برهن يبرهن، برهنة، إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم، وقد عرف جميل صليبا في معجمه الفلسفي الحجاج بكونه «جملة من الحجج يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها»[٢].

الحجاج في الاصطلاح:

ليس من السهل أن نحظى بتعريف منضبط ودقيق للحجاج عند الغربيين؛ لأنه من المفاهيم المثيرة للالتباس لاختلاف مظاهره، وتعدد استعمالاته وأشكال توظيفه وتباين مرجعياته[٣]، التي تجعله يتغير بتغير زاوية النظر إليه ما بين

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠١م، مادة(ح ج ج).

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م،ج١،ص٤٤٦.

(٣) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر،ع:١، المجلد:٣٠،يوليو-سبتمبر،٢٠٠١م،ص٩٧.

منظور منطقي[١]، وتداولي[٢]، وبلاغي[٣]، مما يستحضر إشكالية تنوع دلالات مصطلح الحجاج واختلافها وتناقضها أحيانا. أما الحجاج اصطلاحاً عند العرب فلا يختلف كثيراً عن معناه اللغوي، إنه يدل على النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج.

وعلى أي حال فإن التعرض للحجاج من الناحية الاصطلاحية يدفعنا إلى تتبع المسار التاريخي له من خلال تحديدات بلاغي الغرب وبلاغي العرب.

أولا: الحجاج في البلاغة الغربية:

السفسطائيون[٤]:

تعد جهود السفسطائيين في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد بمثابة المبادئ الأولية المؤسسة لمصطلح الحجاج، فقد جعلوا الخطابة في صدر جميع الصنائع،

(١) في سياق هذه الدائرة جاءت أعمال كل من:ستيفن تولمين، وجون بليزكريز،حيث سعى الأول من خلال كتابه:استعمالات الحجاج إلى تبني منطق عملي انفتح على دراسة القانون والمرافعات، أما الثاني، فجاء كتابه: من المنطق إلى الحجاج، معتبراً الحجاج فعلاً خطابياً يجب أن يتخلى في معالجته عن المنطق الرياضي، وتصنيف الخطابات من خلال مبدأ الغائية. انظر: محمد طروس النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء،٢٠٠٥م، ص٩٣، وسعيد العوادي، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف:حافظ إسماعيلي علوي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص٢٥٨.

(٢) وتتمثل في أعمال كل من:ديكرو وأنسكومبر، من خلال كتابهما: الحجاج في اللغة، وأووركيوني من خلال كتابها: المضمر، والتي اعتبرت التداوليات «نزلاً أسبانياً للألسنية مهيأ لاستيعاب كل الأبحاث غير المتجانسة تقريباً». انظر السابق،و أوركيوني، المضمر، ترجمة، ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨م،ص٢٥.

(٣) ويمثلها:بيرلمان وتيتيكا في مصنفهما: مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة، وهما من رواد مدرسة بروكسل البلجيكية.

(٤) السفسطة:تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي، وقوي بأثينا في القرن٥ق.م، وصفة «سوفيستاس» كانت في الأصل لقب تقدير، تعني الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميزة في كل شيء، انظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٥٤ وما بعدها.

والخطيب البليغ عندهم يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه أو براعته بالأقيسة والقضايا[١].

أما جهودهم فيمكن إجمالها في اعتمادهم الاحتمال والظن والرأي والممكن وإتقانهم المجادلة والمحاورة القائمة على الاستدلال بالتلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة، اعتماداً على مجموعة من الحجج الواهية والخادعة، التي يهدفون من خلالها إلى التأثير والاستهواء، وبنوا حجاجهم على المصلحة الذاتية المستندة على ثنائية النفع واللذة: لذة الاستهواء بالنسبة للسامع ولذة النفع بالنسبة إلى القائل[٢].

فكان بهذا حجاجهم حجاجاً نفعياً، يخدم مصالحهم بعيداً كل البعد عن القيم الخلقية، وهو الأمر الذي أثار حفيظة أفلاطون فطاردهم في محاوراته مطاردة شرسة. ولا شك في أن للسفسطائيين فضلاً كبيراً في تطور مصطلح الحجاج؛ لأنهم أثاروا العقول وأناروا الأذهان، فتخرج من مدرستهم سقراط وأفلاطون[٣].

أفلاطون :

أما أفلاطون فقد عارض الحجاج عند السفسطائيين، ورفض منهجهم، وأدانه، وقدم حجاجاً بديلاً دافع عنه وأشاد به، وانطلق في تأسيسه لمصطلح الحجاج من المحاورات[٤]، ونظر إلى الحجاج باعتباره « قولاً صانعاً للإنسان

---

(١) عادل عبد اللطيف، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، مقاربة لآليات بلاغة الإقناع، رسالة دكتوراه بكلية الآداب، مراكش،٢٠٠٤م، مخطوط.

(٢) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مقال ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م، ص٦١.

(٣) عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مقاربة نظرية وتطبيقية، مراكش،٢٠٠٢م، ص٤٧.

(٤) أفرد أفلاطون لمواجهة الممارسة الحجاجية السفسطائية محاورتين اثنتين هما: «جورجياس» و«فيدر» نقد فيهما الخطابة السفسطائية.

والمجتمع صادراً عن الحقيقة لا عن المحتمل والظن، قاصداً إلى الفضيلة، وتحقيق الخير للناس».

كما ذكر ثلاثة أركان أساسية يجب أن تبنى عليها الخطابة وهي: اعتماد النهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس، وما يناسبها من أقاويل، ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب[١]، وهي نفس الأركان التي اعتمدها تلميذه أرسطو، وإن اختلف معه في بعض الأمور[٢].

أرسطو :

أما أرسطو رائد الاحتجاج والمرجع الأساس لكل الباحثين من بعده غرباً وعرباً، فقد جعل الحجاج قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة، وهو مستمد منهما، وهما معاً (الجدل والخطابة) يشتركان في كونهما قوتان لإنتاج الحجاج[٣]، أحدهما يرتبط بالإقناع من الناحية البلاغية، والآخر يجعله عملية تفكير تتم في بنية حوارية تنطلق من مقدمات تصل إلى نتائج تربط بها ضرورة[٤].

وميز أرسطو في تأسيسه لمصطلح الحجاج بين نمطين من الحجاج: الأول: الحجاج الجدلي: ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة، لغاية التأثير العقلي المجرد[٥]، وينبني هذا النوع من الحجاج على مقدمات مشهورة تصل إلى نتائج محتملة، يسلم بها المحاور ويقبلها؛ لأنه يكون في وضع من لم

---

(١) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو،ص٨٠ وما بعدها. وهي نفس الأركان التي اعتمدها تلميذه أفلاطون، وإن اختلف معه في بعض الأمور من بينها اعتبار الجدل ممارسة قوليه فكرية تقابل البرهان، كما اعتبر الحجاج قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة، وإن كان نوع الحجة في الواحد غير نوعها في الآخر. انظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص١٧.

(٢) عبد الله صولة، ص١٧.

(٣) عبد الله صولة،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب بمنوبة،٢٠٠١/.ص٢١.

(٤) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب،٢٠٠٥م، ص١٥.

(٥) عبد الله صوله، الحجاج في القرآن، ص٨١.

يجد ما يرد به عليه[١]، معنى ذلك أن الحجاج الجدلي لا يكون بهدف التصديق، ولكنه يقوم على إرغام الخصم على التسليم وإفحامه.

الثاني: الحجاج الخطابي: والحجاج هنا موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، ولا يقصده الخطيب ليقنع الجمهور بحكم ما، أو التأثير في عقله فحسب، اعتماداً على الإقناع الذي يتعدى حدود تقنين الإقناع بأي مطلوب كان[٢]، وإنما يسعى إلى التأثير العاطفي، عن طريق استثارة المشاعر والانفعالات، وإرضاء الجمهور واستمالته، ولو كان ذلك بمغالطته وإيهامه بصحة الواقع [٣].

ولئن اعتبر أرسطو الحجاج الجدلي مؤسساً على خطة يتم من خلالها استدراج المعنى إلى التسليم بمضمون المقدمات والنتائج، فإن هذا التسليم قد يكون مؤقتاً، أما الحجاج الخطابي فهو حجاج يصاغ لجمهور معين يعرف الخطيب مسبقاً الخصائص الكبرى لآفاق انتظار أفراده، وبالتالي يتوجه إليهم باستدلالات إقناعية محددة يسعى من ورائها لدفعهم إلى الفعل[٤]، «ومن ثم فإن أرسطو يؤكد على ضرورة مراعاة الخطيب لآفاق انتظار المتلقين»[٥].

وميز أرسطو بين مستويين من الحجج: الحجج غير الصناعية: وهي الحجج التي «لا تكون بحيلة من الخطيب، ولا ينشئها بنفسه، وإنما يجدها جاهزة فيستعملها، على أنحاء مختلفة، بحسب غرضه من خطبته[٦]، أما الحجج

(١) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص١٢١، وحمو النقاري: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص١٥٩، وهشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص١٥.

(٢) حمو النقاري: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع،ص٢٣٤.

(٣) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط،٢٠٠٥م، ص٣٦١.

(٤) انظر: محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة،٢٠٠٨ م، ص٥٣.

(٥) حجاجية الصورة الفنية في الخطابة السياسية للإمام علي، ص٩٦.

(٦) درس أرسطو الحجج غير الصناعية في مجال القضاء خاصة، وحددها في خمسة أنواع: القوانين والشهود والعقود والصكاك، وما أشبه ذلك انظر: أرسطوطاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٦م، ص٩، وص٣١، وهشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص٢٦٢، وص١٢٢.

الصناعية: فهي التي تكون بحيلة منا، وينشئها الخطيب بمجهوده، وقد جعلها أرسطو ثلاثة أنواع: (باثية ومتلقية وخطابية)، وجعل كل نوع يرتبط بالأركان الثلاثة للقول الحجاجي: المرسل (الخطيب) والمتلقي (المستمع) والخطاب (المضمون الحجاجي)[١].

النوع الأول: الإيتوس[٢]: ويرتبط بصورة المتكلم عن نفسه داخل الحضور الخطابي، ويضمنها ملفوظة، والتي يستعملها للتأثير في مخاطبه[٣]، ويؤكد أرسطو في هذا السياق أن «الإيتوس» ينتمي أساساً إلى عناصر الحجة التقنية التي تجعل الخطاب إقناعياً[٤]. أما النوع الثاني: الباتوس: وهو عبارة عن العناصر النصية التي تسمح بإثارة الانفعالات لدى السامع، وتهيئته واستدراجه نحو الأمر[٥]. النوع الثالث: اللغوس: وهو ما يخص الاستراتيجيات الخطابية في حد ذاتها، ويأتي من اللغة نفسها، ويرتبط بالحجج المستندة للخطاب نفسه أو الموضوع، أي القدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي[٦].

---

(١) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية، ص٣١.

(٢) عرف مصطلح الإيتوس بكونه صورة المتكلم لدى السامع،كما تعددت تعريفاته، ويعكس كل تعريف ثقافة ورؤى المعرف ذاته، انظر: روث آموسى، الحجاج في الخطاب، نقلاً عن علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال،ص٣٣.

(٣) ليس من الضروري أن يرسم المتكلم صورته، ولا أن يفصل القول في خصاله، ولا حتى أن يتحدث صراحة عن نفسه، فأسلوبه وكفاءاته اللغوية والموسوعية ومعتقداته الضمنية، تكفي لتقدم تمثلا لشخصيته، فالمتكلم عامدا أو غير عامد ينجز في خطابه تقديماً عن نفسه، انظر: محمد نجيب العمامي، الذات محاجة في ألف ليلة وليلة، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص٢٠٥.،ويرى محمد طروس أن الخطيب ينبغي أن يكون موضع قبول عاطفي لدى المتلقين خلال بث الخطاب، فالخطيب يقنع بكلامه إذا كان شخصاً خلوقاً موثوقاً فيه. انظر:أرسطو، الخطابة، ص١٠، ومحمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية، ص٣١، ومحمد طروس، النظرية الحجاجية، ص١٥.

(٤) علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال، مسكيلياني للنشر، تونس،٢٠٠٨م، ص٣١.

(٥) بمعنى أن المتصدر للخطابة يجب عليه أن يكون محيطاً بالأحوال النفسية والعاطفية لمستمعيه، ومعرفة ما يثير عواطفهم المختلفة، حتى يضمن لكلامه التأثير والفاعلية «لأن الحجاج لا يكون فعالاً إلا بالمعرفة العميقة لطبائع المخاطب وما ينزع إليه نزوعاً طبيعياً». انظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص١٠.

(٦) انظر:محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية، ص٣٦، ومحمد طروس، النظرية الحجاجية،ص١٨.

وللنوعين الأولين: (الإيتوس والباتوس) دور مهم في الخطاب الشفوي، يفوق الدور الذي يلعبانه في الخطاب الكتابي، وعلى العكس من ذلك ففي الخطاب الكتابي، يتقلص دور هذين العنصرين، ويتقدم للهيمنة عنصر المقومات المنطقية أو النصية المرتبطة بالموضوع، وإن بقي في الخطاب مؤشرات دالة عليها[١].

وبعد هذه المحاولة التلخيصية لأبرز ما دار حول مصطلح الحجاج عند اليونان، ننتقل إلى تقديم لمحة موجزة عن مصطلح الحجاج وملامحه في البلاغة العربية القديمة

ثانياً: الحجاج في البلاغة العربية القديمة[٢]:

إذا كانت الخطابة الأرسطية قد نشأت نشأة فلسفية منطقية تحاول تصنيف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة، وإنتاج المعنى الذي لا يمكن أن يقوم ما يناقضه، والقضايا التي تترتب فيها النتائج عن المقدمات بصفة محكمة[٣]، فإن البلاغة العربية نشأت نشأة مختلفة تماما عن نظيرتها الأرسطية(اليونانية)، ولعل السبب في ذلك هو خصوصية الثقافة العربية ونبوغ الشعر فيها، والشعر وقعه من إيقاعه، وفضله من هيئة القول، ولم يكن يفوق شاعر على شاعر إلا بما

---

(١) يلخص على الشبعان الخطابة في التقليد الأرسطي على النحو التالي:١- إنها الخطاب الذي لا يمكن أن يكون خارج مقام التلفظ،؛لأنه يولي الباث من يتوجه إليه بالكلام مكانة ذات أهمية.٢- إنها خطاب يرمي إلى التأثير في العقول؛ لأنها فعالية لفظية بأتم معنى الكلمة.٣- إنها فعالية خطابية تستند إلى العقل، فاللجوس يعني العقل والكلام نفسه.٤-إنها خطاب منجز يتوسل بتقنيات واستراتيجيات لكي يدرك حاصل غاياته من الإقناع. ومن هنا تبدو علاقة الحجاج بالخطابة علاقة ظاهرة بينة، نظرا إلى الاشتراك الحاصل بينهما، في جانبي التأثير وقوة العبارة، ونجاعة الكلام.انظر: علي الشبعان.الحجاج بين المنوال والمثال، ص١٤ وما بعدها. بتصرف يسير، ومحمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية، ص٣٥ وما بعدها.

(٢) يروم هذا المحور الوقوف على أهم الإسهامات الحجاجية في البلاغة العربية والتي توزعها تياران بارزان: تيار الإمتاع المرتبط بالغرابة والبديع، وتيار الإقناع المرتبط بسؤال المقام، والمناسبة المقامية التداولية. انظر:عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص١١٥.

(٣) حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص١٨.

يقع له من نهج في تصوير المعاني، وإخراجها رائقة عذبة تسر الناظر وتخلب لب المستمع[١].

ولما كان ظهور تباشير البلاغة في أحضان الشعر بلغ التنافس ذروته في الصياغة والتراكيب وتصوير المعاني، وقوي الاهتمام بالعبارة في صورتها وشكلها وهيأتها الخارجية، وعلى الرغم من ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم وانبهار العرب ببلاغته وإعجازه، فقد ظل اهتمامهم البلاغي مرتبطا بالمظهر الخارجي للعبارة، ولم يوجهوا عنايتهم للبناء الحجاجي للقرآن بوصفه الوجه الأهم من وجوه الإعجاز القرآني[٢]، حتى جاء القرن الثالث الهجري وبرز أحد أهم رجال المحاجة والمناظرة، أبو عثمان الجاحظ، أول مفكر بلاغي عربي، ربط البلاغة العربية بالوظيفة الحجاجية.

الجاحظ :

لعل اهتمام الجاحظ في مشروعه البلاغي باستراتيجية الخطابة في أبعادها الثلاثة: الخطيب والخطبة والمخاطب، يدعم إقراره بالبعد الحجاجي للقول، وبقدرته على التأثير في المتلقي، فالخطبة لديه تكون للاحتجاج، والخطيب مطلوب منه أن يفرق عند حديثه بين أقدار المستمعين، ف« لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة»[٣]، وأن يفهم كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على مقدار منازلهم»[٤]، مراعاة لثلاثية الحجاج: المقام والحال والمتكلم.

وهذا الربط بين المقام والمقال لدى الجاحظ يحقق الوظيفة الحجاجية باقتدار، فيكتسي المقام بهذه الصورة - عند الجاحظ- «طابعاً تداولياً ويجعله

(١) السابق، ص١٩.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٤٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،١/٧٥.

(٤) السابق،١ /٩٣.

يلف كل عملية القول، فالمتكلم محكوم باعتبار مخاطبيه، وباعتبار التلاؤم بين الغرض وصورة قوله، واعتبار السياق الذي يرد فيه الخطاب»[1].

كما يعد البيان من أكثر المصطلحات شيوعاً عند الجاحظ، نظراً لدوره في الإقناع، وكونه آلية من آليات البلاغة لتحقيق غايتها الإفهامية، وقد عرفه بقوله:»هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى...؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هي الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان»[2].

يبدو من خلال التعريف السابق أن تبليغ المرسل إليه والتأثير فيه واستمالته[3] ومحاجته هو غاية البيان وهدفه لدى الجاحظ، وبناء عليه فـ»البيان ليس تنميقاً للكلام ولا تحريفا لوظيفة الخطاب، وإنما تحقيق لأقصى إمكانات التبليغ تحقيقا يؤدي إلى انتهاض المخاطب بالعمل والتغيير»[4]، كما أن الحضور الإيجابي للسامع الذي يحرص المتكلم على إفهامه في هذا التعريف يكسب بلاغة الجاحظ بعداً حجاجياً، فالإفهام ينطوي على استحضار الآخر والتواصل معه، بهدف كشف الكامن في الصدور[5]. وزبدة القول: إن البيان عند الجاحظ تتنازعه وظيفتان: الوظيفة الفهمية والوظيفة الإقناعية[6]، والمتأمل في تعريفات البلاغة الأخرى

---

(١) خطاب المناظرة، ص٥٢، وعبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص١٢١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين،١/٧٦.

(٣) فالبيان يحتاج إلى إحكام الصنعة وسهولة المخرج وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني، انظر: البيان والتبيين،١/١١٤.

(٤) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص٢٩٣.

(٥) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناع، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، سلسلة الدراسات النقدية، دار الثقافة،١٩٩٨م، ص١٩٤. ذكر العمري في موضع آخر من كتبه أن ى الشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة، انظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،١٩٩٩م، ص١٩١.

(٦) العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص١٩٤.

التي أوردها الجاحظ [١] يقطع في غير شك أن الجاحظ له السبق في اكتشاف الغاية الحجاجية الإقناعية للبلاغة، وأن البلاغة هي الحجاج، فهي إما تدخل مباشرة في الحجاج، وإما أن تكون من القضايا المتصلة به.

ابن وهب :

وعلى الرغم من وعي الجاحظ بمصطلح الحجاج في القول إلا أنه لم يسلم من النقد، فقد أعلن إسحاق بن وهب في كتابه «البرهان في وجوه البيان»: انتقاده للجاحظ منذ مقدمته، ولكنه – ابن وهب- كان مكملاً له[٢]، في مساهماته الحجاجية؛ لأن البلاغة عند ابن وهب ارتبطت بالاتجاه الخطابي، واستند في بيانه على الاستدلال والحجاج، من خلال دفاعه عن البيان وإشادته بالعقل والتنويه به[٣].

ووعياً من ابن وهب بمصطلح الحجاج اهتم بالقياس وأولاه أهمية في كتابه «وأنه لا يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجة، وبهذه الحركة القياسية يكون الحجاج»[٤].

وجرى ابن وهب مجرى الجاحظ في مراعاة المقام:»إذ على الخطيب والمترسل: أن يكون عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له... وأن يعطي كل قوم من القول بمقدورهم، ويزنهم بوزنهم»[٥]. ومن أدق ما ذكره ابن وهب في هذا الصدد بناء المعرفة عن طريق التصديق لا على اليقين، والحجة على معنى الإقناع لا البرهان، وهو بذلك ينسجم مع التصور الذي غلب على بلاغة الحجاج

(١) وذلك من خلال تبنيه لقول بعض الهند: «جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة...» وقال في موضع آخر من كتابه:»كان سهل بن هارون يقول: سياسة البلاغة أشد من البلاغة، كما أن التوقي على الداء أشد من الدواء». البيان والتبيين،١/ ٨٨.

(٢) العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص٢١١.

(٣) ابن وهب،البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني شرف،مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٦٩م،ص١٢٣.

(٤) السابق، ص٧٦.

(٥) السابق، ص٨٧.

منذ أرسطو وحتى اليوم، فضلا عن أن الطابع الحجاجي لا يكاد يفارق ابن وهب في كتابه «البرهان» انسجاماً مع الجاحظ الذي انتقده.

غير أن الذين جاءوا بعدهما من البلاغيين والنقاد لم يعطوا الحجاج حقه من الدرس والتحليل، واكتفوا بالإشارة إليه في ثنايا كتبهم[1]، وانشغلوا عنه بالتفكير في العبارة وما يتبعها من تعليقات ووجوه، حتى غدت البلاغة العربية:«بلاغة عبارة لا بلاغة نص، وبلاغة جمل لا بلاغة خطاب»[2]. ومن البلاغيين القدامى الذين نظروا إلى البيان من منظور حجاجي:

عبد القاهر الجرجاني :

يرى عبد القاهر البيان من منظور حجاجي، غير أنه لم يربطه بالكشف والإيضاح، ولكنه ربطه بالاستدلال، بنظريته المعروفة بـ« معنى المعنى»، عن طريق اتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلاً على معنى ثان، ويتم هذا الانتقال وفق آلية استدلالية حجاجية تستخرج من الدليل المعنى المدلول عليه[3].

كما ربط الجرجاني الاستعارة بالعقل والإحساس والفكر؛ لتؤدي وظيفة تداولية حجاجية، فمدار الاستعارة عنده ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللفظ، وإنما على معنى ثان، يتولد في النفس بطريقة هذا المعنى الأصلي[4].

ويوجه عبد القاهر نظرية النظم توجيهاً حجاجياً، وأنه لا قيمة للفظ إلا

---

(١) انظر: ذكره السكاكي في باب الاستدلال،المفتاح:٤٣٨، وابن الأثير في باب الاستدراج، انظر: المثل السائر،٤٨/٢، وأبو هلال العسكري في باب الاستشهاد والاجتماع انظر:،كتاب الصناعتين،ص٤٨، والزركشي في باب الجدل والمجادلة، انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، وأبواب أخرى سوف نلمح إليها في السطور التالية.

(٢) حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح،ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٢٠.

(٣) شكري المبخوت، كلية الآداب، منوبة، ٢٠٠٦م، ص٤٠.

(٤) انظر: اللسان والميزان، ص٣٠٦، الخطاب الإقناعي، ص٢٣٩.

بوجوده خلال السياق (النظم) الذي يؤدي وظيفة تأثيرية حجاجية، ومعنى ذلك أن الأمر عند عبد القاهر يبدو صراعاً بين وظيفتين: الإقناعية الحجاجية، والشعرية التخييلية، وهو صراع لا يبدو حسمه في تلك المرحلة التاريخية ممكناً[١].

وإذا كان الجاحظ يربط البيان بالكشف والإفصاح، وكان الجرجاني يربطه بالاستدلال عن طريق استنباط معنى المعنى، فإن:

السكاكي:

أما السكاكي فيربط البيان بالدليل حيث يعتبر مكونات علم البيان حجة ودليلا في الاستمالة والتأثير والإقناع، يقول: «من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، ووقف على كيفية مسافة التحصيل المطلوب، أطلعه على كيفية نظم الدليل»[٢].

وبناء على ما سبق فإن البيان كما ذكر السكاكي يخدم مقصدية المتكلم حسب سياقات التخاطب بالدليل والحجة والشاهد، وليس بالتحسين الأسلوبي فقط، وهو بذلك يكتسي طابعا حجاجياً. فالصورة البيانية لا تستقيم على التخييل وحده، ولكنها تحتاج إلى اعتماد الشاهد والدليل.

وعلى هذا فمرجع البيان عند السكاكي هو اعتبار الملازمات بين المعاني، فهو عملية استدلالية تقوم على الانتقال من جهتين: الانتقال من ملزوم إلى لازم، ومن لازم إلى ملزوم[٣]، واللزوم والاستدلال غايتهما هي الاستمالة والإقناع.

وإنه لمن الإنصاف أن نعلنها بشجاعة: إن «مفتاح العلوم» للسكاكي - المتهم بالجمود - يسعى إلى: ترسيخ وتثبيت بلاغة مقامية مقصدية تقوم على

(١) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها، ص١٣٩.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٥٤٤.

(٣) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص٤٣٨.

الاستدلال خدمة للنجاعة الإقناعية[1]، وتميزا في جعل الوظيفة الحجاجية في المركز والوظيفة الشعرية في الهامش[2].

أما حازم القرطاجني:

فقد اعتنى عناية خاصة بالأقاويل الحجاجية في كتابه: «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»،إذ عقد في القسم الثاني من كتابه - الخاص بالمعاني: في الإبانة عما تقوم به صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والإقناع، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين[3]، كما عقد فصلا من القسم الخاص بالأسلوب في مذهب المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية، ناهيك عن إشارات متفرقة في الكتاب إلى مقومات القول الحجاجي والقول الشعري، وهو أول بلاغي ينوه بالقيمة الحجاجية للشعر[4]، وهذا كله يؤكد أن حازماً ما هو إلا حجاجي بامتياز.

وجعل حازم الإقناع خصيصة الخطابة، والتخييل خصيصة الشعر، ولم يمانع في وقوع شيء من الإقناع في الشعر، أو شيء من التخييل في الخطابة[5]، ويفهم من ذلك أن حازما يقر بالتداخل الخطابي والشعري، وبين الأقاويل الخطابية والأقاويل الشعرية، وجعل علم البلاغة يشتمل على صناعتي الشعر والخطابة؛ لاشتراكهما في مادة المعاني.

ويميز حازم بين الخطابة والشعر على أساس أن الشعر مبني على التخييل،

(١) عادل عبد اللطيف، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي،أطروحة بكلية الآداب، مراكش،٢٠٠٤م،ص٦٧.

(٢) محمد العمري، الحجاج والتخييل، ضمن التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص.١١

(٣) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٣٦٤.

(٤) في قوله:»إن التخييل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية، واستعمال الاقتناعات في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع...كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع... بل ساغ لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تقوم به الأخرى، لأن الغرض في الصناعتين واحد، هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه. انظر: القرطاجني، منهاج البلغاء، ص٣٦١.

(٥) حازم، منهاج، ص٣٦١.

وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي، وعكس ذلك يصدق على الخطابة التي تبنى على العناصر الإقناعية، وتدخل العناصر التخييلية في خدمتها[١].

هذه أهم البنى الحجاجية عند البلاغيين القدامى[٢]، وقد تناولوها من ناحية الفهم والإفهام التى رددها الجاحظ، ولم يدرسوها ضمن الخطاب ككل، بوصفها مكونا من مكونات الخطاب لها موقع ورتبة حجاجية، وإنما درسوها في إطار العبارة أو الجملة.

كما لم تشكل إشاراتهم الحجاجية وعيا تاما بمصطلح الحجاج، «ولم تدرس الآليات التي تحقق بها الشواهد قيمتها البلاغية باعتبار البلاغة تبليغ المعنى، وإيصال حجة المتكلم إلى السامع»[٣]، ولم تخرج مباحثهم عن الفكرة الأم التي طبعت البحوث البلاغية بطابعها الجمالي؛ لهذا «جاء تناولهم للحجاج في أسطر معدودة، وضمن نظرية البيان التي هيمنت على بحوثهم ودراساتهم،التي لم تتجاوز الجملة، أو الصور التجزيئية للخطاب»[٤].

الحجاج عند فلاسفة المسلمين:

أما الحجاج عند فلاسفة الإسلام ومفكريه، فهو مرادف للجدل، ويظهر في ممارستهم ذات الطابع الاستدلالي، كما عند ابن حزم فارس الحجاج في الغرب الإسلامي، الذي ضمت موسوعته: «الإحكام في أصول الأحكام» فصولاً حجاجية،

(١) انظر: حازم القرطاجني، منهاج الأدباء، ص١٩ ،ص٣١، العمري، ص٥٠٠.

(٢) وأهمها كما ذكرنا آنفاً: الجدل والقياس الذي يتسع ليشمل:التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية، بغية إقناع المخاطب والتأثير فيه، والتمثيل ودوره في التأثير في المتلقين من جهة وفي جماليات الخطاب من جهة أخرى، والتقسيم، والتكرار، الذي لا يراد منه الإقناع فقط، وإنما يراد منه تنفيذ الفعل وتغيير السلوك غير المرغوب فيه، أو الممارسة الفعلية بفعل ما يلح عليه التكرار، ويدفع نحوه، وهي الغاية القصوى من الحجاج، وان شئت فقل: الرتبة العليا في السلم الحجاجي وهذه البنية الحجاجية التفت إليها البلاغيون المحدثون اليوم.ا نظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي في وسائل الإقناع، مجلة: فصول، عدد:٢٠٠٢،٢م، ص٦٣.

(٣) انظر:عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص٨٧.

(٤) على محمد سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص٣٥.

بل إن صوت الجدل لا يكاد يخفت في فصول الكتاب، وكان يطلق الجدل والمناظرة والحجاج، ويقصد بها الاستدلال في بعده الجدلي، وميز بين نوعين من الجدل[1].

وعلى المنوال نفسه سارت كتب علوم القرآن الزركشي في:»البرهان«، والسيوطي في:»الإتقان«،»ومعترك الأقران« قد عقدا فصلاً خاصاً في جدل القرآن تحدثا فيه على اشتمال القرآن على إثبات الحجج على طريقة المتكلمين، وأكثرا من استخدام ألفاظ المحاجة والحجاج، والاجتماع على أنها مرادفة للفظ الجدل وتسد مسده، والمشهور أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلاً[2].

وينبني الحجاج (الجدل) عند فلاسفة المسلمين جميعاً على المنازعة، إذ إنه إذا لم تكن منازعة لم يحسن أن يقال جدل[3]، وبهذا استعملوه في إثبات صحة معتقداتهم، وإبطال معتقدات خصومهم من المذاهب الأخرى، وعدوه علما من أرفع العلوم قدراً، وأعظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجة ولا اتضحت محجة[4]، ولهذا درسوا الحجاج من الجانب البرهاني والجدلي، ولم يدرسوه بيانياً وأدبياً[5].

وعليه فجعل القدماء الحجاج مرادفاً للجدل، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال، واستخدامهم أحدهما معطوفاً على الآخر، باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل الذي يفضي به إلى الحجاج

---

(١) إما محمود وإما مذموم، انطلاقاً من آيات وردت فيها مشتقات الحجاج وما يرادفها عنده من الجدل، وناقش ذلك في الباب الذي عقده لإثبات حجج العقول، انظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، تقديم: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص١٧.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص١٧.

(٣) ابن سينا، الجدل، تحقيق:أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ص١٨.

(٤) علي الإدريس، في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، ص٨٣.

(٥) على محمد سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ص١٤.

المنطقي، ويطمس منه مبدأ مهما هو:»حرية الاختيار على أساس عقلي»[١]، إذ الحجة في ذلك صارمة بخلاف الحجاج، كما» أن القرآن لا يستجيب في كليته ولا حتى في معظمه لمفهوم الحجاج باعتباره مرادفاً للجدل»[٢].

الحجاج في الخطاب القرآني:

خاطب القرآن الكريم الناس جميعاً دون عنف أو إكراه لقوله تعالى:»لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»[٣]، ذكر الزمخشري أن الله تعالى لم يجر أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار[٤]؛ لتنقاد النفوس إلى الحق عن حب وإيمان واقتناع.

وهو المعنى الذي عولت عليه نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا على الحجاج وجعلته بديلاً عن العنف؛ ذلك أن السعي لتحقيق نتيجة معينة يكون باعتماد إحدى وسيلتين: العنف أو الخطاب، والأثر الناتج عن استعمال أحدهما يجعلنا ندرك الفرق بين حرية الاعتقاد والإكراه[٥]، فنبذ العنف والقسر والإجبار يقتضي في المقابل أن يكون الاهتداء إلى الإيمان مبنياً على النظر والاستدلال، أي على الحجاج الذي يقوم عليه الخطاب القرآني كله[٦].

وانطلاقاً من الآية السابقة فإن القرآن الكريم يعد خطاباً حجاجياً لتوفر مقصد الإقناع والتأثير في السامع[٧]، والقرآن الكريم – كما ذكر صولة – تعددت

(١) عبد الله صوله، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص٣٠١.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن،ص١٥ ،ص١٦.

(٣) البقرة، الآية:٢٥٥.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف،١/٣٠٣.

(٥) ولعل العديد من الآيات القرآنية تركز على الدعوة إلى الله تعالى بمنهج رصين يدعو إلى نبذ العنف والإكراه، كقوله:»فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»، الغاشية:١٣،١٢.

(٦) انظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٤٨، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،٣/٢٦، وحجاجية القرآن الكريم، ص٥.

(٧) يقول بنفينست: الخطاب في أهم مفاهيمه كل قول يفترض متكلماً وسامعاً مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع. انظر حجاجية الحوار في القرآن (الحوار الإبراهيمي نموذجاً)، ص٣٣.

مخاطباته[١]، حتى عدت علما من علومه، ويقسم المخاطبين في القرآن إلى قسمين: قسم يذكر داخل النص القرآني باسمه، أو لقبه، كخطاب الكافرين وبني إسرائيل والذين آمنوا، فهؤلاء هم أول المتلقين، ويطلق عليهم في الاصطلاح الحجاجي: الجمهور الخاص أو الضيق، وقسم ثان: خارج النص القرآني، غير مذكور فيه، إلا أنه معني به، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وهؤلاء يشكلون ما يصطلح عليه حجاجياً الجمهور الكوني[٢].

ومما يجعل القرآن الكريم خطاباً حجاجياً أن الغرض الأكبر له يتمثل في إصلاح الأمة[٣] بأسرها، وهذا الإصلاح لن يكون إلا من خلال تغيير وضع أول قائم ليحل محله وضع جديد مرتضى، وهو ما ينسجم مع المصطلح الحجاجي، إذ الحجاج «عمل غرضه دائماً أن يغير وضعاً قائماً كما ذكر بيرلمان رائد البلاغة الجديدة[٤]،

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة الحجاج في القرآن تبدو ظاهرة بقوة في كل ما يطرحه من موضوعات[٥]، بشتى أنواع الأساليب الحجاجية[٦]، وكأنه مبني عليها من ألفه إلى يائه، وقد التفت علماؤنا القدامى إلى هذا الملمح، وأشاروا

(١) جعلها الزركشي على نحو من أربعين وجهاً، كالخطاب العام المراد به العموم، وخطاب الخاص المراد به الخصوص، وغيرها من الأنواع، انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،٢/٢١٧.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٤٤، ذكرت أموسى أن الخطاب الذي يكون جمهوره كونياً، فهو خطاب متنوع.انظر: على الشبعان، ص٢٧.

(٣) بإصلاح كفارها عن طريق دعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على الهدى، ولذلك كانت إغراضه مرتبطة بالمجتمع في زمن الدعوة إلى الدين الجديد. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،١/٨١.

(٤) صولة، الحجاج في القرآن، ص٤٧، ويلخص صولة الغايات والأهداف التي يسعى القرآن لتحقيقها حجاجياً في أربعة عناصر أساسية هي: تغيير لوضع، وحل لمعضلة، ونبذ للعنف الذي هو عكس الحجاج، واستجابة لسؤال أمة.

(٥) وبخاصة الموضوعات الدائرة على الإيمان بالله ورسله وتوحيده وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث.

(٦) لغوية أو أسلوبية أو تاريخية أو واقعية أو فكرية أو برهانية.

إليه في أكثر من موضع من كتبهم[١]، مما يجعله كتاباً حجاجياً من الطراز الأول، لكونه جاء مصححاً لانحرافات التي لحقت بالأمم السابقة متخذا الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن أسلوباً في الدعوة والإصلاح[٢].

ولعلي لا أفوت الفرصة دون أن أشير إلى ما توصل إليه صولة في دراسته الشهيرة من أن القرآن حجاجي في مجمله، وتعود إلى البرهنة على أن القرآن حجاجي في حالتي إفراده وتركيبه وفي حالتي حقيقته ومجازه، كما أسهم بحث صولة في الكشف عن قدرة القرآن على التأثير الحجاجي والعقلي والعاطفي في متلقيه[٣].

ولم لا، وقد جاء ذكر الحجاج في القرآن بمعانيه المختلفة عشرين مرة[٤]، وذكرت كلمة برهان ثماني مرات[٥]، وانعقد رأي المفسرين أن المقصود بالحجاج في القرآن هو المجادلة[٦].

(١) ذكر الزركشي أن القرآن اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، انظر: الزركشي، البرهان، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ١٩٨٠م،١٧/٢، وذكر السيوطي: ما من برهان ودلالة وتقسيم، وغيرها ككليات المعلومات السمعية والعقلية إلا وكتاب الله قد نطق به، ويقول أيضا: فاخرج - تعالى- مخاطباته في محاجة خلقه في اجلي صورة ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم بالحجة، وتفهم الخواص من إثنائها ما يربي على ما أدركه فهم. انظر:السيوطي، معترك الإقران، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨م، ص٣٤٦.

(٢) انظر:على محمد سليمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ص١١، وآمنة البنعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، مجلة التراث العربي، عدد٨٩، السنة: ٢٣، آذار، مارس، ٢٠٠٣م، ص٤، ومحمد قوجيل، أصول الجدل وآداب المحاجحة في القرآن، نشر جمعية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٧م،طرابلس، ليبيا، ص٦.

(٣) صولة، الحجاج في القرآن، ص٥٩.

(٤) كقوله تعالى::«هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم»، آل عمران:٦٦، وقوله:«لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»، النساء:١٥، وقوله:«ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه»، البقرة:٢٥٨، وقوله: «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم.. «، آل عمران: ٦١، وقوله: «ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم»، آل عمران: ٦٦.

(٥) كقوله تعالى:«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، البقرة:١١١.

(٦) قال ابن كثير قوله:«وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني»، أي جادله قومه في ما ذهب إليه من التوحيد وناظروه.

ثالثاً: الحجاج في البلاغة الجديدة:

وببزوغ القرن العشرين وما واكبه من تحولات تكنولوجية خطيرة، نشأت ثقافة جديدة انبعثت على أثرها البلاغة انبعاثة جديدة، لم تصنع قطيعة مع الماضي،كما لم تتبناه بحذافيره، وإنما أعطت بصمة جديدة في دراسة مصطلح الحجاج وتطوره ليواكب تطورات العصر ومتطلباته.

ومنذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين وتحديداً سنة١٩٥٨م، ظهرت أولى هذه المحاولات بصدور كتاب جديد في الحجاج من تأليف بيرلمان وزميلته تيتيكا، بعنوان:» مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة»، وقد تزامن إصدارهما هذا الكتاب مع إصدار آخر لا يقل عنهما أهمية، هو كتاب: استعمال الحجة لـ»تولمين، وبرز بعده كل من ديكروا ورامسكومير، اللذان حاولا معالجة الحجاج «في إطار لساني محض»[1]، كما ظهرت في هذه الفترة محاولة:»ميشيل مايير» الذي وضع الحجاج في إطار نظرية أوسع هي المساءلة. وسنحاول في هذا المحور من البحث، قراءة هذه المحاولات الحجاجية الجديدة، آخذين منها ما يتلاءم مع مصطلح الحجاج وتطوره.

- **الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:**

من أكثر الأعمال شهرة واكتمالاً وإلماماً بمصطلح الحجاج في البلاغة الحديثة كتاب بيرلمان وزميلته تيتيكا «مصنف في الحجاج»، وقد حاول المؤلفان من خلال بحثهما بعث بلاغة الحجاج بعد الإهمال الذي لحقها[2] لقرون طويلة وبعد انحصار البلاغة في المجازات والمحسنات والصور.

ونجح المؤلفان في تخليص الحجاج مما شابه من شوائب أضرت به، حيث

---

(١) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٢٥.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن أهم نظريات الحجاج، ص٢٩٨، والاستعارة في محطات يونانية، ص٣٥٧، وعبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص١٥٧.

دفعا عنه تهمة المغالطة الآتية من الإقناع من جهة وصرامة الاستدلال الصادرة عن الجدل من جهة أخرى[١].

ولكي يكون الباحثان أكثر دقة، فقد حددا مفهوم الحجاج في مصنفهما بقولهما: «إن موضوع نظر الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شانها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم»[٢].

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه أبرز الباحثان الغاية من الحجاج بقولهما: «غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة[٣].

وميز الباحثان في كتابهما بين الحجاج الإقناعي[٤] والحجاج الاقتناعي[٥]، فالأول يتوجه إلى جمهور خاص يعمل على إقناعه، ويعتمد على الخيال والعاطفة، أما الثاني فهو حجاج عام يقوم على الحرية والعقلنة[٦]، ويعتبرانه أساس الإذعان والحجاج، واختيارهما له نابع من إصرارهما على الحرية والعقل في

---

(١) عبد الله صولة، الحجاج أثره ومنطلقاته وتقنياته، ص٢٩٩.

(٢) عبد الله صولة، الحجاج أثره ومنطلقاته وتقنياته، ص٢٩٩.

(٣) نفسه: ص٢٩٩.

(٤) يقوم هذا النوع من الحجاج على لي الرقاب حتى تذعن وتطيع، وهو ما يعرف عند علماء الحجاج بـ(العنف الرمزي أو العنف الحجاجي)، انظر:الحجاج بين المنوال والمثال، ص٨.

(٥) وهو أصل الحجاج وأساس الإذعان؛ لأنه يقوم على العقل، ويتأسس على التصديق الإرادي. السابق نفسه.

(٦) يترتب على هذا الفهم أن نظرية البلاغة الجديدة بإضفائها بعداً عقلياً على الحجاج، تكون قد أخرجت الخطابة من دائرة الاتهام بالتلاعب بالجمهور، كما حددها أرسطو، وعلى نحو ما فهمها رولان بارت؛ ذلك لأن العقل هو الملكة الأساسية والوسيلة الجوهرية في التفكير. انظر:رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، ص١٢ وما بعدها.

إثبات العملية الحجاجية[١].

واعتبر عبد الله صولة الحجاج لدى بيرلمان وتيتيكا حواراً يتسم بالحرية والمعقولية بغاية الوصول إلى الوفاق بين الأطراف المتحاورة بعيدا عن المناورة والإرغام، أي أن غاية الحجاج تبعاً لهذا الفهم الانتهاء إلى الاقتناع بدل الحمل على الإقناع[٢]، كما يمكن اعتباره، البديل الحضاري المتمدن لكل أشكال الغصب والإقماع»[٣].

وعلى الرغم من أن بيرلمان وتيتيكا قد أحييا البلاغة، وبعثاها من جديد، واحدثا فيها ثورة، سلمنا بذلك أم لم نسلم، فإن «مصطلح الحجاج لن يبقى في هذا المستوى، بل سوف يتعمق أكثر بتعمق الدرس اللساني في قضايا الاقتضاء مع ديكرو خاصة، على أساس أن المقتضى هو جوهر العملية الحجاجية»[٤].[٥]

● **الحجاج عند ديكرو وانسوكومبر:**

إن الحجاج عند كل من ديكرو وزميله انسكومبر كامن في بنية اللغة ذاتها لا في ما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى منطقية أو شكلية، كما هو الحال عند بيرلمان وتيتيكا؛ ذلك لأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وهو ما يستشف من عنوان كتابهما: «الحجاج في اللغة» وهناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[٦].

---

(١) عبد الله صولة، الحجاج أثره ومنطلقاته، ص٣٠١.

(٢) نفسه، ص٢٩٨.

(٣) النظرية الحجاجية، ص٤٣، وسعيد العوادي، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة، ص٢٦٩.

(٤) أحمد اتزكنرمت، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ إسماعيلي،، دار ورد الأردنية،٢٠١١م، ص١٥٢.

(٥) محمد الولي، مدخل الى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، مقال ضمن مجلة عالم الفكر،عدد٢، مجلد٤٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١م،ص٣٤ و٣٥،و الاستعارة في محطات عربية ويونانية، ص٣٥٣.

(٦) أبوبكر العزاوي، سلطة الكلام وقوة الكلمات، مجلة المناهل، وزارة الثقافة المغربية، السنة٢٥، العدد ٦٢/ سنة ١٩٩١م، ص١٤٢ وما بعدها، وعبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٣٦.

ولا يكون الحجاج عند الباحثين إلا بتقديم المتكلم قولاً أومجموعة أقوال تفضي إلى التسليم بقول آخر أو مجموعة أقوال، فيكون القول الأول حجة والقول الثاني النتيجة المستخلصة من هذه الحجة، وانطلاقاً من هذا المفهوم فإن القول الأول يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور قول ثان يكون إما صريحاً أو ضمنياً «فالحجاج - إذن- في نظرية اللغة «انجاز لفعلين هما فعل التصريح بالحجة من ناحية، وفعل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحاً بها أو ضمنية[١].

وبذلك يصبح الحجاج عند ديكرو مرتبطاً بانجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب[٢]، أي يصبح متمثلاً في انجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي يستنتج منها.

إن جعل الباحثين الحجاج - من حيث بنيته- مرتكزاً على اللغة قد انبثق من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها اوستين وسورل، وذلك بحكم انتماء الباحثين للتيار التداولي إذ قاما بتطوير آراء وأفكار أوستين من خلال إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج[٣].

وقد نجح الباحثان في تخليص الحجاج من صرامة الاستدلالات البرهانية والحتمية، ليجعلاه فضاء رحباً يتسع لضم كافة الحجج التي تشملها اللغة، فضاء لا يحتاج فيه المتكلم إلى معرفة تامة بالمنطق وضروبه لكي يكون محاجاً، بل يكفيه من ذلك أن يقدم قولاً أو مجموعة أقوال تقضي إلى التسليم بقول آخر.

- **الحجاج عند مايير:**

يقوم الحجاج عند مايير في كتابه: «المنطلق واللغة والحجاج - على السؤال

(١) أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدر البيضاء، المغرب،٢٠٠٦م، ص٥٣.

(٢) نفسه، ص٢١.

(٣) نفسه، ص١٥، وعبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص١٧٧.

والجواب، أو ما يسمى بنظرية المساءلة، ويعرفه بقوله: «هو دراسة العلاقة بين الكلام الظاهر والضمني»[١]، ويرى أن الحجة لا تكون إلا جواباً أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنياً من ذلك الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال، في ضوء المقام وبوحي منه[٢].

يتضح من مفهوم الحجاج عند مايير أنه قائم على العلاقة بين ظاهر وضمني الكلام، حيث يكون ظاهره هو الجواب وضمنيه هو السؤال، ويكون النصف الصريح للمتكلم في حين يكون النصف الثاني الضمني للسامع، ومن ثمة فالحجاج عند مايير هو إثارة الأسئلة، وإثارة الأسئلة هي عنده الأساس الذي ينبني عليه الخطاب[٣]، وتكتسي هذه الدراسة أهمية قصوى عند صاحبها لاعتباره أن كلام الناس كله قائم على التساؤل.

ويعتبر مايير أن نظرية المساءلة حاضرة وبقوة في الصور البلاغية،ذلك أن هذه الصور إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أن سؤالا يطرح، والسؤال يستدعي بالضرورة جوابا يستفهم السامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح وتأتى الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حد ذاته؛ لأنه يحدد وجهاً واحداً من الجواب، وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح[٤].

- **وبعد :**

فإن هذه الدراسات الحجاجية على أهميتها المنهجية والتأطيرية تبقى متباينة، وإن اعتماده بحرفيته من شأنه أن يثير مشاكل منهجية في مجال

(١) انظر:عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص٤٠، وأحمد اتزكنرمت، الحجاج في المناظرة، ضمن: الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ إسماعيلي، دار ورد الأردنية، ٢٠١١م، ص١٥٤.

(٢) رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، واليات اشتغاله، مجلة الفكر، العدد: ٢، مجلد ٤٠، اكتوبر - ديسمبر،٢٠١١م، ص٨٢، وصولة، ص٤١،٤٢.

(٣) عبد الله صولة،الحجاج في القرآن، ص٤٢.

(٤) محمد على القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٣٩٧.

الدراسات الحجاجية واعتبار نظرية البلاغة الجديدة الحجاج قائماً على الوصل والفصل الحجاجيين، مما من شأنه أن يضيق أفق مصطلح الحجاج ويجعله نمطاً واحداً مهما تغيرت وتنوعت النصوص والأقوال الحجاجية.

وفي المقابل يبدو مصطلح الحجاج في اللغة أكثر توسعاً في مفهوم الحجاج، إذ يكون كل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه قولاً حجاجياً، لكن اللغة ليست بكل وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها وإنما لطبيعة النص والخطاب عنه دور أساسي في إكساب لغته بعداً حجاجياً أو نفيه عنه[1].

ولعبد الله صولة – رحمه الله– موقف من النظريات الحجاجية السابقة، فنجده يرد مفهوم «ديكرو واوسكمبر» للحجاج لاتساعه، إذ جعلا كل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه قولاً حجاجياً، كما نجده في موضع آخر يحتاط من مفهوم الحجاج عند «بيرلمان وتيتيكا» ذلك المفهوم الذي يراه ضيقاً عكس الأول، فالحجاج عندهما قائماً أساساً على الفصل والوصل، في حين أن صولة يرى أن الحجاج في الكلام قد يرد على غير هذين المظهرين.

وقد خرج الباحث بعد هذا التعليق على النظريات السابقة بموقف وسط يجعل لطبيعة النص دوراً أساسياً في إكساب لغته بعداً حجاجياً أو عدم اكسابها إياه»[2].

كما نجده يميل كثيراً إلى تصور «مايير» للحجاج القائم على المساءلة، فهو يرى أن تراكيب القرآن تستجيب طريقة بنائها لمفهوم الحجاج منزلاً في إطار نظرية المساءلة[3].

رابعاً: الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة:

في انقطاع المد الإبداعي في البلاغة العربية على مدى خمسة قرون أو يزيد،

---

(١) أحمد اتزكنرمنت، الحجاج في المناظرة، ص١٥٥.

(٢) صولة،الحجاج في القرآن، ص٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٢.

إلا من حالات فردية استثنائية، بدأت حقبة جديدة في حياة البلاغة تشق طريقا جديدة تستأنف فيها ذلك المد الإبداعي، وتؤسس لما يرتجى من استئناف المسيرة، بالاتجاه صوب البلاغة الجديدة التي أخذت تتشكل في شخصية عبد الله صولة العلمية والنقدية، في بداية التسعينيات، وفتح باباً للحجاج الغربي في الدراسات النقدية والبلاغية، وجمع فيه بين النظرية والتطبيق.

ودارت جميع الدراسات الحجاجية المعاصرة في فلك ذلك العالم الفذ، وانطلقت من دوحته ترفرف هنا وهناك في الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه، ولم تخل دراسة واحدة من العودة إلى ما كتب.

وشرعت الدراسات العربية تتابع تشعبات الحجاج من الناحية النظرية، ورصد جهود أصحاب هذا الاتجاه البلاغي الجديد، بهدف تقريبها إلى القارئ العربي من جهة، والاستفادة منها في دراسة النصوص العربية من جهة أخرى، في طرحها لمصطلح الحجاج بين التعريف والتطبيق والتأصيل، لمقاربته للمتن البلاغي العربي، والسعي إلى تجذير البحث الحجاجي في مناهجنا النقدية والتحليلية.

ومن أهم الدراسات النظرية في تعريف مصطلح الحجاج: العمل المشترك الذي أنجزه فريق البحث في البلاغة والحجاج بجامعة منوبة بتونس، تحت عنوان: أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم(1)، بإشراف حمادي صمود.

كما يعد المؤلف الحجاجي الضخم: «الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة» بإشراف حافظ إسماعيلي علوي، لبنة مهمة في سبيل جمع اغلب ما ألف من مقالات في نظرية الحجاج في العالم العربي،

(١) حيث انصرف حمادي صمود إلى تدقيق مصطلحي: الخطابة والبلاغة، واهتم هشام الريفي بالحجاج عند أرسطو، أما عبد الله صولة فتابع: مصنف في الحجاج، لبيرلمان وتيتيكا، متوقفاً عند أطره ومنطلقاته وتقنياته، فيما عرض شكري المبخوت لنظرية الحجاج في اللغة عند ديكو وانسكومبر، وانتقل محمد القارصي إلى تناول نظرية المساءلة عند ميشال ميار، وختم محمد النويري بالحديث عن الأساليب المغالطية كما درسها وودووالتون.

حيث استوعب هذا المؤلف المقسم إلى خمسة أجزاء كبرى دراسات متنوعة لثمان وأربعين باحثا،من المتخصصين والمهتمين بالدراسات الحجاجية من مختلف الأقطار العربية، وتضمن أزيد من ستين بحثا[١]، معظمها في الجانب النظري[٢].

كما ساهمت مجلة عالم الفكر مساهمة ثرية بمجموعة من البحوث القيمة في موضوع الحجاج جمعت فيها بين النظرية والتطبيق[٣]، ويندرج ضمن الدراسات النظرية كتاب محمد طروس:

- **النظرية الحجاجية**[٤].

ونلاحظ على هذه الدراسات النظرية بصفة عامة أنها لم تقتصر على البسط والعرض، وإنما تخللها الترجيح والنقد والاعتراض أحياناً أخرى.

ولم يكتف العرب بالجانب النظري في الدراسات الحجاجية، ولكنهم اندفعوا بسرعة إلى الممارسة التطبيقية على النصوص، والتي أبرزت كفاءة عالية في المقاربة تؤلف بين ترسانة نظرية غنية يمتلكونها، وقدرة شخصية طافحة قادرة على التدخل والتمييز والتفكيك، وتقديم معرفة نقدية بالنصوص.

(١) مقدمة كتاب» دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص٧.

(٢) جاء عنوان الجزء الأول بعنوان: الحجاج: حدود وتعريفات، والجزء الثاني بعنوان: الحجاج: مدارس وأعلام، والجزء الثالث بعنوان: الحجاج وحوار التخصصات، والجزء الخامس بعنوان: نصوص مترجمة، ويستثنى من هذه المجموعة الجزء الرابع، الذي جاء في البحوث التطبيقية وعنوانها: الحجاج والمراس.

(٣) من هذه المشاركات: الحجاج: مفهومه ومجالاته، عبد النبي ذاكر، مدخل على الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، لمحمد الولي، والحجاج في الدرس النحوي، لحسن الملخ، والتصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، لمحمد مشبال لمزيد اطلاع على باقي البحوث والمشاركات، انظر:مجلة عالم الفكر، العدد:٢، المجلد:٤٠،اكتوبر– ديسمبر،٢٠١١م.

(٤) بحث فيه طروس أربع مقاربات للحجاج هي: المقاربة البلاغية والمقاربة التداولية الحجاجية المدمجة، ومقاربة الأفعال اللغوية»، ولم يخل الكتاب بين الفينة والأخرى من النقد والترجيح والتأويل، ومن هذه الدراسات أيضاً: أبو بكر العزاوي وحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ورشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند انكومبر وديكرو، وأحمد كروم في: مقاربة نظرية في مظاهر الربط الحجاجي في بنية الاقتضاء، انظر: سعيد العوادي، ص٢٣.

أما الدراسات التطبيقية فركزت على تناول النصوص الأدبية أو الظواهر اللغوية من خلال المدخل الحجاجي، حيث يسقط الباحث النظرية ويطبقها في الممارسة التحليلية بما يقتضيه إعمال قدراته وكفاءاته الذاتية، وأول من تصدر هذا النمط التطبيقي عبد الله صولة[١] الذي طبق نظرية الحجاج على الخطاب القرآني من خلال كتابه: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.

وهو سفر يحتاج إلى معاودة القراءة والتأمل بين الحين والآخر؛ لأنه مبدع في منهجه وأسلوبه، يحتاجه اللساني والبلاغي والحجاجي والمثقف العادي، غير أننا نأخذ عليه تغييبه لمحور الإيقاع في حجاجية الصوت والتنغيم وأثرهما في إقناع المتلقي وبخاصة في الخطاب القرآني[٢].

ومن هذه الكتب كتاب على عمران الموسوم بـ: حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي: خطب الإمام علي نموذجاً، وإذا كان كتاب عمران اهتم بالنص الخطابي، فإن دراسة أبو بكر العزاوي: « اللغة والحجاج»، المتأثر فيها بديكرو وانسكومبر انصرفت إلى التطبيق في الظواهر اللسانية، وسلط الضوء على الاستعارة مقارناً بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية التي تأتي للزخرف والتفنن فحسب[٣].

ويندرج ضمن الدراسات التطبيقية مقالتان لمحمد نجيب العمامي،

---

(١) من مواليد ١٩٥٢م، وتوفي ٢٠٠٩م، وبدأ صولة شهرته أسلوبياً ثم سرعان ما تحول إلى التداولية ومنها إلى الحجاج، وزاوج في أعماله الحجاجية بين النظرية والتطبيق، والعرض والاعتراض، والغيرة على البلاغة العربية، والهمة العالية لتطويرها. يرحمك الله يا صولة.

(٢) انتظمت دراسة صولة في ثلاثة محاور كبرى هي: المعجم والتركيب والصورة، بغرض الانتقال من المفرد إلى المركب لسانياً، ومن الحقيقة إلى المجاز بلاغياً تعليق على النغم والتكرار.

(٣) وللعزاوي كتاب آخر عنوانه: الخطاب والحجاج، استعان فيه بالحجاج لتحليل الخطاب القرآني ممثلاً في سورة الأعلى، والخطاب الشعري من خلال قصيدة لأحمد مطر، ونسج على نفس المنوال: عبد الهادي ظافر الشهري في كتابه: «استرتاتيجية الخطاب: مقاربة لغوية تداولية»، اهتم فيه بالمرجعية التداولية، ولم يكتف فيه بتعريف الاستراتيجيات، وإنما سعى إلى الوقوف عند الآليات البلاغية واللغوية، علاوة على توظيف أمثلة وشواهد من القرآن والشعر والمسرح والخطابة والصحافة اليومية.

استعان فيهما بالحجاج لتحليل النص السردي والقصصي، إحداهما جاءت بعنوان: «البعد الحجاجي لأقصوصة القلعة لجمال الغيطاني، والأخرى: الذات محاجة في ألف ليلة وليلة (حكاية الحمال والبنات أنموذجاً)، وتتميز الدراستان بعمق الأفكار وغزارة المصطلحات، وكثرة الإحالات على المصادر الأم المكتوبة بلغتها الحية[١].

أما الدراسات الحجاجية المنتمية للنمط التأصيلي، فتكاد تضيق دائرتها عند الدارسين ضيقا كبيرا؛ لأن النمط التأصيلي يدعو صاحبه إلى التجديد والربط بين القديم والجديد،.

ولربما يعد طه عبد الرحمن مركز هذه الدائرة الضيقة، ولعل كتابه:» تجديد المنهج في تقويم التراث» غني في هذا السياق التأصيلي، حيث لا يبقى الحجاج بنية غريبة، بل يجد له أصولاً وامتدادات في التراث الفكري والفكري والفلسفي والأصولي والنحوي[٢].

(١) وكتابات العمامي بوجه عام، وهاتان المقالتان على وجه الخصوص - تحتاج إلى شيء من الصبر والمكابدة، وإعادة القراءة أكثر من مرة؛ لإيجازها الشديد من ناحية وكثرة المصطلحات المنتمية، والاعتراضات الواردة على أصحابها من ناحية أخرى.

(٢) لمزيد من الاطلاع على هذا النمط، انظر: سعيد العوادي، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة، ص٢٦٦، وما بعدها.

الخاتمة :

إن تتبعنا لمصطلح الحجاج بين بلاغتين، خلص بنا إلى، أن هذا المصطلح تجاذبته على مر التاريخ ثلاثة اتجاهات كبرى، يعود أولها لأرسطو الذي جعله قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة.

أما ثانيهما فقد ارتبط بنظرة العرب القدماء للحجاج باعتباره مرادفاً للجدل، بيد أن الأمر ليس كذلك؛ لأننا في مستوى البحث في المصطلح، ولسنا في مستوى البحث في المعجم.

أما ثالث هذه الاتجاهات، فهو الاتجاه الذي سلكته الدراسات المعاصرة ممثلة في بيرلمان وتيتيكا، وديكرو وانسكومبر، وغيرهم ممن لم يسعفنا المقام على تناول مساهماتهم، هذا الاتجاه الذي فصل أصحابه الحجاج عن صناعتي الجدل والخطابة ليجعلوه مبحثا مستقلا وقائما بذاته، يتسع مجال تداوله ليشمل المحادثات العائلية العادية كما يشمل المجالس المتخصصة.
كشفت الدراسة إشكالية تنوع دلالات مصطلح الحجاج واختلافها وتناقضها أحيانا، وأنه ليس من السهل أن نحظى بتعريف منضبط ودقيق للحجاج؛ لأنه من المفاهيم المثيرة للالتباس لاختلاف مظاهره، وتعدد زاويا النظر إليه، ما بين منظور منطقي، وتداولي، وبلاغي.

مكنت قراءة المصطلح في مستواه المعجمي المتشابك؛ وفي بعده التداولي الشاسع من الوقوف على درجة مكثفة من التداخل والتقارب والتقاطع؛ بين الحجاج والاستدلال والبرهان والجدل باعتبارها مصطلحات توظف في مجال علمي واحد.

أبرزت الدراسة توفر التراث العربي على مادة ضخمة في مبحث الحجاج، ينبغي استحضارها من أجل توظيف المفيد منها في البلاغة المعاصرة.

وضحت الدراسة، أن إشكالية مصطلح الحجاج ليست مشكلة البلاغة العربية بقدر ما هي مشكلة الإنسان العربي، فالبلاغة العربية قادرة على التعبير عن كل الظواهر المستحدثة بدقة وكفاية غير أن الإنسان العربي، وأمام العجز عن اللحاق بالركب الحضاري والعلمي نجده يدعي قصورها عن متابعة المصطلح التقني في البلاغة الجديدة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن خلدون، المقدمة: تحقيق خليل شحادة، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن سينا، الجدل، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة العامة للكتاب.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.
- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- أرسطوطاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي،، دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط٢،١٩٨٦م.
- الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الاسلامي، ط٢،١٩٨٧م.
- بارت، رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان،إفريقيا الشرق، ١٩٩٤م.
- بروطون فيليب، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال وزميله، ٢٠١٣م.

- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت(د.ت).
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.
- الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية.
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م.
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- سليمان، علي محمد، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي.
- السيوطي، جلال الدين:
  - الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت(د.ت).
  - معترك الأقران،دار الكتب العلمية، بيروت.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- صمودي، حمادي، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن أهم نظريات الحجاج.
- صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه االأسلوبية، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ٢٠٠١م.

- طروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، الدار البيضاء، ط١،٢٠٠٥م.
- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦م.
- العمامي، محمد نجيب:

×الذات محاجة في ألف ليلة وليلة، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي.

- العمري، محمد:

– البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

– في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، دار الثقافة، المغرب، ط١،١٩٨٦م.

- ×البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
- العوادي، سعيد، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة، ضمن الحجاج والاستدلال الحجاجي
- قادا، عبد العالي، بلاغة الإقناع (مقاربة نظرية وتطبيقية)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،ط١، ٢٠١٢م.
- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- قوجيل، محمد، أصول الجدل وآداب المحاورة في القرآن، جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٧م.

- الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، المغرب، ٢٠٠٨م.
- الولي، محمد، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٥م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلف جماعي من منشورات كلية الآداب بمنوبة، إشراف حمادي صمود.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط١،٢٠١٠م، (خمسة أجزاء).
- الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ورد الأردنية للنشر،٢٠١١م.

المقالات:

- الإدريسي، علي، في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، ضمن التحاجج: طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
- أعراب، حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، العدد١، المجلد٣٠، يوليو- سبتمبر،٢٠٠١م.
- العبد، محمد، النص الحجاجي العربي في وسائل الإقناع، مجلة فصول، عدد٢، ٢٠٠٢م.
- آيت حمو، محمد: ابن حزم فارس الحجاج في الغرب الإسلامي، ضمن التحاجج.

- الراضي، رشيد، الحجاجية اللسانية عند انسكومبر وديكرو، عالم الفكر، العدد١، مجلد ٣٤.
- العزاوي، أبو بكر: البنية الحجاجية والخطاب القرآني (سورة الأعلى نموذجاً)، مجلة المشكاة، العدد ١٩،المغرب،١٩٩٤م.

الرسائل العلمية:

- عبد اللطيف، عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي (مقاربة لآليات بلاغة الإقناع)، رسالة دكتوراة، (مخطوط) بكلية الآداب بمراكش،٢٠٠٤م.
- أبو الرجاء، يونس، حجاجية الحوار في القرآن الكريم (الحوار الإبراهيمي نموذجاً)، رسالة ماجستير، (مخطوط)بكلية اللغة العربية، جامعة القرويين، مراكش.

تعدد المصطلح النحوي ومحاولات نقده في العصر الحديث

د. سليمان يوسف خاطر،
أستاذ النحو والصرف
المشارك بجامعة
القصيم
كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية
ببريدة

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فهذا بحث موضوعه تعدد المصطلح النحوي ومحاولات نقده في العصر الحديث، قصدت به المشاركة في ندوة قضايا المصطلح النحوي بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم، وكانت بالتعاون مع مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض، بمناسبة اليوم العلمي للاحتفال باللغة العربية الذي يصادف هذا العام الخميس ١٤٣٦/٢/٢٦هـ.

وقد حاولت فيه تتبع مفهوم المصطلح والمصطلح النحوي ونشأته وتطوره عبر تاريخ النحو الطويل، ثم دراسة تعدد المصطلح النحوي في أسبابه وأنواعه وآثاره على دارسيه والباحثين فيه، مع عرض تحليلي نقدي لأهم البحوث التي حاولت نقده في العصر الحديث.

وكان الهدف منه الوقوف على هذه الجوانب العلمية التي كثرت فيها البحوث والدراسات حديثا، من المصطلح النحوي، وكذلك الإسهام بشيء مفيد لدارسي

العربية وعلومها، في هذا اليوم العالمي للعناية باللغة العربية وتراثها وعلومها، وبذل كل جهد ممكن في خدمة العربية وعلومها وطلابها في كل مكان، والدفاع عنها في وجه حملات التهوين منها، والتهويل منها كذلك؛ لأنها لغة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولغة الحديث الشريف الذي هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وكذلك من مصادر العربية، ولغة التراث العربي الإسلامي الممتد عبر العصور.

وتأتي أهمية هذا البحث من أهمية هذه القضايا التي تناولها، ومما انتهى إليه من نتائج وتوصيات أرجو أن تكون مما يمكث في الأرض وينفع الناس ويفيد الأجيال.

وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع التي أفدت منها فيه. والله وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: المصطلح والمصطلح النحوي: مفهومه ونشأته وتطوره.

مفهوم المصطلح: تعود كلمة (المصطلح) إلى الأصل (صلح) الذي هو نقيض الفعل (فسد) وقد وردت مشتقات الفعل (صلح) في التنزيل وفي الأحاديث النبوية والمعاجم المختلفة، لكن إذا نظرنا في مشتقات الفعل (اصطلح) فإننا لا نجد أياً من مشتقاتها في القرآن الكريم لكن وردت في عدد من أحاديث النبي الكريم مثل: «ثم يصطلح الناس على رجل»، و «فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة»، و«هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو»، و «لقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه...»[1]

أما المعاجم اللغوية فإنها تورد هذا الجذر بمعناه اللغوي العام دون أن تقيِّده

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: المكتب الإسلامي ودار صادر والأحاديث على الترتيب: ١٣٣/٢، ٤٩/٤، ٣٢٥، ٢٠٣/٥.

بمعنى عرفي محدد، وأول معجم لغوي وجدته تناوله بالمعنى العرفي هو معجم تاج العروس للزبيدي، بقوله:»...والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص»[(١)]

وقد طفقت المعاجم اللغوية التي جاءت بعد الزبيدي تنقل عنه هذا التعريف، فكانت المعاجم العربية الحديثة كلها تعنى بالتعريف الاصطلاحي إلى جانب التعريف اللغوي الذي هو الأصل[(٢)].

أما في الاصطلاح فأول من وجدته عني به هو الجرجاني الذي قدم له عدداً من التعريفات؛ فقد عرفه بأنه «عبارة عن اتفاق يقوم على تسمية الشيء باسم ينقل عن موضعه الأول»، وبأنه:»إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين»[(٣)]

وبعض هذه التعريفات تحتاج إلى ضوابط؛ لتصبح جامعة مانعة، ولكني هنا لست بصدد الحديث عن مواطن الضعف في هذه التعريفات؛ إذ تكفي الإشارة إلى أن جعل المصطلح ناشئاً عن اتفاق قوم يحتاج مزيد نظر؛ ذلك أن إيجاد المصطلح لا يحتاج بالضرورة إلى اجتماع واتفاق، فقد يبتكره شخص ويستخدمه في مؤلفاته، ثم يجد فيه الآخرون غناء فيأخذون به.

وبذلك قد يكون الاتفاق لاحقاً لوضع المصطلح.

وهنالك تعريفات أخرى أجدر بالأخذ بها من غيرها، خصوصا تلك التعريفات التي تشير إلى انتقال اللفظة أو نقلها للدلالة على معنى جديد غير

(١) تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر ببني غازي، مادة (صلح).

(٢) ينظر على سبيل المثال: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط/٤، مادة (صلح)

(٣) كتاب التعريفات، علي الجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية: ١٩٩٥م، ص ٢٨.

المعنى اللغوي السابق مع وجود صلة أو رابط بين المعنى الجديد والمعنى اللغوي القديم، مثل التعريف الذي ارتضاه الدكتور محمود حجازي بوصفه أفضل تعريف أوروبي اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلح، وهو:«الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها وحُدِّد في وضوح. هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحدد بذلك وضوحه الضروري»((١))

ومن الواضح هذا التعريف الطويل نسبيا يركز على جانبين مهمين من جوانب المصطلح: أولهما وضوح المصطلح؛ إذ يُطلَبُ وضوحه إلى أقصى درجة ممكنة، والآخر ورود المصطلح في سياق النظام الخاص بفرع محدد، لكن اشتراط أن يكون له ما يقابله في اللغات الأخرى يعد أمرا يضعف هذا التعريف؛ فيمكن الأخذ بهذا التعريف بعد حذف هذا الشرط منه.

وهنالك تعريف آخر أورده الدكتور محمود فهمي حجازي نفسه بقوله: «المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس؛ يكون تسمية حصرية تسمية لشيء ويكون منظماً في نسق ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوماً»[١]

هذا عن المصطلح العلمي بعامة، ولا يختلف المفهوم كثيرا عنه في المصطلح النحوي؛ فالمصطلحات النحوية هي أيضا كلمات أو عبارات تعارف أهل التخصص على مفاهيم لها خاصة بينهم إلى جانب مفاهيمها العامة في اللغة التي تتبادر إلى أذهان الناس عند إطلاقها.

وأخلص من هذا كله إلى أن المصطلحات ألفاظ مقررة تشبه الحدود وعلامات الطريق، لها معانٍ يفهمها الناس، ومعانٍ أُخر لا يفهمها إلاّ أهل ذلك العلم الذي تنسب إليه، وتنجم عن اتفاق، وعلى سبيل التمثيل إن كان بين جماعة

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥.

المُحدثين نتج عنه مصطلح في الحديث، وإن كان بين جماعة الفقهاء نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن كان بين جماعة النحاة كان المصطلح النحوي.

وتدل بعض المصطلحات على معانٍ تختلف باختلاف العلوم، فمصطلح (الخبر) على سبيل المثال لا الحصر، له معنى عند النحويين، وآخر عند المحدثين وثالث عند البلاغيين، كما أن الاختلاف في دلالة المصطلح يكون بين النحاة أنفسهم بسبب مناهجهم العلمية ومدارسهم المختلفة، وهذا ما سيأتي له تفصيل في هذا البحث إن شاء الله.

واقع المصطلح العلمي الحديث: لقد أحس العلماء في كل علم منذ زمن قديم لا يمكن تحديده بدقة، بأهمية المصطلح ومكانته وضرورة وضع أسس تتبع في وضع المصطلحات والتعامل معها، فظل هذا الإحساس مستمرا يدفع أهل كل تخصص إلى وضع مصطلحات لعلمهم، حتى نشأ تبعاً لهذا الإحساس في العصر الحديث ما يمكن تسميته بعلم المصطلح على يد كل من السوفييتي Lotte والنمساوي Wuster. وهذا العلم حسب تعريف المنظمة العالمية للتقييس: «دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين متخصصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية»[١] ويبدو أن الدكتور علي القاسمي الذي نقل هذا التعريف لم يعجبه تماما، وربما لطوله وبعض الركاكة التي فيه؛ فعرفه في إيجاز بأنه «العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها»[٢].

وتتمثل الوظيفة الأساسية لهذا العلم في دراسة أنظمة المفاهيم والعلائق التي تربطها داخل حقل معرفي معين، بضبط دقيق للمفاهيم والدلالات، وجرد مستفيض للألفاظ الحاملة لها بقصد إيجاد المقابلات الملائمة لها

(١) علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، علي القاسمي، مجلة اللسان العربي، ع٣٠، ١٩٨٨م، ص٨٥.

(٢) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، علي القاسمي، مجلس اللسان العربي، ع١٨-١، ١٩٨٠ ص٩.

من حيث الشكل والمضمون باحترام صارم للمقاييس اللغوية المتعارف عليها والمعمول بها[(١)].

وقد بلغ اهتمام العالم بعلم المصطلح إلى إنشاء عدد من المراكز والمؤسسات التي تتولى المسؤولية عن متابعة أمر المصطلحات والتنظير لها في المجالات العلمية والمهنية المختلفة[(٢)].

ومن أبرز هذه المراكز مركز المعلومات الدولية للمصطلحات (الانفوتيرم Infoterm) الذي تأسس بناء على اتفاق بين اليونسكو والمعهد النمساوي للمصطلحات[(٣)] (١١)

وقد سعى هذا المركز لإرساء أسس النظرية العامة لعلم المصطلح التي تهدف للعناية بما يأتي:

١-المفاهيم من حيث طبيعتها وخصائصها وأنظمتها والعلاقات فيما بينها.

٢-مكونات المصطلحات وتراكيبها واختصاراتها.

٣-العلاقات اللغوية للمصطلحات من حيث التخصص.

٤-التقييس والتوحيد للمصطلحات.

كما جعل المركز من أعماله متابعة ما يتصل بالتوثيق والمعلومات في مجال المصطلحات، وذلك بجمع المطبوعات المصطلحية من كل أنحاء العالم، سواء أكانت تلك المتصلة بالأسس والمعايير أم مجموعة المصطلحات المتخصصة وتقديم المعلومات عن المطبوعات الصادرة والمشروعات الجارية فيها.

---

(١) ينظر: علم المصطلحات وبنوك المعطيات، ليلى المسعودي، مجلس اللسان العربي ع٢٨، ١٩٨٧، ص٨٥.

(٢) من أبرز هذه المؤسسات بنك المعلومات المصطلحية المقيسة والجمعية الفرنسية للمصطلحية والجمعية الفرنسية للتقييس.

(٣) ينظر: الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريف، جواد حسني سماعنة، مجلة اللسان العربي ع٤٦، ١٩٩٨، ص٤١.

هذا بالنسبة للعالم بعامة أما في عالمنا العربي فقد تأخرت العناية بالمصطلح إلى وقت قريب، كما اقتصرت الجهود العربية في هذا الشأن على مجموعة البحوث التي وضعها عدد من العلماء ونشروها في الكتب والمؤتمرات والمجلات العلمية وعقد الندوات التي تسعى إلى توحيد المصطلح العربي في المجالات العلمية المختلفة؛ ومن آخرها ندوتنا هذه التي ضمن بحوثها هذا البحث، ومن أبرزها وأولها الندوة التي عقدت في الرباط سنة ١٩٨١م بجامعة الملك محمد الخامس، وقد نتجت عنه هذه الندوة إنشاء معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بفاس هذه الجامعة بالمغرب، ومن أهم أنشطة هذا المعهد إصدار مجلة (دراسات مصطلحية)

وهي مجلة حولية محكمة صدر العدد الأول منها في ١٤٢٢ه٢٠٠١م، وهذا الجهد على أهميته يظل جهدا خاصا بهذه الجامعة، ليس له كبير أثر في الدول العربية الأخرى. وهنالك الندوة التي عقدت في عمان سنة ١٩٩٣م.

لأن الجهود العلمية في هذا المجال بالعالم العربية ما تزال فردية وقاصرة فإن مجموعة الأسس والقواعد التي طرحت في هذه البحوث وهذه الندوات لم تجد التطبيق الفعال لها إلى اليوم؛ إذ إن ذلك يقتضي وجود مؤسسة عربية راعية تسهم في إرساء هذه الأسس وتفعيلها، وتقدّم الدعم الكافي لها لتأخذ مكانها المناسب في الدراسات والبحوث ليتسنى لها الاستقرار والشيوع بين المتخصصين، ولعل مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض في السعودية تكون تلك المؤسسة خصوصا فيما يتعلق بالمصطلح العربي اللغوي، على أن تتولى المؤسسات العربية المشابهة لها هذا العبء في المجالات العلمية الأخرى؛ لتتكاتف الجهود وتبلغ المقصود.

<u>نشأة المصطلح النحوي وتطوره:</u> لم يعرف العرب من أمر المصطلحات النحوية شيئاً قبل وضع قواعد اللغة ونحوها، وإن كانوا ينطقون اللغة ويفهمونها

بدقة، ويؤكد ذلك ما يفهم من قول الأصمعي ت(٢١٦هـ): « قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجلُ سوءٍ، قلت: أَفَتجر فلسطين؟ قال: إني إذاً لرجل قويّ». فهذا الأعرابي لم يفهم من الهمز إلاّ العيبَ والشتمَ؛ لذا أبى أن يكون عَيَّاباً؛ لأن ذلك من سمات سوء الخلق، ولم يفهم من الجرّ إلاّ السحبَ. أما الهمزُ بمعنى النطق بالهمز والجرّ بمعنى الإتيان بالحركة المخصصة، فهو أبعد ما يكون عن ذهنه وتفكيره[1]، أي أنه لم يعرف المصطلح النحوي بمعناه واستعماله الاصطلاحي.

ونخلص من هذا إلى أن العربي كان يستعمل المصطلحات النحوية على أنها كلمات عادية بمعانيها اللغوية المتعارف عليها بين أهل اللغة، دون أدنى إدراك منه لمعانيها الاصطلاحية التي حملتها لاحقا.

وهذا الأمر يجعلنا نقول بعدم إمكانية تحديد تأريخ لنشأة كل مصطلح من المصطلحات النحوية تحديداً دقيقاً؛ لأن هذا التاريخ يحيط به شيء من الاضطراب وعدم ثبات المصطلح، لكن الواضح أن هذه المصطلحات قد سايرت نشأة النحو، وبدأت كما بدأت العلة والقياس، وكما بدأت فكرة النحو وطريقة تناوله ساذجةً طبيعيةً في أول الأمر، فوضعت بذورها في أوراق النحو التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ت(٦٩هـ). لكنها ما لبثتْ بمضي الزمن وطول العهد ومتابعة الدراسة أن وقفت على قدميها، وأخذت أسماء ثابتة وألفاظاً خاصةً لازمتها وعاشت معها[2].

ففي عهد نصر بن عاصم ت(٨٩هـ) استعمل مصطلح (التنوين) فعن الحذاء قال: سألت نصر بن عاصم: كيف تقرأ قوله تبارك اسمه: ﴿ قُلْ هُوَ اللّه أَحَد اللّه الصَمَد﴾، فلم يُنَون، فأخبرته أن عروة يُنَون، فقال: بئسما، قال: وهو

---

(١) مدرسة البصرة النحوية، عبد الرحمن السيد، ط١، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٨م ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

(٢) ينظر: الموضع السابق.

للبئس أهل، فأخبرت عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ت(١١٧هـ) بقول نصر بن عاصم، فما زال يقرأ بها حتى مات[١].

وهذا يحيى بن يعمر ت(١٢٩هـ) قد استعمل المصطلحات النحوية كما نستعملها اليوم فيما روي من التحاور الذي دار بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهده، الذي قال له: « أتسمعني ألحن على المنبر؟ فقال: الأمير أفصح من ذلك، فألح عليه، فقال: حرفاً، قال: أيّاً؟ قال: في القرآن، قال الحجاج ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: في قوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾[٢]، فتقرؤها (أَحَبُّ) بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب (أَحَبَّ) على أنه خبر كان، فقال: لا جرم لا تسمع لي لحناً أبداً فنفاه إلى خراسان»[٣].

وقد جرت على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٠هـ) في الكتاب مصطلحات نحوية كثيرة، وفي ذلك يقول الدكتور جعفر عبابنة: « لا نعدو الصواب إذا قلنا إن المصطلحات المتعددة التي يمتلئ بها كتاب سيبويه ترد كلها تقريباً على لسان الخليل، ولكننا لا نعرف بالضبط ما وضعه النحاة قبله من هذه المصطلحات وما وضعه نفسه منها» من المعلوم لدى مؤرخي العلوم في الثقافة العربية الإسلامية أن القرن الرابع الهجري قد شهد نهضة علمية في شتى أنواع العلوم، فامتزجت فيه الثقافات المتنوعة من يونانية وفارسية وعربية، ولذلك شهد هذا القرن مؤلفات اهتمت بتصنيف العلوم وترجمت لأهم العلماء، واستخرجت المصطلحات فنسبتها إلى علومها وفنونها وإلى واضعيها إذا عرف هؤلاء الواضعون.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ت(٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٧.

(٢) من الآية ٢٤ في سورة التوبة.

(٣) طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٨.

وبرز في هذا القرن صنفان متميزان كبيران للعلوم هما: العلوم العربية وهي علوم الفقه والكلام واللغة من نحو ولغة وآداب وتاريخ، والثاني العلوم غير العربية كالطب والهندسة والنجوم وغيرها.

ولعل من أبرز المصنفات في هذا المقام كتاب (مفاتيح العلوم) للخوارزمي الذي تظهر فيه بوضوح هذه القسمة الثنائية، فقد جمع الخوارزمي (٢٤٠٠) مصطلح تقريباً، اعتمد في انتقائها على جهده الشخصي، ويبدو أنه قد اعتمد في تفسيرها على ثقافته كثيراً، وعلى النقل عن السابقين قليلاً، بحيث لم يرد في الكتاب إلا الخليل بن أحمد بإزاء بعض النقول القليلة، وما عدا ذلك فهو لا يحيل إلى مرجع إلا بعبارة (قيل) أو (قال) من دون أن يسبق ذكر لمن قال».

ويرى بعض الدارسين أن معالجة الخوارزمي للمصطلحات تعد الخطوات الأولى على طريق تقنين المصطلح العلمي» ذلك أن عصره لم يشهد تأليفاً لمعاجم المصطلحات العلمية التي تعد بالفعل «المصادر التي تستقى منها عادة تعريفات الألفاظ لغوياً واصطلاحياً».

ولحظ الدارسون كذلك «أن جميع مصطلحات الفقه وعلوم العربية أصيلة لأنها انبثقت من الفكر العربي بعد الإسلام، وكانت المصطلحات تظهر مع ظهور العلم وتتطور بتطوره وتتقدم بتقدمه. وأما فيما يخص المصطلحات العلمية المحضة، لعلوم الطب والهندسة وغيرها، أي المصطلحات العلمية غير العربية فإنها «لم تكن مستقرة في القرن الرابع الهجري فاقتضى تفسيرها بالمصطلحات والألفاظ الأعجمية»[1].

وليس غريبا أن توضع المصطلحات النحوية بهذه الطريقة العفوية؛ لأن النحو نفسه وضع بجهود أفراد تكاتفت وتكاملت وبنى اللاحق على جهد السابق حتى اكتملت في مدة مديدة تجاوزت القرن من الزمان؛ فما المصطلح النحوي إلا النحو نفسه شيء من صميمه.

---

(١) مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي، ص ١٦٠.

المبحث الثاني: تعدد المصطلح النحوي:

تعدد المصطلح النحوي في نظري أمر عادي طالما أن النحاة الأوائل لم يكونوا يعملون عملا جماعيا في وضع قواعد النحو ومصطلحاته؛ فليس هنالك تنسيق بين جهودهم أو مؤسسة رسمية تضم جهود الجميع وتربط بينهم في مجموعات كما يحدث في عصرنا أحيانا.

ولعل تعدد المصطلحات النحوية توسع بسبب نشأة المدرستين البصرية والكوفية في القرن الثاني الهجري، وليس غريباً أن تسلك كل مدرسة منهجاً وسبيلاً في ذلك وأن يكون لكل فريق مصطلحات خاصة به تخضع في الغالب لمزايا منهجه.

والمصطلحات التي اصطنعتها المدرستان ثلاث طوائف، طائفة كوفية خالصة لم يستخدمها البصريون، وطائفة بصرية خالصة لم يستخدمها الكوفيون، وطائفة وضعها البصريون ووافقهم عليها الكوفيون. وهذا النوع الثالث هو الغالب في مصطلحات النحو وعلوم العربية عموما[١].

وليس معنى هذا أن تعدد المصطلح النحوي كله من صنع المدرستين؛ ففي المصطلحات النحوية المتعددة ما كان من عمل بعض الأفراد ثم شاع استعمالها عند الجميع.

ومن الأمثلة على ذلك: النعت عند البصريين هو الصفة عند الكوفيين، والبدل عند البصريين هو الترجمة عند الكوفيين، والمفعول فيه عند البصريين يسميه الكوفيون الظرف[٢].

وهكذا نجد الباب الواحد في النحو أو المفهوم الواحد فيه يعبر عنه بأكثر

(١) مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي، ص ١٦٠.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب مدرسة كوفة النحوية، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، مطبعة الحلبي بالقاهرة، ١٩٥٨م.

من مصطلح، مثل العطف والنسق والرد والمردود، والمظهر والظاهر، والضمير والمضمر والكناية والمكنى، حروف الجر وحروف الخفض أو حروف الإضافة، وهذا نفسه جاء تبعا لتعدد مصطلح الجر والخفض[١]

ومن ذلك الممنوع من الصرف، والمصروف وغير المصروف، والمجرى وغير المجرى، ما ينصرف وما لا ينصرف، وموانع الصرف[٢].

وما هذه الطوائف من المصطلحات إلا دليل على أن المصطلحات النحوية لم تكن قد أخذت وضعاً ثابتاً مستقراً، بل كان العلماء يطلقونها ويقصدون بها الإفهام والإفادة. فإذا حققوا غرضهم وهدفهم دون التقيد باستعمالها لم يجدوا مانعاً من تركها. وما سبق ذكره من مصطلحات بصرية وكوفية نماذج للتطور الذي حدث في المصطلحات، ذلك التطور الذي كان بسبب التنافس غير النحوي بل التشاكس أحيانا بسبب اختلاف البيئة الثقافية والفكرية والمذهب العقدي أحيانا أخرى. وتمثل في استبدال مصطلح بآخر، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل نرى تطوراً في مصطلحات المدرسة الواحدة نفسها؛ لأن أوائل النحاة لم يكونوا يلتزمون التعبير بمصطلح معين في الشرح والتوضيح والتقعيد لكلام العرب الذي سمعوه ورووه ووعوه. فهذا سيبويه لا يلتزم في كتابه التعبير غالبا تعبيرا اصطلاحيا معينا[٣].

ويمكن القول إن أكثر أسباب التعدد في المصطلح النحوي تعود إلى التطور الحاصل في المصطلح النحوي نفسه. وهذا له صورٌ منها اختصاره بحذف كلمة أو كلمتين منه، أو بزيادة كلمة أو أكثر فيه، أو استبدال تراكيب بكلمتين، أو استبداله بكلمة أخرى، فعلى سبيل المثال لا الحصر باب (الابتداء) عند سيبويه هو (هذا مسند ومسند إليه)،وعند المبرد (٢٨٥هـ) وابن السراج (٣١٦هـ) والزجاجي

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(٢) المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية ٢١٨.

(٣) مدرسة البصرة النحوية ٣٣٠.

(٣٣٧هـ) والزمخشري (٥٣٨هـ)[١]، هو باب (المبتدأ والخبر)، والخبر عند سيبويه هو (المبنى على المبتدأ)، والمفعول له لم يسمه بالمفعول لأجله إلا ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ) ونائب الفاعل هو المفعول الذي لم يسم فاعله عند ابن آجروم[٢].

والمستثنى منه سماه سيبويه المستثنى فيه وأطلق عليه اسم البدل، وسماه ابن عصفور الأشبيلي ت(٦٦٩هـ) المخرج منه، وسماه المرادي (٧٤٩هـ) المخرج، والحال سماه المبرد المفعول فيها[٣].

أما التمييز فقد سماه ابن السراج[٣] بالمفسر، وسماه بالتمييز والتفسير، وقد أطلق عليه المبرد والزمخشري وأبو حيان النحوي الأندلسي (٧٤٥هـ) اسم التبيين والتفسير والمميز والمبين والمفسر[٣].

هذا كله دليل على شيوع ظاهرة التعدد في المصطلح النحوي في تسمية الأبواب والموضوعات، ففي المسائل الجزئية والقضايا الخلافية أكثر وأشيع. والله أعلم.

وهنالك نوع آخر من تعدد المصطلح النحوي يتمثل في تعدد دلالة المصطلح الواحد في عدة أبواب نحوية.

لقد كان المفروض إزاء استخدام المصطلحات وسيلة لنقل الصورة الذهنية المحددة في مجالات البحث العلمي المختلفة أن لا تتعدد دلالة المصطلح الواحد في العلم الواحد، ولكن الواقع أن هذا المفروض ليس مطردا؛ إذ إن بعض المصطلحات تتعدد دلالتها في العلم الواحد بتعدد الموضوعات التي استخدمت فيها حيث تدل على معان مختلفة و كلها معان اصطلاحية، وهكذا يضطر الدارس إلى معرفة هذه المعاني وما تستخدم فيه من موضوعات.

---

(١) ينظر على سبيل المثال: المفصل، الزمخشري ١٢٥، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١٦٨/١، والكتاب ٢٢٠/٢، والمقرب ١٦٠/١، والمقتضب ٢٩٩/٤ - ٣٠٠، والأصول في النحو ١٩٠/١، وارتشاف الضرب من لسان العرب ١٦٥/١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: المصادر السابقة في الأبواب المذكورة.

وأبرز مثال لذلك مصطلح (المفرد) في النحو، فإنه مصطلح استخدمه النحويون في موضوعات متعددة، ومن ذلك:

١-في تعريف الكلمة و هو مصطلح متعلق بالبنية اللفظية للصيغة و يعني (عدم وجود علاقة بين أجزاء اللفظ و أجزاء المعنى) أي المفرد الذي يقابل المركب، فكلمة رجل، و رجلان، و رجال أجزاء لفظها (الراء ن والجيم،و اللام) لا صلة لها بأجزاء المعنى و هي الدلالة على شخص، بخلاف كلمة (عبد الرحمن) و (كلية اللغة العربية) ليست مفردة؛ لأن الصلة جلية بين أجزاء اللفظ و أجزاء المعنى[١].

٢-في تحديد نوع الأسماء و علاماتها الإعرابية، و متعلق هذا الموضوع هو الدلالة العددية، أي المفرد الذي يقابله المثنى، والجمع و يكون تعريف المصطلح هنا هو: ما دلّ على واحد أي ليس بمثنى و لا جمع ولا ملحق بأحدهما ولا من الأسماء الخمسة[٢] وبناء على هذا فكلمة (عبد الرحمن)، و(كلية اللغة العربية)، و(رجل) مفردات؛ لأنها دلت على شيء واحد، و تكون الكلمات من نوع:(رجلان و رجال، ومسلمون) مثلا ليست مفردات، و قد كانت كذلك في الموضع السابق.

٣-في الجملة الاسمية حيث تناول النحاة أنواع الخبر فيها، و يعني مصطلح المفرد هنا ما ليس جملة، ولا شبه جملة) فالخبر مفرد في نحو، المؤمن فاضل، والمؤمنان فاضلان، والمؤمنون فاضلون، والمؤمنات فاضلات. كل أخبار هذه الجمل من قبل المفرد في حين يعد الخبر في نحو: (الشمس تطلع من المشرق) و (الاجتماع غدا) ليس مفردا، ففي الأولى جملة و في الثانية شبه جملة[٣].

---

(١) ينظر: مدرسة البصرة النحوية ٣٣٠.

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري ١/ ٢٣٠.

(٣) ينظر الموضع السابق.

٤-في باب لا النافية للمفرد وفي أسلوب النداء، يقصد بالمفرد كون اسم لا أو المنادى ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف مثل:، لا رجل في الدار، ويا إبراهيم. وغير المفرد في هذين البابين ما كان مضافا أو شبيها بالمضاف مثل: لا طالب علم مذموم، ولا بارا بوالدين مخذول، ولا حافظا درسه راسب، ويا عبد الله ويا حميدا خلقه، ويا مكرما جاره، ويا رحيما بالعباد[1].

أمام هذا التعدد في استخدام المصطلح وفي دلالته لا يمكن لأحد أن ينكر هذه الظاهرة ولا ما يترب عليه من أثر على المتعلم خصوصا المبتدئ في النحو الذي قد تواجهه صعوبات بسبب هذا التعدد في المصطلح النحوي لفظا ومعنى، ومن ذلك:

١-الخلط بين الدلالتين اللغوية و الاصطلاحية، وذلك حين يحاول الدارس التماس صلة بين هذين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي اللذين قد يحصل تشابه بينهما، هذا التشابه لا ينبغي أن يؤدي إلى استمرار الدلالة اللغوية في بنية الدلالة الاصطلاحية و إلا أدّى إلى اضطراب المعنى الاصطلاحي الذي ينتج عنه فساد الأحكام المرتبطة به.

ومثال ذلك مصطلح (العامل) الذي نقل من الاستعمال اللغوي العام الذي هو الدلالة على من أحدث الفعل، واستعمل في مجال النحو على أنه العنصر المؤثر في تغيير الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات المعربة في الجملة؛ فأدى الخلط بين الدلالتين إلى تصور بعض النحويين أنه محدث الحركة الإعرابية، و رتب على ذلك أن وراء كل حركة إعرابية عاملا أو مؤثرا، و متى وجد العامل وجد المعمول، وأن العامل مخالف للمعمول؛ لأن العامل لا يعمل في نفسه، و ترتب على هذا تحول قضية العامل من بحث في نظم اللغة ووسيلة إلى تعلمها وتعليمها إلى نظرية متسقة تفرض على اللغة نظاما عقليا.[2]

---

(١) ينظر المرجع السابق ١/٢٣٥.

(٢) ينظر: أصول النحو العربي في نظرة النحاة ورأي ابن مضاء القرطبي، ص ٢٤١.

٢- ثاني هذه الصعوبات احتمال الخلط بين الدلالات الاصطلاحية المختلفة في العلوم المتنوعة التي يستخدم فيها هذا المصطلح، فاشتراك المصطلح بين علوم متعددة قد يؤدي ببعض الباحثين إلى محاولة الربط بين دلالاته؛ فيتأثر مضمون مصطلح في علم ما بمضمونه في علم آخر، الأمر الذي يؤدي إلى اضطراب في تحديد صورة مدلول كل اصطلاحي على حدة أو تشويه هذه المعاني الاصطلاحية، أو تصبح معاني هذه المصطلحات مزيجا من معنى هذا المصطلح و معان في علوم أخرى و ليس صورة مرتبطة بعلم معين.

يمكن أن يساق لذلك مثالا بمصطلح (العلة) في أصول النحو، الذي هو في الحقيقة كشف لما تتصف به العربية في نظمها من تناسق و الحكمة منه، و ليست بحثا أساسا في اللغة، أما العلة في المنطق:فهي قانون عقلي إليه ينسب وجود الأشياء و تتسم بميزتين: الضرورة،و الغاية. و لكن لما تأثر مفهوم العلة النحوية بمفهومها في النطق أصبح موضوع العلة بحثا في صميم النحو بغية اكتشاف الظواهر اللغوية،وهي بهذا المنظور سابقة في الوجود على كل شيء.[١]

٣-ثالث الصعوبات احتمال الخلط بين الدلالات الاصطلاحية المختلفة في الأبواب المختلفة في إطار العلم الواحد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل في مثال مصطلح المفرد. و تعد هذه الصعوبة أهون الصعاب؛ إذ احتمال الوقوع فيها مقصور على المبتدئين لا يكاد يتجاوزهم[٢].

٤-تبقى أمامنا صعوبة أخرى وهي أهمّ الصعاب وتتمثل في التطور الدلالي للمصطلح.

---

(١) ينظر المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٢) مدرسة البصرة النحوية، ص ٣٣١.

فقد يستعمل المصطلح لمدة و نتيجة التغيرات التي تحصل للعلم و الظروف المحيطة به ونحو ذلك من المؤثرات التي قد تؤدي إلى موت المصطلح و انقراضه أو استبداله بمصطلح آخر أو إلى تغيير دلالته التي كانت عليها.

أما موت مصطلح معين فلا تمثل مشكلة علمية؛ إذ إن ميلاد مصطلح و موت آخر دليل على قدرة الأول على التعبير الكامل على المفهوم المراد، وانقراض الثاني دليل على عدم وفائه بالمهمة المرجوة منه.

ولكن الصعوبة التي تواجه الباحثين قد تكون كبيرة في تغير دلالة المصطلح، و ثبات لفظه بحيث يضطر الباحث بذل جهد كبير في سبيل ربط المصطلح بإطاره الزمني وتطوره التاريخي.

ومثال ذلك مصطلح (القياس) الذي استخدمه النحاة العرب منذ العصور الأولى بل حتى قبل (عبد الله بن أبي إسحاق) الذي إليه ينسب الولوع بالقياس؛ هو « أول من بعّج النحو ومد القياس وشرح العلل»[1].

التتبع التاريخي لاستخدام هذا المصطلح و تاريخه ينتهي بنا إلى مفهومين مهمين في دلالة هذا المصطلح المهم في علم أصول النحو العربي:

أما الأول: فهو مدى اطّراد الظاهرة في النصوص اللغوية، وجعل ما اطّرد من هذه الظواهر قاعدة ينبغي الالتزام بها و تقويم ما شذّ من نصوص اللغة عنها.

وأما المفهوم الثاني للقياس:فهو إلحاق أمر بأمر آخر لما بينهما من شبه أو علة جامعة؛ فيعطى الملحق حكم الملحق به.

والمدلول الأول للقياس هو الشائع طوال القرون الثلاثة الأولى ولكن بعد فترة تأثر النحاة بالمفهوم المنطقي للقياس الذي هو المفهوم الثاني «إلحاق أمر ما بأمر لعلة مشتركة بينهما»[2]

(١) طبقات النحويين واللغويين، ص ٣٧.

(٢) مدرسة البصرة النحوية، ص ٢٣٥.

ولعل هذه النماذج كافية في إيضاح ما أقصده بتعدد المصطلح النحو وبعض آثاره على المتعلم والدارس المتخصص في النحو، وبها يظهر جليا خطأ المبالغة في تصور أخطار جسيمة على النحو ودارسيه بسبب هذا التعدد، لا وجود لها في الواقع.

المبحث الثالث: من المحاولات الحديثة نقد التعدد في المصلح النحوي

انقسمت الدراسات التي نقدت تعدد المصطلح النحوي إلى قسمين: دراسات كتبت خصيصا لنقد هذا التعدد وبيان أسبابه وأخطاره ومن ثم محاولة البحث عن علاجه، ودراسات عامة للمصطلح النحوي، خصص فصل أو مبحث أو جزء منها لنقد ظاهرة التعدد في المصطلح النحوي كذلك. وقد رأيت أن أعرض لكل من النوعين على حدة عرضا موجزا مع التحليل والنقد ما أمكن ذلك.

١-من أهم البحوث في هذا المبحث بحث بعنوان(تعدد المصطلح وتداخله

قراءة في التراث اللغوي) من إعداد الدكتور،خالد بسندي، ونشره بمجلة (التراث العربي) التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

وخلاصة هذا البحث: أن « الباحث في المصادر اللغوية يقف أحيانا على تعدد وتداخل في استخدام المصطلحات لبعض المفاهيم اللغوية، يدفعه إلى ملاحظة ما وقع من خلط بين هذه المصطلحات في أحيان غير قليلة...»[((١))]

قد بذل الباحث في بحثه هذا جهدا كبيرا في جمع مادته من مصادرها الأصلية، وفي التنسيق بين النصوص المنقولة، والتعليق عليها، غير أنه يؤخذ عليه المبالغة في الأحكام التي كثيرا ما يطلقها بلا دليل ولا تأنٍ وروية، على النحو

---

(١) تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي، الدكتور خالد بسندي، مجلة (التراث العربي)، العدد ٩٨، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٢٤ - ٥٠.

المطلوب في البحوث العلمية؛ فمثلا دعواه هنا أن الخلط بين المصطلحات اللغوية في المصادر اللغوية قد وقع في أحيان غير قليلة، في حاجة إلى دليل إحصائي يثبتها؛ ولم يقدم لنا أي إحصاء لمواقع هذا الخلط غير القليل في نظره؛ لأن القلة والكثرة أمور نسبية لا يمكن القطع فيها بحكم قائم على التخمين ومجرد الظن.

ولأن الباحث قد حكم بوقوع الخلط في المصطلح اللغوي في المصادر اللغوية ذهب يبحث عن سبب ذلك، فانتهى أن «سبب ذلك أنّ دراسة هذه المصطلحات تمثل إشكالا وتعد من أهم الصعاب التي تعترض الباحثين والدارسين. فتعدد المصطلح وتداخله غدا مشكلة أدّت إلى التشتت. فوجدت المترادفات الكثيرة الدالة على ظاهرة واحدة، وتحمل أحيانا كثيرة مفهوما واحدا»[١].

هنا أيضا نرى أن من الدعاوى الخالية من أي دليل الزعم بأن دراسة المصطلحات اللغوية تمثل إشكالا وتعد من أهم الصعاب التي تعترض الباحثين والدارسين، فهذه مبالغة واضحة، كما أن القول بأن تعدد المصطلح وتداخله غدا مشكلة أدت إلى التشتت، من المبالغات التي ليس عليها أي دليل من الواقع؛ فتعدد المصطلح أمر واقع لا ينكر لكنه لم يبلغ هذا الحد المهول، كما أن آثاره على الباحثين والدارسين ليست بتلك الخطورة، فالأمر أهون مما تخيله هذا الباحث المجتهد، وفقنا الله وإياه.

وقد «حاول البحث رصد هذه المصطلحات وتتبعها في كتب التراث اللغوي، وبيان حقيقتها، وتوضيح التداخل فيما بينها مقتصرا على المشهور منها، ومتجاوزا المستقر، مبتدئا بسيبويه ومن تبعه من العلماء فيما يتعلق بالمصطلحات النحوية واللغوية وما كان منها متداخلا مع المصطلحات البلاغية. ووجد الباحث أن المصطلحات تعددت وتداخلت ضمن المحاور الآتية:

---

(١) المرجع السابق، ص ٢.

١-تعدد المصطلح وتداخله للمفهوم الواحد:

نحو إطلاق العلماء مصطلحات (الاستغناء وسد المسد والاكتفاء)، رغم أن الاستغناء يختلف في طبيعته وحكمه ومواضعه عن المصطلحين الأخيرين، لكنّ القدماء خلطوا بين المصطلحات الثلاثة ومفاهيمها، وذكروا ما يمكن أن يكون استغناء تحت باب غيره، والعكس أيضاً. وهذه الظاهرة التي أشرنا إليها (الاستغناء) أوقعت بعض المحدثين في الخلط، بل ربّما اشتطّوا في بحوثهم، فعدّوا هذه الظاهرة ضمن الحذف تارة، وضمن التعويض تارة أخرى، حتى أوصلهم ذلك إلى عدّها من قوانين التحويل اللغوية الحديثة التي توصّل إليها تشومسكي. ونحو إطلاق سيبويه مصطلح(الخبر) للدلالة على الحال إضافة إلى مصطلح الحال، ونحو إطلاق سيبويه مصطلح (الصفة والنعت)على مفهوم واحد. وإطلاق ابن جني على الاشتقاق الصغير اسم الاشتقاق الأصغر إضافة إلى الاشتقاق الصغير في وقت واحد، مما أدى فيما بعد إلى اضطراب المصطلح بين الصغير والأصغر،والكبير والأكبر إضافة إلى مصطلحات أخرى في هذا الباب.

٢-تعدد المصطلح وتداخله بين المدارس النحوية مع اختلاف المفهوم:

نحو مصطلح (الفصل)عند البصريين ومصطلح(العماد)عند الكوفيين، ومصطلح (ضمير الشأن) عند البصريين ومصطلح (الضمير المجهول) أو (الاسم المجهول) عند الكوفيين،ونحو مصطلح (الصلة) عند البصريين والصلة عند الكوفيين، والصلة عند الفراء والزيادة عند البصريين. ونحو إطلاق مصطلح (الصفة) عند الكوفيين على حروف الجر وإطلاق مصطلح الصفة أيضا عند بعض الكوفيين على ظرفي الزمان والمكان.

٣- تعدد المصطلح وتداخله نتيجة اختلاف العلوم: نحو مصطلح (الخبر) ومفهومه عند النحويين ومصطلح الخبر ومفهومه عند البلاغيين.ونحو تداخل

مصطلح (الحشو) عند البلاغيين أنفسهم مع مصطلحات أخرى كما هو عند النحويين أيضا».ليت الباحث الفاضل كتب بحثه كله بمثل هذه اللغة الهادئة المصحوبة بالنماذج والأمثلة من أقوال العلماء وآرائهم، بدل اتهامهم بالخلط جملة دون توضيح أو بيان أو دليل.

ومما يؤخذ عليه أنه ذكر من محاور ما يسميه تعدد المصطلح وتداخله التعدد مع اختلاف المفهوم، والحاصل في جميع ما ذكره فيه من عكس ما ذكر؛ فالأمثلة المذكورة كلها فيها اتفاق المفهوم لا اختلافه، كما يؤخذ عليه أنه جعل عنوان بحثه عنوانا لتمهيده فيه تقريبا، ونلحظ أنه كثيرا ما يطلق العلماء أو الباحثين، وهو يريد واحدا أو عددا قليلا منهم.

ولعل ما ذكرته من اندفاع الباحث أحيانا وحماسته الزائدة ومحاولة إثبات شيء كأنه قرره سابقا أصلا، كل ذلك أدى إلى أن ينهي بحثه دون خاتمة ولا استخلاص أي نتائج عامة في نهايته، كما جرى العرف في البحوث العلمية، وما كان أحوج بحثه وأحوجنا إلى ذلك منه؛ لأن هذا البحث مع كل ما ذكرته من المآخذ عليه يعد بحثا ممتازا في موضوعه وفكرته، جيدا في أسلوبه ومعالجته للموضوع، والباحث قد بذل جهدا كبيرا يذكر فيشكر له، وكان جريئا في إبداء رأيه وما يعتقده صوابا، نسأل الله لنا وله الأجر والثواب والتوفيق.

٢-اضطراب المصطلح النحوي وكيفية معالجته في الكتب المنهجية لقواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، بحث أعده د.هاشم محمد مصطفى، ونشره عام ٢٠٠٦م، بجامعة صلاح الدين في أربيل بالعراق.

و«يقوم البحث على استقراء متأنٍ وتحليل لأسباب اضطراب المصطلحات النحوية ومعالجتها في الكتب المنهجية لقواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية.

توزع البحث على مقدمة وثلاثة مباحث، اشتمل أولها على تحديد لمفهوم

المصطلح لغةً واصطلاحاً، وعرض لكيفية نشوئه وتطوره، وأما المبحث الثاني فقد تناول المصطلحات النحوية في الكتاب المنهجي وكيفية استعمالها وتوزيعها على المراحل الدراسية المختلفة، وجاء في المبحث الثالث أسباب اضطراب المصطلحات النحوية وكيفية معالجتها مع ذكر بعض التوصيات والمقترحات المفيدة، وختم البحث بجملة من النتائج أهمها إعادة النظر في بعض المصطلحات والمفهومات النحوية التي تؤدي إلى تعدد المصطلحات والعمل على تيسيرها لتكون مناسبة لمستويات الطلبة في المراحل المختلفة ووجوب الالتفات إلى تحديد هذه المصطلحات، وخاصة ما كان دخيلاً على النحو من العلوم الأخرى تقليلاً لمعوقات الدرس النحوي وتحبيبه إلى نفوس الطلبة وخدمة للغة القرآن الكريم.(١)

ومن الواضح أن هذا البحث خصص لهذه الظاهرة في مقررات النحو بالتعليم العام، وقد عالج الباحث بحثه في إيجاز وتركيز بالغين، وانتهى إلى نتائج أهمها:

إلى جملة من النتائج أهمها:(٢)

١-لم تبرأ كتب النحو المدرسي للمراحل كافةً من معوقات الدرس، على الرغم مما بذل فيها من جهود تيسيرية في النحو العربي، ومن هذه المعوقات اضطراب المصطلحات النحوية وعدم استقرارها.

٢- تتوزع أسباب اضطراب المصطلحات على مجالات أهمها ما يعود إلى المصطلح نفسه نظماً ودلالةً، أو لكونه من المصطلحات التي تسربت إلى النحو من الدراسات الفقهية والمنطقية والفلسفية التي لم يألفها الطالب. أما المجال الثاني فيعود إلى الكتاب مما يتعلق بكيفية عرض المصطلح وتدرجه مع مستوى الطلبة. والمجال الثالث الأسباب التي تعود إلى الطالب.

---

(١) اضطراب المصطلح النحوي وكيفية معالجته في الكتب المنهجية لقواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، د.هاشم محمد مصطفى، مجلة كلية التربية بجامعة أربيل في العراق عام ٢٠٠٦م، ص٣.

(٢) (المرجع السابق، ص ١٤.

٣-من الممكن أن يفتح البحث المجال أمام الباحثين لدراسة السبل التي ترتفع بكتاب النحو المدرسي إلى المستوى الذي يجعله يحبب مادة النحو إلى نفوس الطلبة.

وكذلك قدم الباحث في ختام بحثه توصيات مهمة للباحثين والمدرسين وكل من له صلة بتدريس النحو في المراحل المختلفة، كان من أهمها[١]:

١. الاستغناء عن المصطلحات المضطربة، وحصر استعمالها في المواضيع التي يتوقف تحديدها عليها واستقرارها لسهولة فهم هذه المصطلحات لدى دارسي اللغة العربية.

٢. عدم التوسع في استعمال بعض المصطلحات مما يؤدي إلى الاشتراك اللفظي.

٣. عدم الاكتفاء باستعمال المصطلح النحوي في مجال واحد من الكتاب المدرسي (العرض، أو التمرين، أو الخلاصة والقواعد).

٤. إرجاء استعمال بعض المصطلحات إلى مرحلة التعليم الجامعي.

٥. إعادة النظر في بعض المفهومات النحوية التي تؤدي إلى تعدد المصطلحات لجعلها مناسبةً مع مستويات الطلبة وأسس المنهج التعليمي بما لا يخالف القيم العلمية للنحو العربي.

٦. الارتقاء بطريقة تدريس القواعد لإبعادها عن صيغة تلقين المعلومات النحوية التي تبقي المصطلحات على اضطرابها.

٧. ضرورة ابتعاد واضعي كتاب النحو المدرسي عن التقليد في عرض موضوعات النحو العربي.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

٣-الترادف المصطلحي النحوي، بحث أعدة د.زكريا أرسلان، ونشره بمجلة (دراسات مصطلحية)، في جامعة سيدي محمد الخامس بمكناس في المغرب، العدد السادس الصادر في العام ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م، في نحو عشرين صفحة.

وهو بحث موجز عميق جاد، قام على رصد الظاهرة في مصطلحات النحو العربي مقارنة بمصطلحات اللغات الأخرى، وذكر أمثلة وافية تدل على أن المشكلة عامة وليست خاصة بالمصطلح النحوي العربي، ورصد أقوال عدد من الباحثين الغربيين في أسباب المشكلة وحجمها ومحاولات علاجها.

وقد انتهى إلى نتائج لا تختلف كثيرا عن نتائج البحث السابق وتوصياته مع الاختلاف الكبير جدا في منهج التناول ووسائل الدراسة وأهدافها عند الباحثين.

وهنالك بحوث كثيرة تناولت تعدد المصطلح النحوي ضمن دراسة عن مشكلات النحو العربي بعامة أو ضمن دراسة عن المصطلح النحوي بخاصة.

٤-من أقدم تلك البحوث بحث للدكتور تمام حسان عمر، نشره ضمن الجزء الثاني من مقالاته في اللغة والأدب، الذي صدرت طبعته الأولى عن دار عالم الكتب بالقاهرة عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٠١ - ١٢٣، بعنوان (وضع المصطلح العربي في النحو والصرف) وهو بحث موجز عميق شأن بحوث الدكتور تمام عادة، ذهب فيه أن تعدد المصطلح قد يؤدي إلى جعله مثل الكلمات العادية التي كثيرا ما تتعدد معانيها ضمن السياقات المختلفة، وقد ساق عددا كبيرا من المصطلحات النحوية منذ كتاب سيبويه إلى اليوم ذاكرا أن العلماء لن يتوقفوا عن وضع المصطلحات وإلا توقفوا عن التفكير.

ومع ذلك لم ير تعدد المصطلح مشكلة كبيرة في نظره ولا لها من الآثار ما يعيق دارسي العربية.

وختم بحثه بدفاع قوي عن أصالة المصطلح النحوي العربي نافيا أي صلة له بمصطلحات اللغات الأخرى.

٥-من إشكاليات المصطلح النحوي، بحث أعده الدكتور سعيد جاسم الزبيدي، ونشره في العدد المزدوج الأول والثاني من مجلة جامعة نزوي بسلطنة عمان، في رمضان من العام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

وقد جعل أولى ما سماه إشكاليات المصطلح النحو مشكلة تعدده، راصدا عددا من الذين كتبوا عن المصطلح النحوي قبله عموما.

وقد التزم في بحثه بالمنهج العلمي التزاما جيدا في عرض المادة العلمية وتصور المشكلة في صورتها العادية دون تهويل أو تهوين.

وقدم تصوره للمشكلة من خلال عدد صالح من النماذج من كتب التراث، محاولا جهده تشخيص المشكلة بدقة والتماس أسبابها والبحث عن حلول لها في هدوء وتجرد كبيرين.

وانتهى إلى نتائج وتوصيات للباحثين في حقل التخصص لا تختلف كثيرا عما سبق في البحوث التي كانت قبله؛ فلا نطيل بتكرارها.

وهنالك بحوث أخرى تناولت تعدد المصطلح النحوي ضمن موضوعاتها في قضايا النحو أو تاريخه أو مصطلحاته، ولكني لا أجد فيها جديدا يذكر يمكن إضافته إلى ما سبق في البحوث الخمسة التي عرضتها. والله الموفق.

الخاتمة : خلاصة البحث ونتائجه وتوصياته

بعد هذا التطواف مع المصطلح النحوي في مفهومه ونشأته وتطوره والدراسات الناقدة له في العصر الحديث وأثر ذلك كله في تعلمه وتعليمه ودراسته وبحوثه، يمكن تلخيص أهم ما انتهيت إليه فيما يلي:

١-الاهتمام بالمصطلح قديم قدم العلوم نفسها؛ إذ كل علم ينشأ ومصطلحاته جزء منه تنشأ معه وتنمو وتتطور وتستقر، فهي من صميمه بلا أدنى شك؛ فلا يمكن ضبط علم إلا خلال مصطلحاته.

٢-نحن في العالم العربي تأخرنا كثيرا في مجال وضع المصطلحات وتوحيدها في المعارف والعلوم المختلفة في حين تقدم غيرنا من الأمم في العالم خطوات بعيدة في هذا المجال، ولا يمكننا أن نلحق بركب العالم في هذا الشأن إلا من خلال عمل جماعي وجهد مؤسسي كبير تتعاون عليه الدول العربية والإسلامية كافة.

٣-مهما تعددت التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المصطلح فهي متفقة في المضمون بأن المصطلح كلمة أو عبارة تستخدم بمعنى خاص متعارف عليه بين جماعة علمية أو مهنية مع احتفاظها بمعناها اللغوي العام بين العامة من أهل تلك اللغة.

٤-معجم البحوث التي درست المصطلح النحوي في العصر الحديث ركزت على الهجوم على التراث النحوي بعامة ومصطلحات النحو وتعددها وتداخلها بخاصة، وفي ذلك مبالغات كثيرة وكبيرة في تصور المشكلة وأسبابها وآثارها وحلولها.

٥-من أخطاء الدراسات المعاصرة في نقد المصطلح النحوي المبالغة في وصفه بالتداخل والتعدد، والمبالغة في تصور الأثر السلبي لذلك، والمبالغة في جعله من مظاهر الفوضى وعدم الدقة في تراثنا النحوي كله عبر تاريخه الطويل،

والخلط بين المصطلحات العلمية والكلمات العادية، وهذا الأخير ثغرة كبيرة في تلك البحوث ينبغي التنبه له من الباحثين والدارسين. والله الموفق.

٦-هنالك أخطاء كثيرة في البحوث التي تناولت المصطلح النحوي في العصر الحديث فيما يتعلق بنسبة المصطلحات إلى الأفراد والمدارس والاتجاهات النحوية المختلفة عبر تاريخ النحو الطويل، والأمر في حاجة إلى مراجعة دقيقة من خلال بحوث عميقة جادة وباحثين غير متعجلين ولا متحاملين ولا مائلين إلا مع الحقائق العلمية المجردة.

٧-أكثر الناقدين للمصطلح النحوي العربي لم ينتبهوا إلى حقيقة أن القدماء من علمائنا السابقين وسلفنا الصالحين انصبت عنايتهم على تأصيل مسائل العلم، وتركزت جهودهم على شرح المسائل النحوية وبيان أحكامها وضبطها واتساقها وتسهيلها للناس ونوها من الغايات الكبرى والأهداف الجوهرية للنحو. وفي ذلك شغل وأي شغل عن العناية بالمصطلحات والمناهج ونحوها من الأمور تأتي عادة بعد اكتمال البحث في أسس العلم العامة وقضاياه الكبرى ومسائله التأصيلية.

٨-النقد في التراث النحوي ظل عملا مستمرا منذ كان النحو، ولم يتوقف يوما؛ فكل لاحق من النحاة ينقد عمل سابقه من خلال الشروح والحواشي والتعليقات والتعقبات والمؤاخذات. وهذا أمر ظاهر يدعونا إلى النظر إلى أعمال النحاة عبر التاريخ على أنها متكاملة.

٩-تعدد المصطلح واضطرابه أحيانا أمر عام في جميع العلوم وأمور الحياة العامة، وليس خاصا بالنحو والصرف، والشواهد على ذلك في العلوم الشرعية والأدبية والنقدية ظاهرة لا تخفى قديما وحدثا؛ فليوسع النظر وتعمم الدراسات بحثا عن حلول عامة. وفي مجال الحياة العامة يمكن التمثيل بالهاتف المحمول وكثرة أسمائه في البلاد العربية بل في البلد الواحد أحيانا.

١٠-كثرة الدراسات الناقدة للنحو العربي اليوم بعامة والمصطلح النحوي بخاصة مع تكرارها وتداخلها وعدم بناء اللاحق على السابق فيها، أصبحت من أكبر المشاكل اليوم أمام الباحثين والدارين لعلوم العربية وعلى رأسها النحو والصرف؛ فلا مناص من مراجعة ما كتب في هذا المجال بغية توجيه البحوث العلمية إلى المشكلات الحقيقية والكبيرة الكثيرة اليوم، مما ينفع الناس ويمكث في الأرض، بدل تكرار البحوث التي هدفها الوحيد مجرد الحصول على الدرجات العلمية والترقيات. والله المستعان.

وفي الختام أوصي بما أسلفت من ضرورة مراجعة جميع ما كتب في مجال النقد النحوي حديثا خصوصا ما تعلق منه بالمصطلح النحوي وتعدده، وحصر البحوث السابقة في هذا المجال، ودراستها دراسة تحليلية نقدية مقارنة، من خلال دراسة أو مؤتمر أو ندوة. كما أوصي كل قادر من الأفراد والمؤسسات بالسعي الجاد إلى إيجاد مؤسسة عربية تعنى بالمصطلح العلمي العربي وتوحيده في المجالات العلمية والمهنية المختلفة مع قرار سياسي عربي ملزم لجميع وسائل الإعلام العربية بالحرص على استخدام المصطلحات العربية المجمع عليها وترسيخها. والله وحده الموفق.

مصادر البحث ومراجعه:

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: المكتب الإسلامي ودار صادر ببيروت، دون تاريخ.

ابن السرّاج النحوي البغدادي ت(٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.

د. تمام حسان عمر، مقالات في اللغة والأدب، ط/١، دار عالم الكتب بالقاهرة عام ١٤٢٧ه - ٢٠٠٦م

جعفر عبابنة، مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي: ط١، دار الفكر، عمارة، ١٩٨٤م.

أبو حيان النحوي ت(٧٥٤هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النحّاس، ط١، مطبعة النسر الذهبي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

د. خالد بسندي، تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي،، مجلة (التراث العربي)، العدد ٩٨، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

الزمخشري ت(٥٣٨هـ)، المفصل في علم العربية، ط٢، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

د. سعيد جاسم الزبيدي، من إشكاليات المصطلح النحوي، العدد المزدوج الأول والثاني من مجلة جامعة نزوي بسلطنة عمان، في رمضان من العام ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م.

أبو العباس المبرّد ت(٢٨٥هـ)، المقتضب: تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

ابن عصفور الأشبيلي ت(٦٦٩هـ)، المقرب، تحقيق: د. أحمد عبد الستار الجواري ود. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

علي الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية: ١٩٩٥م.

د. علي عبود الساهي، المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية، ط١، بغداد، ١٩٨٤م.

عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، الرياض، ١٩٨١م.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أعداد مختلفة.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط/٤، عام ١٩٨٥م. ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ت(٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد مرتضى الزبيدي،تاج العروس، دار ليبيا للنشر ببني غازي، دون تاريخ.

معهد دراسة المصطلح بجامعة سيدي محمد الخامس بفاس في المغرب، مجلة دراسات مصطلحية، أعداد مختلفة.

مكتب تنسيق التعريب بالرباط، مجلة اللسان العربي، المغرب، أعداد مختلفة.

د. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة النحوية، ط٢، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

د. هاشم محمد مصطفى، اضطراب المصطلح النحوي وكيفية معالجته في الكتب المنهجية لقواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية،، مجلة كلية التربية بجامعة أربيل في العراق عام ٢٠٠٦م.

أزمة المصطلح اللساني في العربية:
«لسانيات النص»

دكتور أحمد محمد عبد الرحمن حسانين
أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة أسيوط (مصر).
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم (السعودية)

المصطلحات العلمية في أي علم من العلوم المدخل إلى ذلك العلم، وفهمه؛ ذلك أنها تمثل ركيزة أساسية، وخلفية ذات أبعاد خطيرة لها آثارها البالغة في ثقافات الشعوب، ومدى تقدمها. وإن العقبة الكأداء التي تَحُول دون إفادة الشعوب من منجزات العلوم، إنما هي أزمة تحرير المصطلحات، وضبط معانيها، وتحديدها قبل الخوض في تفاصيلها وقضاياها. ودون ذلك يعيش المصطلح حالة من الفوضى والتيه وتغييب المفاهيم. وقد نوه (التعريفات) إلى ضرورة الاتفاق والإجماع حول مصطلحات العلوم، وحمولتها الدلالية المرادة بها، وضرورة تعيينها بين المختصين فيها بقوله: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول[١]»، ويشدد على هذا بقولِه في موضع آخر: «وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين[٢]». فالمصطلحات عبارة عن رموز لغوية تستعمل للتعبير عن مفاهيم مخصوصة في مجال مخصوص بين

(١) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ضبطه وفهرسه: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، (د.ت)، ٤٤.
(٢) المرجع نفسه.

جماعة مخصوصة تعمل في هذا المجال، ويقر بينهم اتفاق ضمني معلن حول المقاصد في إطار ذلك المصطلح، وهذا يعني أنه يجب أن يكون المصطلح متسمًا بالوضوح، والثبات، وعدم الانزياح الدلالي، وأن يمثل المفهوم تمثيلًا جيدًا، وهذا أمر مهم ينبغي تحققه والتشديد عليه لضمان نسقية المعرفة وطبيعتها المنظمة.

والحاصل أن دعوة علي بن محمد الجرجاني هذه لم تتحقق على أرض الواقع في عصرنا الحديث وبخاصة في الحقل المعرفي العربي؛ فكثيرًا ما ذهب الناس في أمر مصطلحات العلوم المستحدثة مذاهب شتى، وسلكوا فيها سبلًا كثيرة متباينة، بل وشاذة أحيانا؛ ذلك أن المفاهيم ليس لها مرجعية للقياس، ولا حواسم في الاختلاف حولها. ومن هنا تبقى إشكالية المصطلح من أكثر العقبات التي تنم عن عجز اللسانيات الحديثة في العربية حيال الخطاب اللساني، ويبقى التعامل مع المصطلح أمرًا حساسًا وخطيرًا. وقد عانت « لسانيات النص» من أزمتين الأولى تتعلق بضبط المصطلح والثانية تتعلق بالمفاهيم.

١.١ - لسانيات النص: أزمة المصطلح.

من المعلوم سلفًا أنه لكي يتم ضبط أي موضوع لا بد أولًا من ضبط مجاله الذي يدور فيه، وكذلك المفاهيم والمصطلحات التي يرتكز عليها. ولعل وجود مكافئ/مقابل لمصطلح لسانيات النص (Text Linguistics) في العربية مظهر من مظاهر فوضى المصطلح العربي:

فالمصطلح الإنجليزي مصطلح مفرد يكافئه مصطلح مفرد في كل اللغات، ففي الفرنسية يكافئه مصطلح (Linguistique Textuelle).

وفي الألمانية يكافئه مصطلح (Textlinguistik).

وفي الإسبانية يكافئه مصطلح (Linguistica del Texto).

على حين نشهد اضطرابًا في وضع المصطلح العربي للدلالة على هذا العلم، واختلاف طوائف المشتغلين بدراسة اللغة عليه، إذ تتعدد مقابلات المصطلح كالآتي:

المصطلح الإنجليزي	الترجمة	المؤلف	المصـــدر
Text Linguistics	لغويات النص	تمام حسان	ترجمة: النص والخطاب والإجراء (ص٦٢٨)
	لسانيات النص	محمد خطابي	لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب (ص٦)
	علم لغة النص	سعيد بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات (ص٥)
	علم اللغة النصي	صبحي الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (ص١٥)
		فالح بن شبيب	ترجمة: مدخل إلى علم اللغة النصي (عنوان الكتاب)
	نظرية النص	إبراهيم خليل	الأسلوبية ونظرية النص (ص٥)
	أجرومية النص	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري. فصول، مج ١٠، ع١، ١٥٣.
	علم النص	صلاح فضل	بلاغة الخطاب وعلم النص(ص٢٢٩)
	نحو النص	نعمان بو قرة	المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، (مسرد المصطلحات، ص ١٥٧)
		أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (ص٩)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من التفاوت في ترجمة المصطلح الأجنبي، بل وجدنا بعض هذه المصطلحات المترجمة تتردد في كتابات الباحث الواحد، فيعلن أحدهم صراحة عن وجهة نظره حول ترادف هذه المصطلحات في ملخص قدمه لبحث له بقوله: «وهذا البحث يتعامل مع هذه المصطلحات باعتبارها مترادفة، لا غير [(١)]»، ثم يقدم قائلًا: «استخدمت في الدلالة على ما نحن بصدد الكلام عنه ها هنا تعبيرات متعددة، منها: «علم النص»، و «علم لغة النص»، و «لسانيات

(١) إبراهيم خليل: «استقبال النظرية، مثل من نحو النص»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج ٢٧،ع ١٠٥، ٢٠٠٩، ص ١١١.

النص»، و «لسانيات الخطاب»، و «تحليل الخطاب»، و «نحو النص»، وهي لدى النظر الدقيق تعبيرات فيها من التشابه، والترادف، والائتلاف أكثر مما بينها من التنافر، والتباعد، والاختلاف. ونظرية «تحليل الخطاب»، أو «لسانيات النص» نظرية جديدة... [1]».

إن القول بترادف هذه المصطلحات المذكورة مرفوض بداية، فليس يخفى ما بين المصطلحات المذكورة من تعارض في المجال المفهومي والمنهجي، وهو ما يجعلنا نقر ونجزم أنه لا يمكنها أن تكون مترادفة أبدا. ولنا - هنا - أن نُسَائِلَ أنفسنا: هل تعد «لسانيات النص» نظرية، أم نحوًا، أم علمًا أم غير ذلك مما بدر من بعض اللسانيين عند تعرضهم لترجمة المصطلح؟ وهل هذا الاضطراب موجود في المصادر الأصلية في الثقافة الغربية؟ وهذا يستدعي منا العودة إلى المصادر الغربية المختصة في هذا الشأن.

وبعد الاطلاع وجدنا أن (فان دايك) يَسِمُ المصطلح بـ «Text Grammars» في كتابه» Some Aspects of Text Grammars (1972)، على حين يَسِمُهُ « روبرت دي بوجراند» (Robert de Beaugrand) و«ولفجانج دريسلر» (Wolfgang Dressler) بـ (Text Linguistics) في كتابهما (Introduction to Text Linguistics 1981)، على حين فَضَّلَ «هارفيج» (Harweg) وسم العلم بـ (Textology)، وباعتراف «فان دايك» نفسه فإن هذا العلم «في المجال اللغوي الفرنسي سُمِّي (علم النص Science du texte)، وفي الإنجليزية سُمِّي (تحليل الخطاب Discourse analysis)»[2]، وهذا يدفع نحو القول إن فوضى المصطلح موجودة في المنبع (المصدر)، وقادنا إلى تتبع المسار التاريخي لبدايات لسانيات النص وتحولاتها لمعرفة متى بدأ الخلط والتداخل؟ وكيف حدث؟ وما مظاهره؟

---

(١) المرجع نفسه، ص١١٢.

(٢) تون أ. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص ١٤.

إنه منذ فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) في بدايات القرن العشرين بدأت الدعوة إلى الاهتمام بالبعد النصي في الدراسات اللسانية، حيث أشار أثناء حديثه عن الخطاب إلى أن «الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة[١]» وتابعه في ذلك عديد من لسانيي النصف الأول من القرن العشرين ومنهم الدينيماركي «هيلمسليف» (Louis Hjelmslev) الذي « أقر أن تحليل النص ينبغي أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للساني[٢]» ومنهم أيضًا (السوفيتي) «ميخائيل باختين» (Mikhail Bakhtin) الذي صرح بأن «اللسانيات لم تحاول أبدًا سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى كالملفوظات (Enoncés) الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية مثل الحوارات والخطابات وغيرها. يجب تعريف هذه الملفوظات ودراستها هي أيضًا دراسة لسانية باعتبارها ظواهر لغوية[٣]». ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام بدراسة النصوص وظهر ما يسمى بـ (علم النصScience du texte) -في الفرنسية- الذي يدرس النصوص وتأثيراتها ووظائفها، ورفد من علوم عديدة تلاقت جميعها في إمداده بأسسه الشرعية، ولكنه لم ينشأ ليكن علمًا للنص الأدبي، وإنما كانت تحلل فيه أشكال نصية وأبنية نصية مختلفة (كالمحادثات اليومية، والأحاديث العلاجية، والمواد الصحفية، والحكايات والقصص، ونصوص الدعاية والإشهار، واللوحات الإرشادية، والتعليمات، وإرشادات الاستعمال، والنقوش، والنصوص القانونية، والسينيمائية، وما أشبه)، وما حدث هو أن المشتغلين بمجال الدراسات الأدبية -كعادتهم- جذبوا مقولات علم النص إليهم فبدا للقارئ أن هذا العلم هو علم أدبي يختص بتحليل لغة النصوص الأدبية لكثرة ما أشاروا إليه وطبقوه. وأول من وجه النظر النقدي صوب علم اللغة هي حلقة براغ اللغوية ومدرسة كوبنهاجن، حيث أفادوا منه في تطوير النظر إلى النص.

---

(١) محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الدار البيضاء، المغرب، ص ٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦١.

(٣) المرجع نفسه.

وفي عام (١٩٥٢م) ظهر في الثقافة الأمريكية -بعد تأثرها بدعوات العناية بدراسة النصوص- مصطلح (تحليل الخطاب Discourse Analysis) على يد «زيلج هاريس» (Zellig Harris) في كتابه « Discourse Analysis»، وهو أول لساني يتخذ من الخطاب موضوعًا للدرس، حيث قدم منهجًا متسقًا عُنِيَ فيه بتوزيع العناصر داخل النصوص وإبراز العلاقه بين النصوص وسياقاتها الاجتماعية، كل هذا بهدف اكتشاف بنية النص. ولا ندري هل كان على علم بوجود المصطلح الفرنسي، أو لم يكن على دراية به؟ وإذا كان على دراية به نعده هو المسؤول عن الترادف بين المصطلحين الفرنسي والأمريكي.

وفي عام (١٩٦٢م) ظهر مصطلح (لسانيات النص Linguistica del Texto) لأول مرة في اللغة الإسبانية على يد عالم اللغة الأسباني «إ. كوزريو» (E. Cose-riu)، ثم نقله إلى الألمانية «فاينريش» (Weinrich) عام(١٩٦٧)، ويرى «هارفج» (Harweg) أن « لسانيات النص» هي «أحدث فرع لعلم اللغة» وكان موضوعه حسب «هارفج» هو «بناء النص» ويرى أن البلاغة والأسلوبية فروعًا سابقة (مبشرة) بعلم لغة النص[1]. وفي ألمانيا وبالتحديد سنة (١٩٦٨م) عقد أول مؤتمر لمناقشة قضايا «لسانيات النص» في جامعة «كونستانس» (Universität Konstanz) بإشراف هارتمان الذي أنشأ بعد ذلك مركزًا جديدًا للبحث اللغوي النصي، وتحدد محاضراته المهمة «Text als Linguistiches Objekt» معاييره ومهامه في اثني عشر مبحثًا (موضوعًا)[2]». لقد أدركت جماعة «كونستانس» أن بناء نموذج تقعيدي للنص محفوف بالصعوبة والتعقيد لتعدد ما ينزح منه النص وما يحيل عليه؛ لاعتبارات منها ما يعود إلى النظام اللغوي للنص، ومنها ما يعود إلى جنسه وطبيعته، ومنها ما يعود إلى الوسط الثقافي والمادي، ونحو ذلك.

---

(١) زتسيسلاف واورز نياك: مدخل إلى علم لغة النص، مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٣٦.

(٢) سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م، هامش رقم (١٠٤)، ص٢٩٨، ٢٩٩.

ثم ظهر مصطلح «لسانيات النص» (Text Linguistics) لأول مرة في الثقافة الأمريكية سنة (١٩٨١) على يد روبرت دي بوجراند (Robert de Beaugrand) و«ولفجانج دريسلر» (Wolfgang Dressler) في كتابهما «مدخل إلى لسانيات النص» (Introduction to Text Linguistics) حيث حددا فيه المعايير السبعة بدونها لا يكون النص نصًا اتصاليًا.

وفي عام (١٩٧٢م) ظهر مصطلح «نحو النص» (Text Grammar) على يد «فان دايك» الذي تأثر بأمور ثلاثة: أولهما- دعوة ميخائيل باختين إلى ضرورة اعتماد البعد النصي في التقعيد اللساني بقوله: «إن نحو الكتل الكبرى لا يزال ينتظر التأسيس، فاللسانيات لم تتقدم علميًا إلى حد الآن أبعد من الجملة المركبة التي تعد أطول ظاهرة لغوية طالتها الدراسة العلمية...إنه بإمكان اللسانيات إيصال التحليل أبعد من هذا المستوى...حتى إن اقتضى ذلك الاستعانة بوجهات نظر أخرى غريبة عن اللسانيات[1]». وثانيها- رغبته في خوض التجربة التي فشلت فيها جماعة «كونستانس» الألمانية، وهي بناء نموذج لـ «نحو النص». وثالثها- هو تأثره بالنحو التوليدي التحويلي حيث سيطرت عليه فكرة تطوير «بيوطيقا توليدية» تجيب عن سؤال: هل يمكن أن نميز الأدب من خلال استخدامه الخاص للغة؟ بمعنى ما الذي يجعل الأدب أدبًا؟ وما الذي يجعل الشعر شعرًا؟ وما الذي يجعل السرد سردًا؟ وهي فكرة استوحاها عن الشكلانيين الروس، ثم تحول عنها إلى هدف آخر أكثر أهمية وهو التركيز على « نحو النص التوليدي» الذي أصبح فيما بعد رسالته للدكتوراه، ثم طبعت في كتاب (١٩٧٢م) وكان عنوانه (Some Aspects of Text Grammars) عمل فيه على إنشاء قواعد يمكنها أن تولد النصوص الأدبية، وتصف تنظيمها الداخلي وصفًا نحويًا ودلاليًا واضحًا خلال إبراز الترابط السياقي بين الجمل والعلاقات التي تسودها لتخبر عن هذا الكل المفيد، وانطلق من قياس الأسئلة، قائلًا في سيرته الذاتية «كما أن نحو الجملة يفسر لنا لماذا لا تشكل الكلمات التي تتابع بطريقة اعتباطية جملًا نحوية، فإن على نحو النص أن يفسر لنا بطريقة

(١) محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص ٦١.

مماثلة لماذا لا تكون الجمل التي تتابع بطريقة اعتباطية نصًا[1]»، فالنصوص تتسم بصفة الترابط ولها أيضًا مستويات أعم وأشمل من التوصيف. وأول ما لاحظه «فان دايك» أن «الانسجام» (Coherence) «لا تقرره فقط علاقات المعاني بين الجمل، بل تقرره العلاقات «الإشارية» (Referential) أي العلاقات بين «الأشياء» التي تدل عليها الجمل داخل النصوص[2]»، ثم طور هذا المفهوم في كتابه «النص والسياق» (Text and Context) عام (١٩٧٧م) بإضافة مفهوم «العوالم الممكنة»، حيث يرى «أن الترابط بين الجمل ينبغي أن يقوم على العلاقات الإشارية بين الحقائق في عالم ممكن...ومعنى هذا أن أي قضيتين (ق١) و (ق٢) متتابعتين تعتبران مترابطتين إذا كانتا تدلان على حقيقتين (ح١) و (ح٢) مرتبطتين (بطريق الشرطية أو السببية على سبيل المثال) في أحد العوالم الممكنة، أو في أحد النماذج التي تمثل موقفًا في ذلك العالم الممكن[3]»، فالربط هنا ربط دلالي وليس ربطًا نحويًا شكليًا عن طريق الأدوات ووسائل الربط المعروفة، وهذا هو الفرق بين مفهوم الربط في نحو الجملة ومفهوم الربط في نحو النص، وهذه الفكرة استمدها من «البنية السطحية» (Surface Structure) والبنية العميقة «(Deep Structure) لـ «تشومسكي» (Chomsky)، وليس هذا فقط، بل استعار منه مصطلحات القواعد الكبرى وهي «الحذف»، و«الاختيار»، و «الاحلال»، و «التعميم»، و«التركيب أو «الدمج» مع الفارق، فهذه القواعد التحويلية عند «تشومسكي» تتعلق بالمفردات في نحو الجملة، بينما تتعلق بالجمل وتتابعاتها والبنيات الصغرى للنص عند فان دايك.

ويخلص الباحث إلى القول إن مصطلحات: «علم النص»، و «نحو النص»، و«لسانيات النص»، و» تحليل الخطاب» ليست مترادفة، وإنما هي تحولات معرفية شهدها البحث اللساني في عنايته بالنصوص وأسئلتها وفي مسيرته التطورية نحو الاكتمال وتلافي نواحي القصور. إن وجود بعض التقاطعات بين هذه المصطلحات

---

(١) تيون إيه فان دايك: «من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، سيرة ذاتية أكاديمية موجزة»، ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، القاهرة، ع٧٧، ربيع ٢٠١٠م، ص٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١، ٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٢.

أدى إلى ذلك الخلط الموجود بينها في الثقافة الغربية نفسها، كما أن تعدد تلك المصطلحات يرجع إلى غياب التنسيق المباشر، أو غير المباشر بين المنظرين والمؤسسين لتك المصطلحات، فكل مصطلح من هذه المصطلحات نشأ في دولة مختلفة عن الأخرى، فمنها ما هو أسباني، ومنها ما هو ألماني، ومنها ما هو فرنسي، ومنها ما هو روسي، ومنها ما هو هولندي، ومنها ما هو أمريكي، أي أنها أشتات مختلفة في الميول والاتجاهات، ما بين اتجاهات أدبية، وأخرى لغوية نحوية، وثالثة دلالية، ورابعة تداولية، وخامسة تواصلية، وسابعة وظيفية، إضافة إلى الاتجاهات الإدراكية التي تهتم هي أيضا بتركيب ما فوق الجملة. وهذا التعدد للغات مسئول أيضًا عن تلك الفوضى وذلك التعدد في ثقافتنا العربية؛ لأن كل مترجم يجيد لغة واحدة غالبًا، هي اللغة التي يترجم إليها ويجهل كل أو بعض تلك اللغات غيرها، فيترجم وينقل حسب ما هو موجود في تلك اللغة. ويضاف إلى ما سبق عدم استقرار هذا الفرع الناشئ وعدم اكتمال حدوده وأبعاده وأدواته الإجرائية.

أما المصطلحات «علم لغة النص»، و«علم اللغة النصي»، و«اللسانيات النصية» و«لسانيات النص» وهي الترجمة المكافئة للمصطلح الغربي «Text Linguistics»، فيرجع تعددها وعدم توحدها إلى الميول الفردية في الثقافة العربية. وإذا كان ذلك كذلك فكيف لنا أن نطمح في توحيد مصطلحات (Text Linguistic)، ونحن لم نتفق بعد على وسم العلم وسمًا متفقًا عليه؟

لم تقف الثقافة العربية عند هذا الحد من الفوضى في ترجمة مصطلح«Text Linguistics»، بل نالت من المنظومة الاصطلاحية التي تكونه، إنها تعدت لتشمل مصطلحين من أهم المصطلحات التي حددها العلماء واشترطوها لضمان نصية النصوص، وهما: «Cohesion»، و«Coherence»، وهما أهم معيارين؛ كونهما يتعلقان بالنص نفسه ومادته الفعلية بخلاف بقية المعايير التي منها ما يتعلق بالمنتج وهو معيار «القصدية» (Intentionality)، ومنها ما يتعلق بالمتلقي وهو معيار «التقبلية» (Acceptability)، ومنها ما يتعلق بالوسط الثقافي والمادي وهي معايير: «الإعلامية» (Informativity)، و«المقامية» (Situationality)، و«التناص» (Intertextuality) .

وبتتبع الترجمات العربية المكافئة لمصطلح Cohesion وجدناها كالآتي:

المصطلح الإنجليزي	الترجمة	المؤلف	المصدر
Cohesion	الاتساق	محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (مسرد المصطلحات، ص٤٠٩)
	السبك	تمام حسان	ترجمة كتاب «النص والخطاب والإجراء» (مسرد المصطلحات، ص٥٩٠)
	التضام	إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم لغة النص. (ص ١١)
	التماسك	مبارك المبارك	معجم المصطلحات الألسنية (ص٥٢)
		أنس فجال	الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني (ص١٦)
	الانسجام	أحمد مداس	لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب (مسرد المصطلحات ص ٣٢٠)
	الالتئام	عبد القادر قنيني	ترجمة كتاب: النص والسياق لفان دايك- (ص١٩٧)
	الترابط	عمر فايز عطاري	ترجمة كتاب:«الخطاب والمترجم» (ص٣٣٢)
	الربط النصي	سعيد بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات (ص١٥٢)
	الترابط النسقي	عبد الكريم قطاف تمام	إشكالية نقل الخصوصيات الثقافية (رسالة ماجستير،إشراف:محمد يحياتن، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص١٥)
	الالتحام	عبدالقادر الفهري	معجم مصطلحات اللسانية (ص٤٦)
		محمد مفتاح	النص من القراءة إلى التنظير (ص١٠٨)
	التناسق	يوسف نور عوض	نظرية النقد الأدبي (ص ١٠١)
		بشير إبرير	من لسانيات الجملة إلى علم النص (مجلة التواصل، ع١٤، ٢٠٠٦م، ص١٠٠)

في حين ترجم مصطلح Coherence إلى مكافئات عديدة كالآتي:

المصطلح الإنجليزي	الترجمة	المؤلف	الكتاب
Coherence	الانسجام	محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب(مسرد المصطلحات، ص٤٠٩)
	الالتحام	تمام حسان	ترجمة – النص والخطاب والإجراء – (مسرد المصطلحات، ص٥٩٠)
	الحبك	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري (فصول، مج ١٠، ع ١، ص ١٥٤).
		محمد العبد	النص والخطاب والاتصال (ص٨٧)
	التقارن	إلهام أبو غزالة وآخرون	مدخل إلى علم لغة النص(ص ١١)
	التماسك	سعيد بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات (ص١٤٦)
		أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (ص ٧٥، ٩٠)
	الاتساق	عبد القادر الفاسي الفهري	معجم مصطلحات اللسانية (ص٤٦)
		أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (ص٩٠)
		عبد القادر قنيني	ترجمة كتاب: النص والسياق (ص١٩٧)
	الترابط الفكروي	يوسف نور عوض	نظرية النقد الأدبي (ص ١٠٢)
	الترابط التكاملي	عبد الكريم قطاف تمام	إشكالية نقل الخصوصيات الثقافية (رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٦م، (ص١٥)
	التناغم	محمود فراج عبد الحافظ	ترجمة كتاب: معرفة اللغة (ص١٤٦)

إن هذا التعدد والاختلاف في ترجمة المصطلحين لهو خير دليل على فردية هذه العملية، وغياب دور المجامع اللغوية والمؤسسات المختصة، وانعدام التنسيق بين الباحثين العرب، وعدم وجود خطط مدروسة وسياسات مطردة ومنسقة بين أقطار العربية، «فليس هناك جهود جماعية لوضع المصطلح اللساني العربي، وتحديد مفهوماته...أضف إلى ذلك أن المؤسسات الثقافية العربية غير مهتمة بهذا الأمر، فعلى سبيل المثال لا الحصر ليس هناك معجم لساني واحد صدر عن وزارات الثقافة في البلدان العربية، وليس هناك معاجم لسانية صادرة عن مجامع اللغة العربية في الوطن العربي. أما على المستوى الفردي فهناك كثير من الأعمال الفردية المشكورة التي حاولت وضع معاجم لسانية مبسطة، لكن المشكلة أن الباحثين لا يتقيدون بها[1]». فترك أمر الترجمة إلى الاجتهادات الفردية لا شك في أنه يشير في كلام مازن الوعر إلى أنه يقلل من جدوى فعاليتها، وأن هذا التعدد بقدر ما ينم عن ثراء العربية يعمل من زاوية أخرى على تعطيل دقتها، ويؤدي إلى التباسها، وخير مثال على ذلك المصطلحان المذكوران. فبسبب من غياب التنسيق وعدم توحيد المصطلح توحيدا معياريا وقع خلط وارتباك يلحظان دون جهد وللوهلة الأولى في الترجمة، فمحمد خطابي يترجم مصطلح (Co-hesion) الإنجليزي بـ«الاتساق» على حين يطلق» عبد القادر قنيني»، و«أحمد عفيفي»نفس المكافئ العربي«الاتساق»ويقصدان به مصلح (Coherence)، كما أن «سعيد بحيري»، و«أحمد عفيفي» يترجمان مصلح (coherence) بـ«التماسك» وهو - أي التماسك- ترجمة لمصطلح (Cohesion) عند أنس فجال وغيره من الباحثين في الجامعات العربية. كما يترجم «محمد خطابي» مصطلح (coher-ence) بـ«الانسجام»، وهو المكافئ العربي لمصطلح (Cohesion) عند «أحمد مداس»، كما يترجم «عبد القادر الفاسي الفهري» مصطلح (Cohesion) بـ«الالتحام» وهو المقابل العربي لمصطلح (coherence) عند تمام حسان. وليس

(١) مازن الوعر: حديث ضمن كتاب (أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناتي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٩م، ص ١١٩.

هذا فقط بل نجد صلاح فضل يطلق المقابلين العربيين «الانسجام» و«التماسك» ويقصد بهما مصطلحًا غربيًا واحدًا هو (Coherence)، يقول: «وهي تتسم بدرجة كبرى من الانسجام والتماسك (Coherence)...[1]».

فهذه الفوضى وعدم التنسيق أدتا إلى التداخل في ترجمة المصطلحين الواصفين، الأمر الذي يربك القارئ، ويسد مغاليق الفهم ويسبب ضياع المفاهيم وتداخلها، فقد ينقل دلالة أحد المصطلحين إلى الآخر، ولن يستطيع القارئ متابعة العلم؛ لأن ما يفهمه من كتابات عالم لساني يهدمه ما يقرأه عند آخر، أو يشوش عليه بالسلب. وإن الخروج من هذا المأزق كحل افتراضي هو أن نجعل لكل خطاب - عند قراءته - مرجعية خاصة بالعالم المقروء له دون غيره، وهو أمر لا يمكن تحققه من الناحية العملية. فيا حبذا لو استعملنا مصطلحا عربيا واحدا للمكافئ الأجنبي وتداولناه بعيدا عن التعدد والخلط كي يغدو الأمر هينًا ونتحاشى القلق في القراءة والقصور في التأويل.

٢.١ - لسانيات النص: أزمة المفاهيم.

يفترض أن يكون للمصطلح الواحد مفهوم واحد يتمحض له، وهذه مسألة مقررة سلفًا، على أن هذا لم يحدث في اللسانيات عمومًا، ولسانيات النص على وجه الخصوص فهما يعيشان أزمة حقيقية في التصورات، وتحديد المفاهيم الدالة، وقد حدث تداخل وخلط بين مفهوم النص، ومفهوم الجملة من ناحية، ومفهوم النص والخطاب من جهة ثانية، ومفهوم الخطاب والجملة من جهة ثالثة. فممن سوى بين الجملة والنص نذكر «دريسلر» (Dressler)، و«برنكر» (Brinker)، و«سوينسكي» (Sowinski)، وهم من علماء اللسانيات النصية، ومنهم من يجعله أضيق دلالة، ومنهم يجعله أوسع دلالة.

(١) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ١٦٤، أغسطس، ١٩٩٢م، ص ٢٣٦.

أما عن التداخل بين النص والخطاب فـ«فان دايك» (Van Dijk)، و«كارل ديتر بونتج» (K. Dieter Buenting)، و«بول ريكور» (Paul.Ricourd)، و«جينيت» (G.Genette)، و«تودوروف»(T. Todorov)، و«فاينريش» (H. Wein-rich) يسوون بين الخطاب والنص[١]، ومن العلماء من يجعل النص جزءًا من الخطاب، مثل « سيمون ديك» (Simon Dick)، و«ميشال آدم» (J. M. Adam) ممن رأوا أن الخطاب عبارة عن مجموعة نصوص، ومنهم من يجعل الخطاب جزءًا من النص، ومنهم من يحدد مهام النص في دراسة المكتوب، والخطاب في دراسة المنطوق، ومنهم من يخصص النص لدراسة البنية السطحية والخطاب لدراسة البنية العميقة، ومنهم من يجعل النص بنية دلالية مجردة، والخطاب ممارسة فعلية، ومنهم من يجعل النص للمحتوى اللغوي، والخطاب للمجال أو النوع (خطاب أدبي، ديني، سياسي، إعلامي، ونحو ذلك). أما «رولان بارت» فيسوون بين الخطاب والجملة، ويرون أن الخطاب لا يوجد إلا في الجملة فهي الجزء الأدنى الذي يمثل كمال الخطاب. وعلى هذا يكون الخطاب جملة كبيرة ويصير السرد جملة كبيرة أيضًا.

ويمكن القول إن تعريف «هاليداي» (Haliday)، و«رقية حسن» (Ruqaiya Hasan) للنص في كتابهما «(Cohesion in English 1976) هو الذي أوجد هذا الخلطَ بين هذه المفاهيم الثلاثة، إذ تستخدم كلمة (نص) عندهما «للدلالة على أي مقطع لغوي مكتوبًا كان، أو منطوقًا، مهما يَكُنْ طوله مادام يُكَوِّنُ وحدة تامة... فالنص يمكن أن يكون منطوقًا، أو مكتوبًا، نثرًا، أو شعرًا، بينونة، أو حوارًا، ويمكن أن يكون أي شيء بداية من المثل الواحد إلى مسرحية بكاملها، ومن نداء استغاثة إلى حديث يوم كامل لإحدى اللجان[٢]». فكون النص يعتمد على الاكتمال، ولا يتقيد بطول يجعل الجملة مساوية للنص، وأن المثل يساوي

(١) ينظر سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ١٠٣، ١١٠، ١٣٩، ٢٢١.وعز الدين المناصرة: نص الوطن، وطن النص شهادة في شعرية الأمكنة، مجلة التبيين، ع١، ص ٤٠. وسعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص ١١ وما بعدها.

(2) M. A. K. Haliday and Ruqaiya Hasan: Cohesion in English, Longman, London, 1976, p5.

المسرحية؛ لأن كليهما يستند إلى الاكتمال كشرط للإفادة، بل زاد الخلط حينما قررا أن أي شيء يمكن أن يكون نصًا، فلا غرابة أن تكون الكلمة نصًا، والجملة نصًا، والمثل نصًا، والمسرحية نصًا، مع أن طبيعة كل منها تختلف عن طبيعة الآخر. ومن ناحية أخرى فإن اعتبارهما أن النص يمكن أن يكون منطوقًا، أو مكتوبًا، أو حوارًا، أو بينونة، أو نداء استغاثة، أو حديث لجنة، قد أزال الفوارق بين النص والخطاب.

ويمكن أن نفصل بين مفهوم الجملة ومفهوم النص، فالنص نظام فعال، والجمل عناصر هذا النظام، والجملة تحدد كيانها القواعدي على مستوى النحو فقط، والنص يحدد وفق معايير بعضها لغوي، وبعضها الآخر غير لغوي، ويمكن أيضا التفريق بينهما من خلال الاكتمال الدلالي، فالكلمة والجملة وإن اكتفتا بذاتهما في سياق ما فإنهما يخرجان عن كونهما كلمة أو جملة إلى كونهما نصوصًا.

أما الفصل بين (الخطاب)، و(النص) فيروق لنا الأخذ بقول «كارتر» (Carter): «النص في اللغة التداولية يحيل للوهلة الأولى على وثيقة مكتوبة، والخطاب على عملية تواصلية منطوقة[١]» حيث يصبح الفصل يسيرًا عندما نعتبر الخطاب تواصلًا لسانيًا شفاهيًا منطوقًا، ونعتبر النص تواصلًا لسانيًا مكتوبًا ومقروءًا. وأن الخطاب يفترض وجود المخاطب السامع بينما النص فيتوجه إلى متلق غائب، وهذا الفصل استوحيناه من تعريف «بينفينست» للخطاب بمعناه الواسع وهو» كل تلفظ يفترض متكلمًا و مستمعًا، و عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[٢]» وأن الخطاب مرتبط بلحظة إنتاجه أي لا يتجاوز سامعه إلى غيره بينما النص له ديمومة الكتابة يقرأ في كل زمان ومكان.

وبعد أن تعرضنا لإشكالية الفصل بين مفاهيم الجملة، والنص، والخطاب،

(1) Carter Thomas Shirley(2000): La Cohèrence Textuelle Pour une Nouvelle pédagogie de l'écrit, l'harmattan, p 27.

(2) E. Benveniste(1966): Problèmes de Linguistique Générale, édi, gallimard,p 129-130.

ظهرت لنا مشكلة أخرى هي صعوبة تحديد مفهوم (النص) في حد ذاته. وإذا كنا قد عانينا من صعوبة تحديد مفهوم الجملة لتعدد تعريفاتها التي وصلت في اللغة الإنجليزية نحو أكثر من مائتي تعريف مختلف بعضها عن بعض[1]، فإن مصطلح النص لم يكن بأحسن حالاً، إذ تعددت تعريفاته بتعدد المناهج والاتجاهات، والعلوم، والمدارس، فقد وُضِعَتْ تعريفات عامة شاملة، وأخرى خاصة بهذا العالم أو ذاك، وكلها تعكس مدى التباين والاختلاف في التوجهات المعرفية والنظرية، وهو ما أدى إلى التنوع في التعريفات، والتداخل إلى حد الغموض أحيانًا والتعقيد أحيانًا أخرى، فهناك تعريفات راعت الجانب التركيبي مثل تعريف «برينكر» (Brinker)، و«هارفيج» (Harweg)، وراعت أخرى الجانب الدلالي مثل تعريف «هارتمان» (Hartmann)، وجمعت ثالثة بين التركيب والدلالة مثل تعريف «فان دايك»(Van Dijk)، وهاليداي (Halliday)، وراعت رابعة الجانب التداولي والسياقي، مثل تعريف«شميث»(S. Schmidt)، و«فاينريش»(H. Weinrich)، وراعت خامسة الجانب الوظيفي مثل تعريف«جلينتس» (Glentes)، وراعت سادسة الشكل الكتابي مثل تعريف«رولان بارت» (R. Barthes)، و«بول ريكور» (P. Ricoeur)، وراعت سابعة التماسك مثل تعريف «روبرت دي بوجراند» (Robert De Beaugrand)، وراعت ثامنة العلاقة بين المنتج والمتلقي مثل تعريف «بيتوفي» (S. J. Petofi)، وراعت تاسعة التحديد الحجمي والكمي، وإن مرد هذا الأمر يكمن في أن تعدد الأشكال النصية – وهو كائن في صورها الكبرى والصغرى – يحول دون تعريف دقيق للنص. ولم يكن الجانب الكمي وحده مسئولاً عن هذا الإخفاق، وإنما عاضده الجانب الكيفي أيضًا بقدر كبير؛ ذلك أن جوانب حدوده وتكويناته ودلالاته تشترك جميعًا في عملية وضع الحد الفاصل له، حيث تداخل جوانب أخرى غير منظورة إلى جانب تلك الأبعاد المنظورة في هذا الجدل[2]. وهذا التعدد إنما يعبر عن حيرة معرفية ومنهجية تعيشها الساحة الغربية قبل العربية.

---

(1) Charles Carpenter Fries: The Structure of English: An Introduction to the Construction of English Sentences New York: Harcourt, Brace, 1952, p.9.

(٢) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨ م، ص ١٥ – ١٩.

خاتمة :

حاول هذا البحث تسليط الضوء على قضية نرى أنها غاية الأهمية لكثير من الباحثين والقراء الذين تعوزهم الرؤية الشاملة لمجال مهم وهو « لسانيات النص» فمنظومة اللسانيات عامة، و «لسانيات النص» خاصة تعانيان من أزمة عويصة وفوضى وارتباك كبيرين في التعبير عن ذاتيهما من خلال مصطلحات واضحة، ودقيقة، ومنضبطة حيث لوحظ تعدد المصطلحات وتباينها، وتداخلها من ناحية، وعدم الإجماع على مصطلح واحد للمفهوم الواحد فغدت عاملاً سلبيًا يزعزع استقرار العلم ويعيق استيعاب إطاره العام وقضاياه المنهجية. ويمكن أن نقول إن فوضى مصطلح» لسانيات النص» بعضها موجود في المنبع الأصلي (المصدر) مثل ترادف المصطلحات (Text Grammar)، و(Science du texte)، و(Textology)، وأكثرها ينم عن غياب الوعي المصطلحي وتغليب الوضع الفردي والاجتهادي وغياب التنسيق بين الباحثين مثل ما حدث من وجود ثلة من المقابلات (المكافئات) لـ (Cohesion)، (Coherence)، ونحن نرفض هذا التعدد والاختلاف الذي لا مبرر له وكان من عواقبه التداخل في المصطلحين ونقل دلالة أحدهما إلى الآخر، فيا حبذا لو تم التقريب، أو توحد المصطلحات حتى نتحاشى سوء الفهم، وضياع العلم؛ لأن ما نفهمه من عالم ينفيه ما يقوله الآخر أو يشوش عليه بالسلب. ولكي يتم التغلب على أزمة المصطلحات لابد من تضافر الجهود والقيام بخطوات ثلاثة متصلة غير منفصلة، أولها- توحيد المصطلح، وهذه مهمة مجامعنا العربية ومؤسساتنا المعنية كمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، إذ لابد من أن يصدر التوحيد عن فريق عمل متخصص ومؤهل علميًا ومهنيًا، وثانيها- التوصيل، وهذا يحتاج إلى دعم مالي وتقني، وبإمكان الدول العربية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بهيئاتها ومؤسساتها ومراكزها الضخمة - مثل مركز الملك عبد الله لخدمة

اللغة العربية- بما تمتلكه من نوايًا صادقة، ووسائل مادية وتقنية تمكنها من نشر المطبوعات ورقيًا وحاسوبيًا، وتعميمها وتوصيلها بصورة كافية في كل الأنحاء العربية. وثالثها- تفهيم المصطلحات، وذلك عن طريق البرامج والقنوات الفضائية وشبكات التواصل الاجتماعي، والدورات التدريبية،

أما عن التوصيات فينبغي أن تدرس مادة المصطلح في جامعاتنا العربية في مراحل التعليم الجامعي ومراحل الدراسات العليا؛ لإعداد كوادر متعلمة على دراية بأصول وضوابط وضع المصطلحات، تعمل في ذلك المجال مستقبلًا. كما ينبغي أن تعرض الأعمال المترجمة على المجامع اللغوية أولًا، ثم تعرض اقتراحات المجامع على هيئة واحدة مسئولة عن الإشراف على المجامع في الوطن العربي وأن تخول من السلطة ما يمكنها من التزام قراراتها من قبل المصطلحيين والمترجمين.

قائمة بالمصادر والمراجع

أولًا - المصادر والمراجع والدوريات العربية:

١ – إبراهيم خليل:

– الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧ م.

– اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٧ م.

– استقبال النظرية مثل من نحو النص، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٢٧،ع ١٠٥، ٢٠٠٩

– في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٢ – أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٣ – أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٤ – إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، ١٩٩٩م.

٥ – بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية (التواصل)، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ع١٤،يونيه، ٢٠٠٥.

٦ - سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٠، العددان الاول والثاني، أغسطس، ١٩٩١م.

٧ - سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م

٨ - سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص - السياق)، المركز الثقافي العربي،بيروت-الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.

٩ - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م.

١٠ - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع ١٦٤، أغسطس، ١٩٩٢م.

١١ - عز الدين المناصرة: نص الوطن،وطن النص، شهادة في شعرية الأمكنة، مجلة التبيين الجاحظية، الجزائر، ع١، شتاء ١٩٩٠.

١٢ - علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ضبطه وفهرسه: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، (د. ت).

١٣ - مازن الوعر: حديث ضمن كتاب أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناتي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٩م

١٤ - مبارك مبارك: معجم مصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

١٥ - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.

١٦ - محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١ م.

١٧ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

ثانيًا- المراجع والمقالات المترجمة:

١٨ - باسل حاتم، وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، ترجمة: عمر فايز عطاري، النشر العلمي، جامعة الملك سعود،ط١، ١٩٩٨.

١٩ - تيون إيه فان دايك: من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، سيرة ذاتية أكاديمية موجزة، ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، القاهرة، ع٧٧، ربيع ٢٠١٠م.

٢٠ - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨ م.

٢١ - زتسيسلاف واورز نياك: مدخل إلى علم لغة النص، مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٢ - فان دايك:

- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط١، (د.ت).

- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣ - فولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغات الجرمانية، الكتاب رقم ١١٥، جامعة الملك سعود، ١٩٩٩ م.

ثالثًا- معاجم وقواميس:

٢٤ - عبد القادر الفاسي الفهري: معجم مصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة،الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٥ - محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان،ط١، ١٩٨٢.

٢٦ - نعمان بو قرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع- جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

رابعًا- المراجع الأجنبية :

1- Carter Thomas Shirley(2000): La Cohèrence Textuelle Pour une Nouvelle pédagogie de l’écrit, l’harmattan

2- Charles Carpenter Fries (1952): The Structure of English: An introduction to the Construction of English Sentences New York: Harcourt, Brace.

3- M. A. K. Halliday and Ruqaiya Hasan (1976): Cohesion in English, Longman, London.

4- Robert Alain de Beaugrand and Wolfgang Ulrich Dressler (1981): Introduction to Text Linguistics, London: Longman.

5- Teun A. Van Dijk (1977): Text and Context Explorations in the Semantics and Paragmatics of Discourse, Longman Group, Ltd, New York.

ما لا يسع المحقق جهله
من مصطلحات التحقيق ورموزه

تأليف
الدكتور عمار بن أمين الددو
قسم اللغة العربية/ جامعة
القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد

فإنّه لابدّ لكلّ علم من العلوم، منذ أن ينشأ إلى أنْ يستوي على سوقه أن يمر بمراحل عدة، من شأنها أن تعمل على صقله وبلورته وتقويمه، وعلم التحقيق هو أحد هذه العلوم، وهو بالنسبة لكثير منها لا يزال في مراحله الأولى، لأنه حديث النشأة بالمفهوم الذي نعرفه اليوم، لذا لا زالت تعتريه الكثير من المشكلات والعقبات المادية والعلمية، التي تحتاج إلى تذليل، ومن هذه المشكلات عدم فهم الكثير من المحققين ممن يخوضون غمار هذا الباب من العلم، دلالة مصطلحاته، وما تشير إليه رموزه بشكل دقيق، فتأتي أعمالهم مضطربة وغير موافقة لقواعده وضوابطه، فقد تجد كتاباً كُتِبَ عليه تحقيق فلان، فإذا نظرت فيه وجدتَ كلَّ شيء إلاّ التَّحقيق، وتجد آخر حمل المصطلح نفسه فتنظر فيه فلا تكاد ترى المتْنَ لطول الحاشية، ومنهم من يُوصل مخطوطاً يقع في وريقات إلى مئات الصفحات، وقد تجد في الجهة الأخرى أناساً لا صلة لهم بهذا العلم،

فتراهم يُقللون من شأنه ويزدرونه، ويرونه عملاً آليّاً لا صلة للعلم به. لله درهم، فلو كان هؤلاء يعلمون دلالة مصطلح التحقيق حَسب لحادوا عن جادته، ولقدّروا أهله، ولما فعلوا بكتب التراث الأفاعيل...

على أية حال ليس الغَرضُ من هذا البحث عرض ما اعترى كتب التراث من المشكلات، وإنما الهدف منه إشعال شمعة في هذا الطريق، تلقي الضوء على أساسيات قواعد السير فيه، وتبدد شيئاً من ظلام ظلاله لسالكيه.

لذا آثرت أن أعرّف فيه بجملة من المصطلحات والرّموز، التي يكثر دورها في علم التحقيق، ليقف عليها من رامها مجتمعة، فكانت جملتها (٥٨) مصطلحاً، و(٢٦) رمزاً، عرّفتها تعريفها تعريفاً اصطلاحياً موجزاً، إلا ما اقتضت الضرورة لذكر معناه اللغوي، لتكون سهلة الفهم، سريعة الاستيعاب، موجزة العبارة، قليلة الإطناب، وقد رتبتها حسب حروف المعجم.

ثم ذكرت بعد ذلك الرموز القديمة والحديثة، فبينت دلالتها، ومواضع استعمالها.

فإنْ كنت قد وفِّقت فذلك بفضل الله ومَنِّه، وإن كانت الأخرى فحسبي أنّي بذلت ما تيسّر من جهد، والله من وراء القصد.

هذا والله أسأل أن يثيب جميع القائمين على هذه الندوة المباركة، وأن ينفع به أهل العلم، وأن يجعل ثواب ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، إنه أكرم مسؤول وأفضل مأمول.

د. عمار أمين الددو

قسم اللغة العربية، جامعة القصيم

١٤٣٦/٢/٢٥

القسم الأول

التعريف بمصطلحات علم التحقيق

معلوم أنّ لكل فن من الفنون مفردات تحمل معانٍ لغوية، ودلالات اصطلاحية، وعلم التحقيق هو واحد من تلك العلوم، له أيضاً مصطلحاته الخاصة، وهذه جملة منها، نضعها بين أيدي طلاب هذا الفن، ونذكرها مرتبة على حروف المعجم، ليسهل الرجوع إليها، والإفادة منها بإذن الله تعالى وهي:

- **الإحالة**: هي عبارة عن إشارة مرجعية تحمل رقماً موحّداً يضعها المحقق، تقع في المتن بعد الكلمة المراد التعليق عليها، وفي الحاشية قبل التعليق، للربط بين الأمرين هدايةً للقارئ.

- **لغة**: القطع[١]، وفي الاصطلاح: هو أن ينقطع اتصال الكلام بعضه ببعض، بسبب سقط أو خرم، لم يتنبه له الناسخ.

- **البياض**: فراغ يتركه الناسخ أو المؤلف لإملائه لاحقاً، ثم يصرفه عن ذلك صارف فيبقى كما هو، وغالباً ما يقع ذلك في عنوانات الأبواب والفصول[٢]. ويسمى قديماً التخريج، **جاء في أساس البلاغة «وإذا كَتَبْتَ الكتابَ، فتركت مواضع الفصول والأبواب، فهو كتاب مخرّج»**[٣].

- **التحرير: هو العنايةُ برسم حروف متن المخطوط بشكل صحيح، وإقامة ما فيه من سقط، يعني الجهد المنصب على إقامة المتن فقط، من تعليق على أي كلمة فيه، جاء في كتاب العين «وتحرير الكتاب: إقامةُ حُروفه، وإصلاحُ السَّقط»**[٤].

---

(١) الصحاح في اللغة: بتر.

(٢) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٦٣.

(٣) أساس البلاغة: مادة: خرج، وينظر: تاج العروس ٥/٥١٦.

(٤) كتاب العين للخليل: حرّ، ٣/٢٥.

- **التحريف**: هو إبدال حرف بحرف آخر مشابه له في الصورة، ويقع في الحروف غير المعجمة كـ (دعد) و(رعد) و(حكيم، وحليم)[1].

- **التحقيق**[2]: هو علم بكيفية خدمة النصوص القديمة، وفق ضوابط علمية محددة، وتهيئتها للنشر بالطرق الحديثة، لإحيائها وتحقيق الفائدة العلمية منها.

- **التحويقة**: هي عبارة عن إحاطة كلمة أو أكثر بنصف دائرة، للدلالة على إلغائها. كالضرب والشطب[3].

- **التخريج**: يطلق في اللغة على الكلأ إذا كان غير ساتر للأرض بشكل منتظم، بحيث تبدو بعض البقع فارغة، إما بسبب الرّعي، أو عدم الإنبات بشكل جيد. جاء في الصحاح «وتَخريجُ الراعية المرتعَ: أن تأكلَ بعضَه وتترك بعضاً. وأرض مُخَرَّجَةٌ، أي نَبْتُها في مكان دونَ مكان. وعامٌ فيه تَخريجٌ، أي خِصب وجَدْبٌ»[4]، ثم استُعمل مجازاً فيما وقع فيه فراغ من الكتابة[5]، جاء في أساس البلاغة «وخرّج الغلام لوحه: ترك بعضَه غير مكتوب. وإذا كتبتَ الكتاب، فتركت مواضع الفصول والأبواب، فهو كتاب مخرّج. وخرّج عمله: جعله ضروباً مختلفة. وفلان خرّاج ولاّج: للمتصرف. وهو يعرف موالج الأمور ومخارجها، ومواردها ومصادرها»[6].

ومعناه في الاصطلاح: عزو الأقوال والأشعار والآيات والأحاديث والآثار التي

---

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني ٧٥، ومعجم مصطلحات المخطوطات ٧٣.

(٢) ينظر: قال الشيخ عبد السلام هارون في بيان معنى هذا المصطلح: «ومعناه: أن يؤدى الكتاب أداء صادقاً، كما وضعه مؤلفه كمّاً وكيفاً بقدر الإمكان» تحقيق النصوص ونشرها ٤٢. وينظر: معجم مصطلحات المخطوطات ٧٤.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات المخطوطات ٧٥.

(٤) الصحاح: مادة: خرج. ينظر: لسان العرب: خرج، وتاج العروس ٥/٥١٢.

(٥) ينظر: تاج العروس ٥/٥١٦.

(٦) أساس البلاغة: خرج.

ترد في النصّ، إلى مصادرها الأساسية، ونسبة ما لم يذكر قائله منها إلى قائله قدر المستطاع، ويكون ذلك في الحاشية[١].

- **الترجمة**: هي عملية التعريف بما يرد في النّص من أسماء الأعلام تعريفاً موجزاً يقتصر على ذكر اسمه ونسبه وتاريخ وفاته، ثم الإحالة إلى نحو ثلاثة مصادر ذكرت ترجمته، ويبدأ بالأقدم، ويكون ذلك في الحاشية.

- **الترقيم**: هو استعمال علامات الترقيم أثناء نسخ النّص بشكل سليم، لِيَسهُل فهم النص، وهو أمر تفتقر إليه المخطوطات.

- **التزييف**[٢]: هو إخفاء الحقيقة، وإثبات غيرها لغرض ما في نفس فاعله، وغالباً ما يقع في العنوان، واسم المؤلف، وتاريخ النسخ.

- **التصحيف**: هذا المصطلح قد يعمم فيطلق على كلّ خطأ يقع في الصحيفة[٣]، روي عن أبي العلاء المعري أنه قال: «أصل التصحيف أن يأخذ الرّجل اللفظ من قراءته في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب»[٤]، وقد يخصص فلا يطلق إلا على ما وقع فيه الخطأ بسبب الإعجام زيادة أو نقصاً، قال الجرجاني: «التصحيف: وهو أن يكون الفارق نقطة، كأنقى واتقى»[٥].

- **التصدير**: هو ما يكتب في بداية المخطوط ابتداءً من البسملة حتى نهاية الصلاة على النبي، صلى اللّه عليه وسلم. قال الصولي:« وكان التصدير ينتهي إلى قوله: فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو. إلى أن أفضت الخلافة إلى الرشيد، فأمر أن يزاد فيه (وأسأله أن يصلي على محمد

(١) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط العربي ٧٦.

(٢) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها ٤٣.

(٣) ينظر: الصحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط: مادة: صحف.

(٤) ينظر: تاج العروس: مادة صحف، ٨٩/١.

(٥) ينظر: التعريفات للجرجاني ٧٥، وشرح نخبة الفكر لأبي علي القالي ٤٨٩.

عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم)، فَكُتب بذلك إلى هذا الوقت. فكانت هذه من أفضل مناقب الرشيد.»[١].

- **التضبيب**: وهو أن يضع القارئ هذه العلامة (صـ) فوق كلمة أو عبارة شكّ في صحّتها. ويسمى أيضاً (التمريض) يعني أن العبارة مريضة وليست سليمة[٢].

- **التعقيبة**: هي الكلمة المكررة في نهاية كلّ ورقة من المخطوط وبداية التي تليها، وتقع في الورقة المتقدمة إما في نهاية السطر الأخير، وإما في الأسفل بشكل مفرد، ويستعان بها على ترتيب الأوراق حال انفراطها، وعلى تمام المخطوط وعدم نقصه حال تعاقبها. فهي بمثابة الترقيم الذي نستعمله اليوم[٣].وهنا يجب على المحقق أن يتنبه إلى ثلاثة أمور:

الأول: أنّ هذا النظام ليس شرطاً في جميع المخطوطات.

الثاني: أن يشير إلى هذا الأمر عند وصف النسخة التي وقع فيها ذلك.

الثالث: ألاّ يكررها في المتن عند النسخ لانتهاء مهمتها، وهي زيادة من الناسخ، لذا ترسم مفردة في الأسفل خارج المتن غالباً.

- **التعليق**: هو ما يورده المحقق في الحاشية من كلام توضيحاً لما يرد في المتن من الكلمات الغريبة، والعبارات الغامضة، والآراء المخالفة.

- **التفقير**: جعل كلّ فكرة من أفكار النّص في فقرة مستقلة.

- **التوثيق**: هو التأكد من صحة كلّ ما ورد في الكتاب من النصوص لغير

---

(١) أدب الكتاب ٤٠.

(٢) ينظر: مقدمة ابن الصلاح ٣١٥، والإلماع١٦٩، ومناهج تحقيق التراث ٣٣

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق لباب الآداب لأحمد شاكر ص ٤، ولسان المحدثين: مادة: تعقيبة، ومعجم مصطلحات المخطوط ٩٣، وفيه أنها تسمى: الرقاص، والوصلة، ومناهج تحقيق التراث ٨٨.

المؤلف، ثم الإحالة بعد ذلك على المصدر- الذي ورد فيه ذلك القول أو نُقل منه- في الحاشية، مقروناً برقم الجزء والصفحة، لتسهيل عملية الرجوع إليه.

- **التنسيق:** هو ما يقتضيه شكل النّص الخارجي من جهدٍ لتفقيره، وترقيمه، وإبراز عنواناته الرئيسة، لإضفاء لمسة جمالية عليه، وليسهل فهمه واستيعابه.

- **الجامع:** هو الشخص الذي يعمل على جمع مادة ما في موضوع معين، من عدة مؤلفات، ثم يعمل على تنسيقها وترتيبها. كمن يجمع الشعر، والأمثال، والأحاديث الشريفة والآثار، وأقوال عالم معين وآرائه.

- **الجزء:** يطلق غالباً على المخطوط الصغير التام، ويكون عدد أوراقه ما بين عشرة أوراق، إلى ثلاثين ورقة[١].

- **الحاشية:** هي كل ما يحيط بالنص الأصلي للكتاب من فراغ، يُترك بقصد التعليق على متن الكتاب عند الحاجة[٢]، لذا ظهرت كثير من المؤلفات بهذا العنوان، نسبة للموضع الذي كتبت فيه.

- **الحَرْق:** هو أن تحترق بعض أوراق المخطوط أو أجزاء منه، بسبب النار، أو الحموضة الزائدة في بعض الأحبار التي تؤدي إلى تآكل الورق وتكسّره.-

- **الخَرْم:** في اللغة: يعني الثَّقب، ويأتي بمعنى النقص أو القطع، قال الجوهري: «والخَرْمُ مصدر قولك: خَرَمْتُ الخَرَز أَخْرِمُهُ بالكسر، إذا أَثْأَيْتَهُ. وما خَرَمْتُ منه شيئاً، أي ما نَقَصْت وما قطعت»[٣]. ومعناه في الاصطلاح: عيب حادث يقع في المخطوط بسبب الحشرات أو عوامل الزمن، فيذهب

(١) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٣١٥.

(٢) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط العربي ١٢١.

(٣) الصحاح في اللغة: خرم.

شيء من النّص، بسبب إتلاف أجزاء من أوراق المخطوط، أو فقدانها بالكامل، ولا يمكن إصلاح هذا الخلل إلا بنسخة أخرى من الكتاب.

- **الدراسة:** هي عبارة عن جملة من العناصر العلمية)، تقتضي الاستيفاء من قِبل المحقق حتى يكون العمل كاملاً، تكتب بعد الانتهاء من تحقيق النصّ، وتكون مقدّمة له عند النشر.

- **الرّق:** بالفتح والكسر: الصحيفة البيضاء[1]، تصنع من جلد الحيوان ولاسيما الغزال للكتابة فيها، روي عن أبي عبيدة أنه قال: «هو جلد رقيق يكتب فيه»[2]. وهو مصطلح قديم ورد في قوله تعالى ﴿فِي رقّ منشور﴾[3]، قال الفراء في بيان معناها: «والرَّقُ: الصحائفُ التي تُخْرَجُ إلى بني آدَمَ، فآخِذٌ كتابَه بيمينِه، وآخِذٌ كتابَه بشمالِه»[4].

- **السقط:** ما يفوت الناسخ كتابته من عبارات النّص وكلماته عند نسخ المخطوط لسبب ما، ولا يكتشف إلا بالمقابلة، وهو مصطلح قديم ذكره الخليل[5].

- **الشطب:** هو عبارة عن خط يضرب فوق كلمة أو أكثر بشكل مستقيم لإبطالها[6].

- **الضَّبط:** هو وضع علامات مخصوصة كالضمة والكسرة والفتحة والسكون والتشديد على حروف الكلمات، كي تؤدي معناها بدقة، ولاسيما الآيات

---

(١) ينظر: كتاب العين للخليل: رق، ٥/٢٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب: مادة: رقق، وتاج العروس ٢٥/٣٥٣، ومعجم مصطلحات الخط العربي ٦٣.

(٣) الطور ٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/٩١.

(٥) للوقوف على قوله: ينظر مصطلح التحرير من هذا البحث.

(٦) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٨٨.

القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار، والشواهد النحوية النثرية، وما يُشْكل معناه من الألفاظ[١].

- **الضرب:** هو عبارة عن علامة دالة تُضرب على بعض الكلمات أو العبارات للدلالة على إلغائها، ويكون بصور متعددة، إما بالشطب، أو التحويق، أو التنقيط، أو بكتابة حروف دالة على بداية الملغى ونهايته وهما (من إلى) [٢].

- عبارة عن خط مائل يضرب فوق الكلمة، للدلالة على أنها محذوفة.

- **الصحيفة:** هي كلّ ما يعدّ للكتابة فيه ويقبل الطيّ[٣]، كالورق، والرّق، والقماش وغيرها، وقد تطلق على الكتاب كله[٤]. وإن كان غير قابل للطي فهو لوحٌ.

- **الطمس:** هو تعمية الخط حتى لا يقرأ، إما بالشطب المتكرر عليه، أو أن تصيبه رطوبة زائدة تؤدي إلى تفشي الحبر وانتشاره وتشويه صورة الحروف، قال الصولي: «طمست الكتاب أطمسه طمساً، إذا عميت خطّه حتى لا يقرأ»[٥]. ويأتي الطمس بمعنى المحي: قال أبو عبيدة: «وطمسَ الكتابَ محاه»[٦].

- **ظهر الورقة:** الجانب الثاني للورقة عند قراءة النص[٧].

- **لعزو:** في اللغة يعني النسبة، جاء في المحيط في اللغة «عَزَوْتُه وعَزَيْتُه عَزْواً وعَزْياً: نَسَبْتَه» وبهذه الدلالة يستعمل في التحقيق.

---

(١) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها.

(٢) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات، للمنجد ١٨، ومناهج تحقيق التراث ٣٧.

(٣) ينظر: كتاب العين للخليل: صحف، وطوى، ٣/ ١٢٠، ٧/ ٤٦٤.

(٤) ينظر: الصحاح في اللغة، والقاموس المحيط: مادة: صحف.

(٥) أدب الكتّاب ١٣٧، وينظر: مجاز القرآن ١/ ١٢٩، معجم مصطلحات المخطوط ٢٣٤.

(٦) مجاز القرآن ١/ ١٢٩.

(٧) معجم مصطلحات المخطوط ٢٢٠.

- **الغرق**: هو أن يتعرض المخطوط إلى ماء كثير، فيتلف الكثير من مادته العلمية. ويستعمل هذا المصطلح عند وصف المخطوط، إن كانت به هذه العلة.

- **الفقرة**: إفراد كل فقرة من أفكار النص في أسطر مستقلة، تبدأ بفراغ يسير بمقدار كلمة، وتُنهى بنقطة.

- **اللوح**: «كلّ صحيفةٍ من صفائح الخشب والكَتِف إذا كتب عليها سُميّ لوح»[1].

- **اللوحة**: يستعملها بعض المحققين مرادفة لكلمة ورقة، وهو استعمال خاطئ لا أصل له فلم يستعملها أحد من القدامى بهذا المعنى لا حقيقة ولا مجازاً، جاء في كتاب العين «واللَّوْحُ النّظرةُ كاللَّمْحة لُحتُه ببصري لَوْحَةً إذا رأيته ثُمَّ خَفَيَ عليك»، وجاء في كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ت ٢١٠هـ (واللَّوْحة: تَغَيُّرٌ من اللَّون. قال حُمَيْد:

مُوَشَّحَةُ الأَقرابِ كالسيفِ صَقْلُها... بها من رِجامٍ لوحَةٌ وذُبُوب»[2].

- ولعله من هنا سميت القطعة التي يرسم عليها موضوعاً معيناً لوحة، لما وقع عليها من تغير في اللون، وعليه فاللوحة، شيء وورقة المخطوط شيء آخر، فلا ينبغي استعمال اللوحة بمعنى الورقة.

- **المؤلف**: معروف، وهو الشخص الذي يُعمِلُ ذهنَه وعلمه وخبرته فيضع أصلاً من أصول الكتب.

- **مبيضة المؤلف**: هي النسخة التي يضعها المؤلف بخط يده نقلاً من المسودة، لتكون خالية من الشطب والأخطاء، وقيل: هي النسخة التي سوّيت وارتضاها المؤلف كتاباً يخرج للناس في أحسن تقويم[3].

---

(١) كتاب العين: لوح. ٣/٣٠٠.

(٢) كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ٢٢٦.

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ٣٢. وينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٧٠، ومناهج تحقيق التراث ٧١.

- **المجلدة:** هي جزء من الكتاب، تقع في نحو عشر ورقات، وقد تسمى الكراسة[١].

- **المحقق:** هو الشخص الذي خَبر قواعد التحقيق وضوابطه قولاً وعملاً.

- **المخطوط:** هو كلّ ما كان مرقوماً بخطّ اليد من الكتب، وهو مصطلح قديم، جاء في التنـزيل ، وجاء في أساس البلاغة « خطّ الكتاب يخطه...وكتاب مخطوط»[٢].

- **المزيّف:** هو الشخص الذي يعمل على إخفاء حقيقة علمية في المخطوط أو تحريفها بقصد، لغايةٍ ما.

- **مسوَّدة المؤلف:** هي النسخة الأولى التي يضعها المؤلف، قبل أن يهذبها ويخرجها للناس سوّية[٣].

- **المقابلة:** هي معارضة ما تمّ نسخه من الأصل على النسخ الأخرى كلمة كلمة، وملاحظة الفروق بينها، لضمان عدم السقط، ووقوع الخطأ، ولإخراج نصّ سليم خالٍ من العيوب والأخطاء التي تعتري المخطوط، بسبب تطاول الأيام، وتقلبات الزمن.

- **الناسخ:** هو الشخص الذي يعمل على وضع نسخة ثانية من مؤلف ما بخط يده، بحيث تكون مطابقة للأصل المنقولة منه، وقيل: هو العارف بقواعد النسخ في اصطلاح الكتب، ومعرفة قواعد العلم الذي ينسخه، ويسمى الورّاق أيضاً، نسبة لعمله بالورق[٤].

- **النِّسبة:** هي عملية عزو النّصوص التي لم تعز في الكتاب إلى مؤلفيها، قدر المستطاع.

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٣١٥.

(٢) أساس البلاغة: خطط، وتاج العروس ١٩/٣٥٦، خطط.

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ٣٢، ومناهج تحقيق التراث ٧١.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٣٥٧.

- **النَّسخ**: هو عملية إعادة كتابة المخطوط بيد المحقق[1] من النسخة التي جُعلت أصلاً، وفق قواعد الإملاء السائدة في عصرنا اليوم[2].

- **النسخة الأصل**: هي النسخة التي يختارها المحقق، وفق شروط محددة، عند تعدد النسخ، لتكون أساساً له في نسخ مادة الكتاب.

- **النسخة الأم**: هي النسخة التي كتبها المؤلف بخطه[3].

- **النسخة الفريدة**: وصف يطلق على المخطوطة الوحيدة المتبقية من كتاب معين[4].

- **النسخة النادرة**: وصف يطلق على المخطوطة التي تمتاز بخصائص لا يشاركها فيها غيرها. ويستعمل عند وصف النسخة في قسم الدراسة.

- **النص المختار**: وهو أن يثبت المحقق في المتن من العبارات ما يفصح عن رأي المؤلف، ويؤدي عبارته أداء كاملاً عند اختلاف النسخ، مع ذكر العبارات الأخرى في الحاشية[5].

- **النقص**: هو أن يكون المخطوط غير تام، إما بسبب فقدان بعض أوراقه هلاكاً أو ضياعاً، أو أن مؤلفه لم يتمّه.

- **الهامش**: مصطلح مولّد، يستعمل مرادفاً لمصطلح الحاشية، قال الصّاغَانِيّ، ت ٦٥٠هـ: «يُقَال: كَتَبَ عَلَى هَامِشِه، وعَلَى الهَامِشِ، وعَلَى

(١) ويفضل أن يكون ذلك بالحاسب الآلي، توخياً للدقة

(٢) كإعجام مالم يعجم من الحروف، وكتابة الهمزات المسهلة، والألفات المحذوفة اختصاراً. ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات ١٩.

(٣) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات، للمنجد ١٥.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات المخطوط ٣٦٠.

(٥) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها ٧٣، وقواعد تحقيق المخطوط العربي، للمنجد ١٠.

الطُّرَّةِ، وهو مُوَلَّدٌ»[١]. وقال الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ: «والهامِشُ:حاشِيَةُ الكِتابِ مُوَلَّدٌ »[٢].

- **وجه الورقة**: الجانب الأول للورقة عند قراءة النص[٣].

- **الورقة**: معروفة، فيها تكتب مادة المخطوط العلمية، وتكون مصنوعة في الغالب من مواد طبيعية، وهي المعتمدة في الإحالة، إذا كان المصدر المحال إليه مخطوطاً، ويرمز إليها بحرف (ق).

---

(١) تاج العروس ٤٦٦/١٧، مادة: هشم.

(٢) القاموس المحيط، وتاج العروس: همش. وينظر: المعجم الوسيط ٩٩٤/٢، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي ١٢١

(٣) معجم مصطلحات المخطوط ٣٧٦.

القسم الثاني

الرموز

كثيرة هي الرموز التي تصادف المحققين لكتب التراث، منها ما هو خاص[(١)]، بمعنى أنه لا يعرفه دلالته إلا واضعه، وهذا النوع غالباً ما يفسره واضعه، ليكون واضح الدلالة للقراء، وذلك كالرموز التي وضعها الشاطبي في منظومته للقراء، ومنها ما هو عام شائع الدلالة، ثم إنّ العاملين على تحقيق كتب التراث من المحدثين احتاجوا إلى رموز أخرى درجوا على استعمالها في تحقيق الكتب، لا بدّ من معرفتها أيضاً.

وعليه يمكن تقسيم الرموز التي ينبغي للمحقق معرفتها إلى قسمين: قديمة وحديثة.

أما الرموز القديمة فهي التي يستعملها النساخ والمؤلفون قديماً، ويشيرون بها إلى دلالات معينة اختصاراً، وقد يجد المحقق بعضاً منها في المخطوطات، لذا يقتضي الأمر معرفة دلالاتها، ليكون عمله تاماً. وهذا بعضها:

- **صح**: يستعمل هذا الرمز في المخطوطات لتأكيد صحّة الكلام المشار إليه به، على أنّه جزء من النّص، سواء كان المشار إليه مكتوباً في الحاشية أو داخل النّص. لذا على المحقق عند مصادفته هذه الحالة، أن يدرج الكلام الذي أشير إليه بهذا الرمز داخل المتن، حيث وضعت الإشارة التي هي على شكل رقم (٦) صحيحة أو معكوسة، من دون حصره بين أقواس، ولا إشارة إلى ذلك في الحاشية، لأنّه جزء من النّص سقط من الناسخ أثناء الكتابة وتم تعويضه بهذه الصورة عند المقابلة، وبإمكان المحقق الإشارة إلى ذلك عند وصف النسخة التي وقع فيها هذا الأمر، للدلالة على أن النسخة مقابلة

---

(١) ينظر بعضها في: مناهج تحقيق التراث ٤٣، ٨٧. ذكرها في موضعين.

على الأصل الذي نسخت منه، لتمكين الثقة بها من الناحية العلمية.

- (صـ) **ممدودة:** علامة تمريض، توضع فوق الكلمات التي يُشكّ في عدم صحّتها.وتسمى ضبّة[١]. قال ياقوت الحموي، في ترجمة إبراهيم بن محمد بن زكريا الأندلسي، المعروف بابن الإفليلي: «وحُكى عنه بإسناد له أنه قال: كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون، أن الحرف إذا كُتب عليه (صح) - بصاد وحاء - كان ذلك علامة لصحة الحرف، لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً أو نقصاً، فوضع حرف كامل على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان علامة أن الحرف سقيم، إذ وضع عليه حرف غير تام، ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف، ويسمى ذلك الحرف أيضاً (ضبة) أي أن الحرف مقفل بها، لم يتجه لقراءة، كما أن الضبّة مقفل بها»[٢].

- (○) **الدائرة:** هي عبارة عن دائرة صغير ترسم داخل النص في نهاية الفصول، أو الفقرات الكبيرة، للإفادة منها أثناء المقابلة، حيث يضع المقابل نقطة في داخل كل دائرة يبلغها عند المقابلة، للدلالة على أنّ ما مضى تمت مقابلته، وإذا ما قوبلت النسخة على نسخة أخرى يضع داخل الدائرة نقطتين، وهكذا.

- (⊙): **الدائرة المنقوطة:** يستدل بها على أنّ النسخة مقابلة على نسخة أخرى.

- **خط مائل فوق الكلمة:** يعني أن الكلمة المضروب عليها ملغاة، لعلة ما.

- (⮌ ⮎) **نصف دائرة حول الكلمة:** يسمى هذا الرمز (التحويقة)، وهو نوع من أنواع الشطب وإلغاء الكلام لوجود علة فيه.

---

(١) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات، للمنجد ١٨.

(٢) معجم الأدباء ١/١٢٣، وينظر: مقدمة ابن الصلاح ٣١٥، ومناهج تحقيقي التراث ٣٢.

- (↱) أو(↰) **علامة اللّحق أوالإحالة**، يشير هذا الرمز إلى وجود سقط في المتن، تم استدراكه في الحاشية، وموضع السقط في المتن يشير إليه الضلع العمودي، والضلع الأفقي يشير إلى جهة الكلام المستدرك. وهنا على المحقق إدراج الكلام الذي هو في الحاشية في موضعه من النص عند نسخ المخطوط، من غير إشارة إلى ذلك، لأنه جزء من النص سقط أثناء النسخ، وتم استدراكه عند المقابلة[١].

- **زيادة النقط**: هو أن يكون فوق الكلمة نقاط كثيرة، للدلالة على إلغائها.

- **انتهى**: هذه الكلمة تكتب في نهاية الكلام المقتبس للدلالة على نهايته.

- **ا.هـ**: للدلالة على نهاية الكلام المقتبس أيضاً، مختزل من كلمة (انتهى).

- **بلغ**: هذه الكلمة تكتب على حاشية المخطوطات، يشار بها إلى موضع بلوغ المقابلة على نسخة أخرى، أو القراءة على الشيخ، يفاد منها علمياً أن المخطوط مقابل، أو مقروء على أحد العلماء.

أما الرموز الحديثة، فهي مم اصطلح عليه المحققون المحدثون، وصارت دلالاتها شبه مستقرة، لذا ينبغي أن نتمسك بها، لتكون أكثر استقراراً، وأكثر فائدة في هذا الميدان من العلم، وهذه الرموز هي:

- **الأصل**: يطلق هذا الرمز على النسخة التي يتخذها المحقق أصلاً في تحقيقه، ويحال عليها في الحاشية تحت هذا المسمى.

- **الأم**: يطلق هذا الرمز على نسخة المؤلف، ويحال عليها في الحاشية تحت هذا المسمى.

- ﴿﴾: القوسان المزهران: يستعملان لحصر الآيات القرآنية الكريمة فقط.

---

(١) ينظر: الإلماع ١٦٢، ومقدمة ابن الصلاح ٣١٣، والدر النضيد ١٧٨، ومناهج تحقيق التراث ٣٥.

- ( ): القوسان المتوسطان: يستعملان لحصر مايقتضي التمييز لأمر فيه، كالحديث الشريف، والآثار، والشواهد النثرية، وغير ذلك مما يراه المحقق يقتضي التمييز لإبرازه.

- « »: القوسان الصغيران المدمجان: يستعملان لحصر أقوال العلماء المنقولة نصاً، ليس إلاّ، ولا ينبغي أن يستعملا لغير ذلك.

- [ ]: القوسان المعقوفان: يستعملان لحصر ما سقط من النسخة المعتمدة أصلاً أو أُمّاً في التحقيق، وتم تعويضه من النسخ الأخرى، أو المصادر المساندة[١]، أومن المحقق ليستقيم السياق[٢].وينبغي عدم استعمالهما لغير ذلك.

- ق: حرف القاف، يرمز إلى ورقة المخطوط، ويستعمل عند الإحالة إلى مخطوط ما في الحاشية، وذلك بدل الصفحة في المطبوع، ليعلم القارئ أنّ الكتاب المحال إليه لا يزال مخطوطاً.

- و: حرف الواو، يرمز إلى وجه ورقة المخطوط المعتمد أصلاً في التحقيق.

- ظ: حرف الظاء، يرمز إلى ظهر ورقة المخطوط المعتمد أصلاً في التحقيق

- أ: حرف الألف، بعضهم يرمز به إلى وجه الورقة بدلاً من حرف الواو.

- ب : حرف الباء، بعضهم يرمز به إلى ظهر الورقة بدلاً من حرف الظاء.

- / /: الخطان المائلان داخل النص، يحصر بينهما رقم وجه الورقة ورقم ظهرها مقروناً بالرمز.

---

(١) يتم ذلك إذا كان الجزء الساقط منقولاً من مصدر آخر، وليس من كلام المؤلف.

(٢) يجب أن يتم ذلك على نطاق ضيق جداً بحيث لا يتجاوز الكلمة الواحدة، كي يستقيم السياق، في حال عدم وجود نسخة أخرى يعتمد عليها في التصحيح.

- /١و/: هذا الرمز يشير إلى بداية وجه الورقة الأولى من المخطوط، يوضع قبل البسملة، وليس في نهاية الوجه كما يفعل بعض المحققين.

- /٢ظ/: هذا الرمز يجب أن يوضع في نهاية وجه الورقة الأول وبداية الوجه الثاني من الورقة نفسها ويشير إلى بداية ظهر الورقة.

- ينظر: هذه الكلمة تستعمل في الحاشية، عند الإحالة إلى مصدر ما، وتعني أنّ الكلام المشار إليه لم ينقل نصاً وإنما بتصرّف، أو أنّ الرأي الذي ذكره المؤلف من غير نسبة ذكره غيره، وأنّه معروف عند العلماء، أو مسبوق إليه.

الخاتمة

وختاماً هذا ما يسّر الله كتابته في هذه الورقة، وجملته (٥٨) مصطلحاً، و(٢٦) رمزاً عرّفت بها تعريفاً اصطلاحياً لتكون قريبة المأخذ، سهلة المنال لطالبيها، وفي نيّتي، إن شاء الله، إلحاقها في بحث آخر كنت قدّمته في مؤتمر سابق، تحت عنوان (المنهج الأمثل في تحقيق كتب القراءات) عسى الله سبحانه أن ييسر نشره على شكل كتاب، وينفع به طلبة العلم في هذا الباب.

ثم إنّه لمن تمام المعروف، وكمال الواجب، قبل أن نختم هذه الورقة، أن نسدي خالص الشكر والتقدير إلى من كان سبباً في وضعها، وهم الإخوة القائمون على مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، والشكر موصول لقسم اللغة العربية بجامعة القصيم، الذي ننتمي إليه، ولأخي وزميلي المنسق لهذه الندوة الدكتور إبراهيم المطوع، جزاهم الله جميعاً عن العلم وأهله خير الجزاء، على رعايتهم لهذه الندوة، وغيرها من الأعمال العلمية الجليلة التي تخدم اللغة وأهلها.

هذا والله أسأل لنا ولهم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم الدين، إنه أكرم مسؤول، وأفضل مأمول. الباحث

الدكتور عمار أمين الددو

المصادر والمراجع

- الأزهري، محمد بن أحمد، ت ٣٧٠هـ ، تهذيب اللغة، القاهرة، ١٩٦٤- ١٩٦٧م.
- بنبين، أحمد شوقي، ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ط٣، الخزانة الحسنية، الرباط، ٢٠٠٥م.
- البهنسي عفيف، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين: ، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي ،كتاب التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الزّبيدي مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ،ت ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، القاهرة ١٩٥٣م.
- سلامة، محمد خلف ، لسان المحدّثين، الموصل، ٢٠٠٧، نشره مؤلفه في ملتقى أهل الحديث، على الشبكة العالمية، وهو في المكتبة الشاملة.
- ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الشهرزوري،

مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، تحقيق: الدكتور بنت الشاطئ، القاهرة، ١٩٧٦م.

- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكتّاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٣٤١هـ.

- عبد السلام هارون، قواعد تحقيق النصوص ونشرها، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، ت ٢١٠هـ، مجاز القرآن: تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

- علي القاري، أبو الحسن علي بن سلطان بن محمد، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر ،تحقيق: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، ط١، دار الأرقم، بيروت.

- أبو عمرو الشيباني، كتاب الجيم ، إسحاق بن مرّار، ت ٢١٠هـ.

- القاضي عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٠م.

- الغزي بدر الدين، الدرّ النضيد في أدب المفيد والمستفيد ، نشر الدكتور محمد الخولي، مجلة معهد المخطوطات ، الجزء العاشر، القاهرة ١٩٦٤م.

- الفراء، يحيى بن زياد، ت ٢٠٧هـ ، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، ط٣، عالم الكتب، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة مصر ١٩٥٥- ١٩٧٢م.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، كتاب العين، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، مصر.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، دار الدعوة. القاهرة، مصر.

- المنجد صلاح الدين، قواعد تحقيق المخطوطات: ، ط٧، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

- الهروي، محمد بن علي بن محمد النحوي:، مقدمة تحقيق إسفار الفصيح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ

أثر الترجمة في اختلاف المصطلحات في العربية

إعداد

د/ سالم بن عبيد القرارعة
د/ محمد عبد القادر عبد الله أحمد
وحدة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم
١٤٣٦

المصطلح: تعريفه

المصطلح في اللغة بعد تجريده من الزوائد يبقى أصله مادة (صلح) والصلاح ضد الفساد ومنه الصلح والسلم، واصطلحوا، وتصالحوا، وقوم صلح أي متصالحون، وأصل معناه التوفيق والتصالح، يقال أصلحت بين القوم أي وفقت بينهم، وذهب بعضهم إلى أن، الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد[١].

أما المصطلح في الاصطلاح فهو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو اختصاص ليدل على معنى معين يتبادر إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ. وبتفصيل أكثرفهو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة، وهناك من ذهب في تعريفه إلى أنه اتفاق مخصوص على وضع لفظ لمقابلة شيء.

وبعضهم ذهب إلى أن المصطلح لفظ يطلق على مفهوم معين للدلالة عليه عن طريق الاصطلاح بين جماعة لغوية على تلك الدلالة.

(١) مقاييس اللغة ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون ج٣ص٣٠٣

ومن التعريفات الحديثة للمصطلح أنه رمز لغوي يتألف من الشكل الخارجي والتصور أو المفهوم، وهو معنى من المعاني يتميز عن المعاني الأخرى، داخل نظام من التصورات أو المفاهيم، وبعبارة موجزة فهو كلمة تعبر عن مفهوم خاص في مجال محدد[1].

وما يمكن ملاحظته على هذه التعريفات على اختلاف ألفاظها تكاد تتحد في معناها، وهي تدخل في إطا إطار التواطؤ والاصطلاح الذي قيل به في نشأة اللغة نفسها.

ولا تبعد هذه التعريفات عن تعريف المصطلح في الإنجليزية فهو (كلمة ترتبط بحقل من الحقول في مهنة أو نشاط ومعرفة المصطح جزء مهم في إيجاد القدرة على ممارسة العمل في أي أي مجال من المجالات.

ونشير هنا إلى أن عموم المصطلحات لا تلتزم بالمعنى المعجمي للفظة ، كما أنها لا يجب أن تنقطع عنه تماما، فقد تبقى بينهما بعض الروابط المباشرة أو غير المباشرة كما سنعرض لاحقا.

والمأثور الشائع عن العرب استعمالهم لفظي مصطلح واصطلاح دون تفريق بينهما في المعنى.

<u>الترجمة:</u>

أما الترجمة فقد بين معناها الجوهري بقوله: قد تَرْجَمَ كلامه، إذا فسَّره بلسان آخر. ومنه التَرجَمان، والجمع التراجم. ويقال تَرجُمانٌ. ولك أن تضم التاء لضمَّة الجيم فتقول تُرْجُمانٌ وأورد قول الراجز[2]:

---

(١) كرسي بحث صحيفة الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة على الشبكة، محاضرة بعنوان بين المصطلح والتعبير الاصطلاحي د.حسناء القنيعر.

(٢) الصحاح في اللغة الجوهري تحقيق/محمد محمد تامر دار الحديث القاهرة ٢٠٠٩ مادة (ترجم) ص ٤٣١.

إلاّ الحَمامَ الوُرْقَ والغَطاطا

فهُنَّ يُلْغِطْنَ به إلْغــــاطا

كالتُرجُـــمانِ لقيَ الأَنْباطا

ولم يخرج صاحب لسان العرب عن هذه البنية الصرفية ولا المعنى فقد ذكر أن التُّرْجُمانُ (بضم التاء) والتَّرْجَمان (بفتح التاء) واحد، وهو المفسِّر للسان وفي حديث هِرَقْلَ أنه قال لتُرْجُمانه - الترجمان بالضم والفتح. الذي يُتَرْجِم الكلام أَي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى والجمع التَّراجِم[1].

إذن فالترجمة ترجع إلى البيان والتفسير والنقل الإيضاح ، وقد يُقال أيضا ترجم لفلان أي ذكر ترجمته.

ولا فرق في دلالة (ترجم) بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تقريبا، فالترجمة هي نقل من لغة المصدر إلى لغة أخرى هي الهدف،وبمعنى آخر هي استبدال محتويات نص في لغةٍ ما بما يقابلها من محتويات نص في لغة أخرى.

وهذا التعريف ينطبق على الترجمة بصفة عامة، أما ترجمة المصطلح فهي تتطلب قيودا أخرى، فالمراد بها أن ينقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه الاصطلاحي لا بدلالة اللفظ المعجمية، ولهذا السبب فرقوا بين المعنى اللغوي والاصطلاحي .

ونشير هنا إلى أن التعريب لزيم للترجمة فيذكر متى ما ذكرت وهو في العربية إضفاء سمت العربية على اللفظة الأجنبية لتتلاءم مع منظومتها الصوتية ونظامها الإملائي.

---

(١) لسان العرب ابن منظور،دار صادر ٢٠٠٣ (رجم)ج٦١١٧.

الترجمة والتعريب في العربية قديما

تبلبل الألسنة واختلاف لغات الإنسان، وتداخل البشر بعضهم مع بعض سلما وحربا نتيجته الحتمية هي وجود الترجمة، للربط بين المجتمعات الإنسانية عبر وسيلة الاتصال الأكثر فاعلية بين البشر لذا فهي قديمة بقدم اختلاف اللغات.

ظاهرة الترجمة قديمة في العربية بقدم تاريخها إذ إنها ليست مقصورة على العصر الإسلامي وعصر الفتوحات والعصور التالية ، فمع أن العرب عاشوا في شبه جزيرة وكانت تعيش في ما يشبه العزلة في ذلك الوقت، إلا أنهم لم يكونوا بمنأى تماما عن قانون التأثير والتأثر فقد جاوروا أمما مختلفة كالفرس والروم ، وهي تتحدث لغات مختلفة عن لغتهم، وبعد الإسلام حيث تشكلت ملامح لدولة فتية، وأرسيت قواعدها كانت الحاجة إلى الإفادة من تجارب الأمم السابقة أكبر، فقد بدأت ترجمة العلوم والمعارف إلى العربية منذ الفجر الأول منه، فترجمت الكتب من الهندية ، والفارسية ، واليونانية، وكان الهدف من الترجمة هو المعرفة والإفادة من موروثات الأمم السابقة التي نبغت في مجالات متفرقة من العلوم، وعلى الرغم من قدم تاريخ الترجمة في العربية ورجوعها إلى ذلك العصر إلا أنها كانت عملا متناثرا تقضيه الضرورات وتمليه الحاجة.

ويمكن إجمالا تقسيم فترات الإفادة من الترجمة في عصور النهضة الإسلامية إلى أربعة مراحل [1]:

أولا: حركة الترجمة في عصر بني أمية ومن أشهر مترجمي هذه الفترة يعقوب الرهاوي كان ينقل من اللغة السريانية، وهذه الفترة مدتها أكثر من نصف قرن من الزمان، ولم تتسع حركة الترجمة في عصر بني أمية لانشغالهم بالفتوحات.

---

(١) حركة الترجمة والنقل درس تاريخي، يوسف زيدان، موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات على الشبكة.

المرحلة الثانية من خلافة المنصور إلى وفاة هارون الرشيد ومن أشهر المترجمين فيها يوحنا البطريق وابن المقفع ويوحنا بن ماسويه.

الثالثة ازدهرت فيها الترجمة وبلغت مبلغا عظيما وأرسيت أسسها واشتهر من مترجميها حنين بن إسحاق.

المرحلة الرابعة امتدت من القرن الرابع الهجري وحتي منتصف القرن الخامس، ومن أشهر المترجمين فيها أبو بشر متى بن يونس، وأبوسليمان السجستاني وغيرهما.

وقد أصبحت الترجمة ابتداء من عصر المأمون عملا منظما يتبناه بيت الحكمة ويتلقى دعما مباشرا من مؤسسة الدولة وقد حدث هذا في عهد المأمون والواثق والمتوكل. وقد كانت الترجمات في مجالات شتى، مثل الطب والكيمياء والفلك الرياضيات، والمنطق والفلسفة.

كانت هناك ترجمات غير رسمية لا تندرج في مؤسسات الدولة مثل ترجمة أسرة بختيشوع الذي كان متخصصا في الطب.

ومهما يكن من أمر فلم تكن في ذلك العهد مجامع لغوية أو مؤسسات أو هيئات للترجمة، فقد كان الأمر يتركز حول صياغة اللفظة العربية بما يراه المترجم مناسبا، ولا شك في أن المترجمين في ذلك العصر كانوا أولي خبرة ودراية باللغة المترجم منها، واللغة (الهدف) المترجم إليها، ولم تكن لهم تخصصات دقيقة يعتمدون عليها في ترجمة المصطلح، ولا هيئات تجتمع وتنفض، ولا مؤسسات، ولا وسائط تتلقّف المصطلح ومن ثّم تشيعه بين الناس، وقد كان المترجمون يحرصون على توخي الدقة في وضع الترجمات العربية بإزاء تلك المصطلحات التي ترجمت، وكانوا يعتمدون كثيرا على التعريب الذي وضعت له أسس استنبطت مما اتبعته العربية في تاريخها العميق العريق، وسارت عليه المجامع العربية الحديثة في ترجمتها للمصطلحات، سنشير إليها لا حقا بإذن الله.

الترجمة والتعريب في العصر الحديث:

بعد أفول نجم العرب والمسلمين نشطت الحركة العلمية في أوربا ؛ بفضل ترجمة المعارف التي ورثت عن المسلمين، وقد طور الأوربيون في تلك العلوم وتراجع الناتج العلمي بالعربية، ودخل جل العالم العربي والإسلامي في ظل الدول الاستعمارية الكبرى، وفقدت ماهية ذلك العلم، وتلك المعرفة، التي كانت تصطبغ بالصبغة العربية الإسلامية. في العصور التالية للنهضة الإسلامية التي كانت تقوم على اللغة العربية، وقد أدرك العلماء العرب الحاجة الملحة إلى الإفادة من المعارف الغربية، فسعوا إلى دعم الجيل الجديد من القراء العرب بهذه المعارف، فدأبوا من أجل وضع مفردات تلخص بل تعبر عما استجد من مصطلحات في تلك العلوم أيا كان مصدرها أو اللغة التي أخذت منها . فشرعت الدول العربية مؤسسات وأفراد في القرنين التاسع عشر والعشرين وإلى يومنا هذا، في حركة الترجمة العكسية مرة أخرى، من اللغات الغربية إلى اللغة العربية، فقد بعث محمد على باشا الطلاب إلى أوربا، للتخصص في مجالات مختلفة من المعارف [١] .

وبعد عودة أولئك المبتعثين الأوائل من رحلاتهم العلمية في الغرب شرعوا في استعمال اللغة العربية وسيلة للتدريس، وقدموا مؤلفات وترجمات بالعربية، في كثير من التخصصات منها العلوم الطبية، كالجراحة ،والأمراض الباطنة، والبيطرة، والنبات، والفيزياء والجيولوجيا، والصيدلة والسموم، والأمراض الوبائية، والحساب ، والجبر والهندسة، الوصفية، والفلك ،والرياضيات، ومعلوم أن أصول هذه العلوم عربية المنشأ، ولكن الأوربيين أضافوا إليها كثيرا من الإضافات وتوسعوا فيها وأنزلوا النظري منها إلى أرض التطبيق.

---

(١) ملاحظات على حركة الترجمة وتعريب الطب من حنين بن إسحاق إلى كلوت بك إلى الحاضر / أبوشادي الروبي / مجلة مجمع اللغة العربية ج٧٦/١١٩١٢٩

ومن أشهر المترجمين الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي كان رائدا في مجال الترجمة في القرن التاسع عشر، وسلك منهجا علميا مؤسسا في الترجمة، وبيّن دورها في الارتقاء بالأمة، ومواكبة التطورات العلمية والثقافية، والاستفادة من تلك النُّقلة الكبيرة، التي حدثت في الغرب ، وقبيل نهاية القرن التاسع عشر أنشئت المجلات (مجلة المقتطف) التي تقوم في جل مادتها التي تحويها على الترجمة، ووفقا لقانون التطور، وعدم التوقف والجمود فلم يأت عام ١٩١٤ حتى تطر الحال إلى إنشاء لجنة للتأليف والترجمة في مصر.

ولتنظيم حركة الترجمة إلى اللغة العربية، والحفاظ على مواكبتها واحتكاكها بلغات العالم وإغنائها بما تقتضيه المعرفة من ألفاظ مع بدايات عصر الانفتاح الكبير أنشئت المجامع اللغوية في العالم العربي، ومن الأسباب الرئيسة التي دعت الحريصين على اللغة العربية من أبنائها إلى إنشاء هذه المجامع توحيد المصطلحات العلمية في مختلف العلوم؛ لردم الهوة بين مراكز التعليم في الدول العربية، والتشجيع على الترجمة والاتفاق على ترجمة المصطلحات والتعريب لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية التي تزداد، وتزيد الحاجة إليها مع مرور الأيام.

ومن هذه المجامع مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أُنْشئ للمرة الأولى في سنة ١٨٩٢ للوضع والتعريب، ثم توقف ليعاود نشاطه في سنة ١٩٣٨ ، والمجمع العلمي العربي السوري، وهو أول مجمع علمي في الدول العربية أنشئ في سنة ١٩١٩ ، ثم المجمع العراقي والأردني، ثم أسس اتحاد المجامع العلمية العربية، في سنة ١٩٧١ وهو يتألف من المجامع اللغوية السابقة، أضيفت إليها مجامع أنشئت في الأردن وفلسطين، والسودان، وليبيا والجزائر، والمغرب وتونس.

ترجمة المصطلحات وتعريبها :

كان المصطلح هو الشغل الشاغل في الترجمة؛ نظرا لدوره المركزي في نقل

العلوم وتقعيدها ولعدم خضوعه للترجمة المباشرة الحرفية التي يمكن أن يتمكن منها غير أرباب العلوم، ولم يكن للمصلطح في بادئ الأمر جهة أو هيئة تتبناه، بل كان أمره متروكا لأولي الخبرة والكفاءة، كل في مجال تخصصه، يضع الألفاظ التي يراها مناسبة، وتعبر عما يراه مناسبا عن الجمل المترجمة، بل كان كثير من المترجمين لا زاد لهم إلا تمكنهم من اللغة التي يترجمون منها، وهي ميزة لكنها لا تجدي كثيرا في ترجمة المصطلحات، ومما لا شك فيه أن المصطلحات تمثل أهمية قصوى في نقل العلوم والمعارف؛ لأنها هي المفاتيح التي تستغلق الجمل والعبارات والتراكيب دون معرفة معناها الاصطلاحي .

وفي إطار السعي إلى تذليل هذه العقبة الكئود، تعالت أصوات الأفراد والمؤسسات الداعية إلى تبني سياسات واضحة متفق عليها في الدول العربية عبر مجامعها، للتعامل مع المصطلح في ترجمته، ويمكن تصنيف الحراك الذي دار حول المصطلح في ثلاثة محاور تعبر عنها مجموعة من البحوث والقرارات التي صدرت عن مجامع اللغة العربية :

أولا : ترجمة المصطلحات.

الاتجاه الأول وهو الغالب يرى أن تترجم هذه المصطلحات إلى العربية، ويندرج النحت تحت هذا الاتجاه، وهذا الاتجاه فيه فئتان فئة ترى اللجوء إلى التعريب متى ما تعذرت اللفظة العربية، وفئة تشددت في قبول التعريب ولم تر اللجوء إليه إلا في أضيق الحدود بل منها من دعى إلى رفضه جملة وتفصيلا كما سنرى .

ثانيا : تعريبها .

هذا الاتجاه انفتح على التعريب وهو قبول المصطلح الأجنبي بعد صقله بالمنظومة الصوتية العربية والنظام الإملائي لها .

وكل اتجاه من هذين الاتجاهين له منظروه ومسوقوه والمدافعون عنه، وإن اختلفت الكثرة، ودرجة الحماس بين أفراد هذين الاتجاهين.

أسس ترجمة المصطلحات:

تقدم أصحاب الاتجاه الأول الترجمة خطوات ووضعوا كثيرا من الأسس التي تتبع في ترجمة المصطلحات في كل مجالات المعرفة ، ويمكن تلخيص هذه الأسس فيما يأتي[١]:

١- استعمال لفظ مفرد في ترجمة اللفظ المفرد.

٢- تخصيص المصطلح بترجمة واحدة، تستعمل في جميع استعمالاته وبعبارة أخرى عدم خلط المفاهيم ، بالفصل بين المصطلحات التي تدل عيها، فلا يمثل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح .

٣- اجتناب الإغراب والابتذال، وعدم اللجوء إليها بلاضرورة .

٤- الحرص على وضوح الدلالة في المصطلح المترجم .

٦- توحيد ترجمة المصطلحات في حالة اشتراكها بين العلوم.

٧- مراعاة الصلات بين المصطلحات، من ترابط واشتقاق، وتصريف.

٨- عدم الانقياد واتباع القديم، إذا لم يصلح للاستعمال الحديث.

٩- تفضل الألفاظ نادرة التداول، من أجل تخصيص المعنى العلمي بألفاظ معينة، وعدم ابتذال المعاني.

١٠- التوسع في الاشتقاق لأنه يمثل أشد الطرق ملاءمة لصياغة المصطلحات.

---

(١) جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تعريب المصطلح العلمي /محمد حسن عبد العزيز - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٨٦٢٢٣ وما بعدها.

١١- عدم اللجوء إلى التعريب إلا في حالات الضرورة وتوخي الخفة فيه.

١٢- لا يحبذ استعمال النحت لندرته في العربية، ولا يتم اللجوء إليه إلا بشروط.

والترجمة هنا بالضرورة لا يُعنى بها الترجمة الحرفية،حيث إن معنى المصطلح قد ينقل بطريقة أخرى مخالفة تماما لدلالته المعجمية في لغته الأصلية، ومن أبرز مؤيدي هذه الترجمة في نقل المصطلحات ويرى الاقتصار عليها الشيخ أحمد الاسكندراني.[١]

لماذا التعريب؟

الاتجاه الثاني اتجاه التعريب كان له أيضا مناصروه ومؤيدوه المتعصبون له ، ويمكن حصر ما استندوا إليه في تبني هذا الاتجاه فيما يأتي:

١-إن العلوم تتجدد كل يوم، والبحث عن المصصطلحات والاتفاق عليها وانتظار شيوعها وتوحدها مضيعة للوقت.

٢- التطابق بين المصطلحات ذوات الأصول الأجنبية ومقابلاتها العربية في حالة وضعها متعذر؛ لاختلاف أنماط التفكير والمناهج ، وهذا يجعل التطابق التام شبه مستحيل.

٣- مشكلة المصطلح، ليست مجرد بحث في ألفاظ، بل هي جزء لا يتجزأ من أنماط التفكير.

٤- المصطلحات أصبحت جزءا من العلوم بل هي أساس لها في كثير من الأحيان، فالبحث عن جديد فيها نوع من العبث.

وقد دعت بعض البحوث إلى التعريب صراحة ، وحذرت من ترجمة

---

(١) مجلة المنار العدد ١٠ ص ٨٨٧.

المصطلحات ورأت أن التعريب هو أقصر الطرق وأن البطء فيه مضر بقضية التواطؤ والاتفاق على المصطلحات.

وفيما يتعلق بتعريب المصطلحات أمران لا بد من الإشارة والتنبيه إليهما.

الأول: أن الغالبية متفقون على الحاجة إلى التعريب أحيانا، ولكنهم يختلفون في حدوده ومداه.

الثاني: أن اللفظة الأجنبية لا بد أن تصقل بالأسلوب العربي لتكون ملائمة للسان العرب ومنظومتهم الصوتية، مع الاستضاءة بالأصل اللاتيني أو الإغريقي في حالة التعريب من الإنجليزية أو الفرنسية، وأن يراعى الاتفاق الدلالي بين المدلول العلمي والمصطلح العربي،ولا يشترط التقيد بالدلالة الحرفية

وقد ذهب بعضهم إلى أنه (التعريب) أفضل من الترجمة بلفظة لا تعبر تعبيرا دقيقا عن المعنى، أو تتركب من عدة كلمات، أو تحتوي على حروف ثقيلة في النطق، أو مستكرهة في السمع بمقاييس العصر الحاضر، كما سنرى، ومعلوم أن هناك أصولا عامة للعربية في التعامل مع الألفاظ المعربة اتبعتها قبل الإسلام وفي صدر الإسلام وبعده، وهو منهج يطبق على كل الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية، وهو منهج دقيق اتبعته العربية في مسألة تعريب المفردات، أملاه الاختلاف في المنظومة الصوتية بين اللغات، والتزام كل لغة بمنظومتها الصوتية، وعدم استجابة رسمها لمتطلبات اللغات الأخرى ، فالمنظومة الصوتية بين هذه اللغات التي تم التعريب منها مختلفة كثيرا، وهذا يقتضي أن توجد في بعض المفردات المراد تعريبها أصوات ليست موجودة في العربية؛ ويمكن تلخيص النهج الذي سلكه العرب قديما في تعريب المفردات في الآتي :

١- إبدال الصوت الذي لايوجد في العربية إلى أقرب الأصوات العربية إليه مخرجا حتى لا يدخل في كلامهم ما ليس منه فقد غيروا الصوت ch ـ الذي لا يوجد له حرف في العربية يعبر عنه ـ إلى القاف أو الكاف وربما

جعلوه جيما [1]. والجيم الخالية من التعطيش أبدلت جيما معطشة أو كافا أو قافا، والباء المهموسة p جعلوها فاء أوباء مجهورة والفاء المجهورة v نطقوها فاء أو باء واوا [2].

وقد يكون تعريب الاسم بتغيير إحدى حركاته التي كانت فيه من اللغة الأجنبية فقد ذكر الجوهري مثلا أن (بَسطام) ليس من أسماء العرب فعربوه (أي بسطام)بكسر الباء [3].

٢- تغيير بناء الكلمة إلى أبنية العربية فمما ألحقوه بالأبنية العربية مما ذكره اللغويون درهم حيث ذكروا أنه ملحق بهجرع ، وقد توسع الفراء في هذا حتى قال يبنى الاسم الفارسي أي بناء كان، إذا لم يخرج عن أبنية العرب[4]، وهذا القول ليس حصرا على اللفظ الفارسي وأنما ذكر الفارسي أنموذجا.

٣- ترك اللفظ الأعجمي على حاله إذا كان موافقا لمنهج العربية في أصواته وترتيبها[5].

وما نخلص إليه هنا أن العربية قبلت الأسماء الأجنبية بعد إخضاعها لطريقتها وأسلوبها في سبك المفردات ، حتى لا تستعصى على اللسان العربي في تراكيبها ، وحتى تتوافق هذه المفردات مع قواعدها الإملائية.

أسس تعريب المصطلحات

إن الذي سلكته العربية سابقا، لا يبعد كثيرا عن المنهج الذي اتبع أو الأسس

(١) انظر فصول في فقه العربية د.رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة ص ٣٦٤

(٢) دراسات في فقه العربية دكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين ط١١ ، ١٩٨٦ ص٣١٩

(٣) الصحاح مادة (بسطم).

(٤) المعرب للجواليقي تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى، ص٩

(٥) فصول في فقه العربية، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة ص ٣٦٤.

التي وضعت في العصور الحديثة لتعريب المصطلحات حسب ما اتفقت عليه المجامع اللغوية، ويمكن حصر هذه الأسس فيما يلي [١]:

١- كل مصطلح علمي جديد وهو من أصل كلاسيكي ويدل على عين من الأعيان يجب تعريبه كالهيدروجين.

٢- كل مصطلح علمي أنشئ جديدا وهو من أصل كلاسيكي، ويدل على تصور علمي خاص يجب تعريبه، وذلك كالإنزيم والأيون والإلكترون.

٣- كل مصطلح يتبين أنه جزء من تصنيف عام يجب تعريبه،كأسماء الأجناس والأنواع في الحيوان والنبات، وسلسلة المواد المتشابهة كيميائيا.

٤- رأى بعضهم أن التعريب أفضل من النحت لقلة نماذج النحت في العربية وخفة المعرب على الأذن .

ورأى آخر ذهب إلى أن تعريب اللفظ الأجنبي وصياغته بصياغة عربية لا ينبغي أن يُلجأ إليها إلا في حالة العجزعن اشتقاق لفظ عربي يدل على المعني الجديد، وقد شنع الشيخ أحمد الإسكندراني على القائلين بالتعريب وعمل جاهدا على تفنيد كل ما اعتمدوا عليه في حديث شهير له مطول نشر في مجلة المنار.

ونشير هنا إلى أن من قواعد التعريب التي يحسن اتباعها في المصطلحات استبدال الحركات بحروف، ولا يكتفى بالشكل في ضبط المصطلحات، فقد يهمل الضبط، ويؤدي إلى الخلط والاختلاف في نطق المصطلح [٢]؛ لذا فإن استخدام الحروف أولى، وأشد ضبطا ، وهذه القاعدة مطبقة في الأسماء عموما، ولكن تطبيقها في المصطلحات أعظم فائدة والعدول عنها أشد ضررا، فنرى مثلا اسم محمد يكتب Mohammed بدلا عن كتابتها، mhmmd فاستبدلت فيه الحركات بحروف.

(١) المجامع العربية وقضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين د وفاء كامل فايد عالم الكتب ٢٠٠٤ص ١٦٤.

(٢) المجامع العربية وقضايا اللغة ١٦٥.

كذلك نشير هنا إلى أن المصطلح المعرب يعامل معاملة الألفاظ العربية وينطبق عليه ما ينطبق عليها، فيجمع ويثنى ويوصف به فيقال في أيون أيونان وأيونات وأيوني .

وحدة المصطلحات الواقع المأمول:

مطبقة لأسس الترجمة والتعريب التي ذكرناها آنفا وبخطى حثيثة، ولتنفيذ خطط أعدت سلفا لخدمة التعليم والترجمة وضع المجمع اللغوي في القاهرة مائة ألف مصطلح، غالبيتها مصطلحات مترجمة، والقليل منها معرب، وأكثر من نصفها من المصطلحات العلمية، تضمنتها عشرة معاجم علمية متخصصة[1] .

كما أُنشئ مكتب تنسيق التعريب بالرباط، في عام ١٩٦١ تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكان يعرف بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، وقد سعى المكتب إلى توحيد المصطلحات في فروع المعرفة جميعها، كما عقد عدة مؤتمرات حول قضية التعريب.

وأسس اتحاد الأطباء العرب لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية سنة ١٩٦٦ لوضع المعجم العربي الموحد، وهذا استشعارا منه لأهمية توحيد المصطلح ولتلافي الاضطرابات، والاختلافات التي حدثت، في ترجمة المصطلحات الطبية .

ونسبة لعظم خطر المصطلحات الطبية، وارتفاع نسبة الخطر في حالة الاختلاف فيها؛ لارتباطها بصحة الإنسان، فقد تبنت منظمة الصحة العالمية معجما موحدا للمصطلحات، وهو معجم متعدد اللغات أصدر اتحاد الأطباء العرب الطبعة الأولى منه في الستينات في بغداد، ثم اعتنت منظمة الصحة العالمية بالطبعة الثالثة منه ١٩٧٣وساهم فيه مجلس وزراء الصحة العرب، والمنظمة العربية للعلوم والتربية والثقافة،واستُرشد في هذا المعجم بآراء

---

(١) من بحث ألقي فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى الدورة ٦٠، المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤هـ، الموافق ٢ من أبريل سنة ١٩٩٤م، مجلة المجمع، العدد (٧٨).

وملاحظات الخبراء والأساتذة في كليات الطب، في البلدان العربية، كما استعانت لجنته بالمصطلحات التي أقرتها مجامع اللغة العربية، وقد تمت طباعته ورقيا، وهو متوافر على أقراص حاسوبية ومتاح على الشبكة ويمكن تحميله من مواقع مختلفة، وطبعة ٢٠٠٦ منه تحتوي على (١٥٠٠٠٠) مصطلح، وهو باللغات العربية والإنجليزية، والفرنسية والألمانية، والإسبانية، والفارسية.

وتجاوز الشعور بخطر ترجمة المصطلحات المنظمات الرسمية إلى المنظمات غير الرسمية فقد أصدرت المنظمة العربية للترجمة[١] نسخة فيها ما يقرب من ٥٥ ألف مصطلح من الفرنسية والإنجليزية والألمانية والعبرية واللاتينية إلى اللغة العربية تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، استشعارا منها لأهمية المصطلح وكونه اللبنة الأساسية التي تقوم عليها الترجمة، وقد كانت هذه المصلحات مستخلصة من ترجمة حوالي مائتي كتاب أشرفت المنظمة على ترجمتها في اثني عشر عاما من سنة ٢٠٠٠ حتى ٢٠١٢ وهي متاحة على الشبكة الدولية للمعلومات في موقع المنظمة، وكان الغرض من ذلك هو تأسيس مرجعية للترجمة فيما يختص بالمصطلحات تبدأ بمصطلحات هذه المنظمة ثم تنطلق نحو توحيد المصطلح في البلاد العربية وإقراره.

وهذا الذي ذكرناه غيض من فيض في مجال الجهود التي بذلت في مجال خدمة المصطلح.

ومن ناحية أخرى ومنذ بداية ترجمة المصطلحات في العصر الحديث وانتشار الكتاب ووسائل الاتصال الحديثة علت الأصوات - ومازالت- تجأر بالشكوى من فوضى في ترجمة المصطلحات، واضطراب في دلالاتها، وتعدد في ألفاظها، رغم كل القواعد التي وضعت، واللجان والمؤسسات التي أنشئت والمؤتمرات التي

---

(١) هي منظمة متخصصة غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة، مقرها بيروت،لها جهود كبيرة في عمليات الترجمة والتعريب الحديثين، توجد مواد وافية ومعلومات عنها في موقعها على الشبكة.

عقدت والبحوث التي قدمت والكتب التي ألفت في مجال ترجمة المصطلحات وتعريبها، ويمكن أن نعرض هنا مثالين لمؤسستين حديثتن في عصرنا:

المثال الأول هو المؤسسة العربية للترجمة حيث ترى في أحدث إصدار لها من المصطلحات أنه وعلى الرغم من تناول أهمية المصطلح ودلالاته اللغوية من الكثيرين من المولعين بالعلم وأصوله، إلا أنها بقيت تدور في رحا الصحف والإذاعات، والمحطات الفضائية والمؤتمرات، الصغيرة والكبيرة،، دون الوصول إلى حل فعلي ودون الالتئام لانجاز مشروع يليق بالأمة العربية وينهض بمتطلبات جهودها ومواكبتها، للعلوم والثقافات الأخرى، الواردة من اللغات العلمية الغربية والشرقية.

وأشارت المنظمة أيضا إلى أنها حرصت على أن تكون لدى المهتم جملة من المصطلحات التي تعينه على الترجمة الصحيحة من جانب، وتحافظ على وحدة المصطلح كي لا يرتبك القارئ بكثرة المصطلحات ودلالتها التي - في بعض السياقات - ربما تصبح خارج المعنى وهذا يسهم في عدم ثبات المعنى المترجم، وقد أشرنا آنفا إلى أن المنظمة بعلمها هذا بينت أنها تريد أن تنطلق نحو توحيد المصطلح.

المثال الثاني ما ذكرته الدكتورة أمل سيف وكيلة معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب في لقاء معها نشر في جريدة الرياض[١]، فقد عزت أسباب ضعف الترجمة والتعريب في العالم العربي إلى غياب تنسيق الجهود وعدم تبنى خطط استراتيجية للسير عليها ، وأن هناك سلبيات تضعف الترجمة ، منها عدم التركيز على الترجمة المنهجة، والاختلاف في المصطلحات العلمية والشرعية في عملية الترجمة.

ورسم بعض الباحثين صورة سوداء لمستقبل العربية في ظل الترجمة والتعريب ورأى أنها باتت تهدد اللغة العربية بدلا عن الارتقاء بها، وتزويد المتكلمين بها بالمعارف والعلوم الحديثة ، وأنها باتت تشكل أزمة معرفيه وأنها رغم عمق

(١) جريدة الرياض ٢٠١٣/١٢/٨.

تاريخها الحديث الذي اختط الطهطاوي أصوله ووضع لبناته الأولى لم تخط الخطوات اللازمة التي تسير بها إلى الأمام [(١)].

إن الواقع المشاهد الآن يعكس اختلافا بشكلٍ ما في ترجمة المصطلحات واختلافها بين المترجمين وأقاليمهم التي ينتمون إليها ودولهم التي يفدون منها، فهناك اختلاف في الترجمة بين المترجمين في العلوم الطبية واللغوية والأدبية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية وبين المترجمين في جنوب شرق آسيا وشمال أفريقيا ومصر والشام، وأحيانا لا نختلف المصطلحات فقط بل تتناقض .

ويمكن تلخيص أبرز أسباب اختلاف ترجمة المصطلحات وآفاتها في الآتي:

١ - تعدد واضعي المصطلح ومترجميه، ورؤاهم، وثقافاتهم، وبيئاتهم، واتجاهاتهم ومناهلهم المعرفية .

٢ - غياب التنسيق أو ضعفه بين اللغويين والباحثين في المجالات المختلفة، له دوركبير في اختلاف الترجمة.

٣ - لغة المترجم المعماة التي تغلب عليها العجمة،والتراكيب الغريبة وهذا في في حالة ترجمة متكلمين بلغات أخرى إلى العربية .

٤ - اختلاف الأوربيين أنفسهم بشأن المصطلح أحيانا، وهذا يؤدي إلى اختلاف الترجمة بالطبع .

٥ - الاشتراك اللفظي المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة.

٦ - كثرة المترادفات في اللغة العربية تؤدي أحيانا إلى ترجمة المصطلح بأكثر من لفظة وفقا للأمزجة .

---

(١) حركة الترجمة والنقل درس تاريخي مقال على الشبكة، يوسف زيدان، موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات .

٧ – استعمال اللفظ المترجم إلى جانب اللفظ المعرب عن اللغة الأجنبية.

٨ – النزعة الفردية في الترجمة إلى العربية دون اللجوء إلى المؤسسات.

٩ – ترجمة غير العرب لمصطلحات بلدانهم ومنتجاتها دون الرجوع إلى المراجع العلمية ودون استعانة بأولى الخبرة اللغوية من العرب.

١٠ – تأثر بعض المترجمين بالاتجاه الأوربي الأنجلو ساكسوني وهذا في المشرق خاصة وتأثر آخرين بالاتجاه الفرانكفوني وهذا في المغرب العربي وبخاصة في الدول التي خضعت للاستعمار الفرنسي.

١١ – تمايز البيئة المعرفية الأولى التي ولد فيها المصطلح، واللغة الأصلية التي اكتنفته.

١٢ – استعمال لغة وسيطة عند بعض المترجمين، واعتماد آخرين على اللغة الأصل، سبب من أسباب الاختلاف في الترجمة لاختلاف المصدر .

١٣ – ضعف الآليات التي يعتمد عليها في نشر المصطلحات وتعميمها في حالة اعتمادها من قبل المجامع اللغوية والمؤسسات.

آثار اختلاف ترجمة المصطلح.

إن الاختلاف في ترجمة المصطلحات له آثاره السالبة في جميع فروع المعرفة، وهو في بعضها أشد ضررا من بعضها الآخر فقد عزا مثلا بعض النقاد أزمة الخطاب النقدي المعاصرة إلى الاضطراب في ترجمة المصطلح ويجعلها سببا لذلك، وشاع في المنتديات الأدبية اتهام بعض الأدباء لآخرين بالإغراب في استعمال المصطلح وهو ناتج غالبا عن الاختلاف في ترجمة المصطلح.

كما أن الاختلاف في المصطلح يؤدي إلى اضطراب المتلقى، وحيرة فكره وخروج المصطلحات عن معنى اللفظ وابتعاده عنه يسهم بصورةٍ ما في عدم

ثبات المعنى المترجم وتعميته ومن ثم عدم الاستفادة المثلى منه، وصعوبة استقراره في الأذهان.

وتعدد المصطلحات واختلاف أبنيتها يؤدي إلى التشظي العلمي وتشظي الأمة ذات اللغة الواحدة، كما يؤدي إلى تعدد صورها بين المستعملين باختلاف الزمان والمكان.

والأسوأ الذي يمكن أن يصل إليه استعجام المصطلح المترجم هو أن يودَّ القارئ لو أنه اطلع على النص المترجم بلغته الأصلية .

ومن ناحية أخرى فإن ملاءمة المصطلح هي التي تضمن خلوده واستقراره كما أن قيمة المصطلح لا تتحقق دون توحده ، وعدم شيوعه يجعل مداه ضيقا محصورا أشبه باللغة الخاصة، ويسهل على الباحثين والمترجمين مهماتهم ويوفر لهم الوقت والجهد ويحمل عنهم العنت والمشقة ، فينطلقون من منهج واحد.

مظاهر الاختلاف في ترجمة المصطلحات:

من أمثلة الاختلاف في الترجمة بسبب استعمار الدول العربية سواء أكانت تحت الاستعمار البريطاني أم الفرنسي ترجمة mangment

فقد ترجمت في المشرق إلى الإدارة، وترجمت في دول المغرب العربي إلى (التسيير). governance

ترجم إلى الحكم الرشيد في المشرق، وترجم في دول المغرب العربي إلى الحوكمة.

ومن أمثلة الذاتية والاجتهاد في الترجمة من قبل مترجمين غير فأتت مصطبغة بالعجمة، وعدم الانسجام مع المعنى ترجمة، مصطلح يدل على النساء الكوريات اللائي تم توزيعهن على أفراد الجيش الياباني لخدمتهم بـ» نساء الترفيه العسكري «، وهذه الترجمة كما نرى لا توافق شيئا من مصطلحات الرق والاستعباد في العربية، بل كما أشرنا فإن أثر العجمة فيها ظاهر.

والنساء اللائي خرجن للعمل في مجال الاستثمار وكسبن كثيرا من المال وكانت أعمارهن في حدود الأربعين أطلق عليهن « الآنسات الذهبيات » وهذا لا علاقة له بدلالة التركيب في العربية، بل هو اجتهاد شخصي في ترجمة حرفية.

وقد تم تعريب كثير من الألفاظ المحلية هناك، وفق طريقة تعريب المترجمين المحليين غير الناطقين بالعربية أو وفق تعريب مترجمين غير متخصصين في العربية أو متخصصين، ولكن دون هيئات أو اسشارية تضمن الاتفاق وتسبر أغوار اللغة من أجل التوصل إلى لفظة صحيحة [(١)].

فمما تم تعريبه هناك مثلا كلمة الكيمتشي التي تكتب بالتاء أحيانا ومن غير تاء أحيانا أخرى، فنجد بعضهم يكتبها بالتاء وآخرين يكتبونها من غير تاء بالشين فقط الكيمشي، وهكذا كل الألفاظ التي تشابهها في وجود الحرف .(CH)

ومن المصطلحات الأدبية التي حدث اختلاف وخلل في ترجمتها منذ عصر مبكر التراجيديا والكوميديا، فقد ترجمهما بشر بن متى، في كتاب فن الشعر لأرسطو إلى المديح والهجاء، ثم تبين لاحقا خطأ هذه الترجمة،وترجمت الكوميديا إلى الملهاة والتراجيديا إلى المأساة، وحديثا صاغ النقاد لمقابلة مصطلح مثل سيمياء، مصطلحات كثيرة مقابلة: مثل علم الأعراض والأعراضية، وعلم العلامات، والعلامية.

والحال نفسه ينطبق على مصطلح البنيوية، ترجمة لمصطلح Structuralisme فصاغوا في مقابله مصطلحات بنائية وبنيوية بالضم وبالكسر، pietique ومصطلح قابلوه بمصطلحات متعددة، مثل إنشائية وهيكلية،وراج مصطلح الهيكلية في المغرب العربي تحت **اسم البنيوية.**

---

(١) هذا ما لاحظته أثناء عملي مراجعا لغويا ومحررا في النسخة العربية في مجلة كوريانا التي تصدرها مؤسسة كوريا فاونديشن بخمس لغات العربية واحدة منها.

ونشير هنا إلى أن بعض هذه المصطلحات اتسمت بالذاتية ولم تقترب من تشكيل خطاب علمي ممنهج متفق عليه.

كما أن مصطلح سيميولوجيا استعمل مرادفا للبوطيقيا أي علم الإشارة الدالة، وقد اشتمل اللفظ على التقاء الساكنين، الذي تنفر منه العربية، وكتبت الكلمة بإسقاط الألف الزائدة والتعويض عنها بتاء زائدة أحيانا، وهكذا فقد ترجم إلى (سِمّيولجّيا-سيولوجيا-سيميوطيقيا).

أما في مجال اللغة فإن مصطلح linguistic تقابله في اللغة العربية مصطلحات متعددة مثل: علم اللسانيات علم الألسن علم الألسنية، علم اللغة، علم اللغويات الحديثة.

ومن المصطلحات الطبية التي حدث اختلاف في ترجمتها، ودُعي فيها إلى نبذ الاختلاف وتبني مصطلح واحد والاتفاق على استعماله لفظة Depression فقد ترجمت إلى الضيق والاكتئاب، ورأى بعضهم أن تترجم إلى الاكتبات

الذي يعني الامتلاء غما. وترجمت عبارة sporadic cases إلى الحالات المنتشرة ورأى بعض المتخصصين في هذا المجال أنه عكس المعنى المراد، والأولى أن تترجم إلى الحالات المتفرقة أي القليلة والترجمة الأولى تعني أنها كثيرة.

وترجمة hare lip إلى العُلمة ورأى بعضهم أن ترجمتها إلى الشفة الأرنبية أولى للتم مقابلة كلمتين بكلمتين.

وهناك اضطراب شديد في مصطلحي brain وmind في مجال التعليم المرتبط بالطب ففي حين يستعمل بعضهم brain التي تترجم إلى الدماغ يستعمل آخرون mind التي تترجم إلى العقل وجمع بعضهم بين اللفظتين ؛ لاستخدام الغربيين للفظين معا، وبعضهم استخدم الدماغ وحدها وبعضهم كلمة العقل وحدها والأسماء الثلاثة تطلق هنا على شيء واحد.

ولايبعد عن هذا اختلافهم في mind map وmind mapping فقد ترجمت الأولى إلى الخرائط الذهنية والثانية إلى خرائط العقل، وقد تستخدم أحينا عبارة خرائط الأعصاب،والعبارات الثلاث تدل على مسمى واحد، وفي دورة تدريبة في جامعة القصيم ذكر المدرب أن السبب في هذا الاضطراب هو اختلاف الترجمة.

ومصطلح genetic modification ترجم إلى الهندسة الوراثية والتعديل الوراثي، والتهجين، والتلاعب الجيني.

ومن الاختلاف في المصطلح بين التعريب والترجمة في الدراسات الاجتماعية مصطلح ethnic الذي ترجم إلى عرقي، ولكن اللفظتين تستعملان معا، ولكن الذي يلاحظ أن استعمال إثني في وسائل الإعلام العربية أكثر ونشير هنا إلى أن race ترجمت إلى عرق أيضا، وإثني تعني أقلية مختلفة في العرق والثقافة وسط عرق وثقافة أكبر، ولهذا فإن ترجمة عرق لا تدل على المعنى المراد تماما .

ومن نماذج ما ذكرناه سابقا من كون اختلاف المصطلحات قد يكون من المصدر، ما ورد في كتاب المبادئ الاثني عشر للتعلم المستند على الدماغ حيث ذكر المؤلفان أن بعض من كتبوا في هذا الموضوع استعملوا مصطلح Low rood أي الطريق الأدنى،

وبعضهم downshfting أي الانتقال الأدنى.

وبعضهم reflex brain أي الدماغ الانعكاسي، واشار مؤلفا الكتاب إلى أنهما سوف يستعملان مصطلحات الانتقال الأدنى، والطريق الأدنى، وانعكاسي، والاستجابة البقائية، على التبادل وهي تشير جميعا إلى الظاهرة نفسها [1].

١ تفعيل المبادئ الاثني عشر لتعلم الدماغ (العقل) تنمية الوظائف التنفيذية للدماغ البشري تأليف رينيت نوميلا كاين وآخرين،ترجمة دهشام محمد سلامة - منشورات جامعة القصيم٢٠١٤ ص ٨٢.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مؤلفي الكتاب باللغة الإنجليزية أشارا في مقدمته إلى أن القارئ سيجد في الكتاب كثيرا من المصطلحات الجديدة غير الشائعة ولهذا حرصا على وضع فهرسة للمصطلحات في ذيل كل فصل من الفصول.

ولابد من الإشارة إلى أن بعض المصطلحات الأجنبية هي ألفاظ عربية تم تحويرها أو التغيير فيها، ولما عادت إلى العربية عادت بمسمياتها الأجنبية وترجمت ترجمة جديدة دون أخذ أصلها الأول في الحسبان مثل كلمة Sèmiotique، sèmeiologie، sèmiologie

(علم العلامات) وذكروا أنها مصطلحات فرنسية مشتقة من الأصل اليوناني (سامايون) ومعناه العلامة، ولكن النظر في العربية يكشف أن أصل الكلمة مادة (سمو) ومنها اسم التي تعني الإشارة أو الرمز، وهو استعمال شائع في النحو العربي وفي اللغة كما شاع علم السيمياء قديما باسم الإشارة أو الرمز أو علم الحرف فكان الأولى أن يجانس بين المصطلح الأجنبي وأصله العربي.

ومثال على ما سبق في الطب البيطري فقد ترجموا مصطلح Ileus من الإنجليزية إلى علّوص و (انفتال) مع أن الكلمة هي علّوص العربية نفسها، وقد تحورت في الإنجليزية.

ومثل هذا طبق أيضا مع كلمة foal الإنجليزية بمعنى مهر وفي الحقيقة هي كلمة (فلو) العربية نفسها[1].

ومن الترجمات المحيرة التي شاعت في هذا العصر ترجمة depleted uranum

(١) الأطلس الملون لأمراض واضطرابات المهر / تأليف سيوبهان مكاوليفي وآخر، ترجمة أ.د فهد السبيل منشورات جامعة القصيم،وعنوان الكتاب هو بالإنجليزية هو: Color Atlas of Diseases and Disorders of the Foal

فكلمة فول التي هي فلو ترجمت إلى مهر وكلا اللفظين عربي وعلوص الإنجليزية (انفتال)وردت فيه في ملحق المصطلحات ص ٨٦٩.

حيث تمت ترجمتها إلى اليورانيوم المنضب" ثم اليورانيوم المستنفذ ثم اليورانيوم المخصب ثم اليورانيوم عالي التخصيب، كل هذه الألفاظ استعملت في وسائل الإعلام العربية لترجمة لفظة واحدة هي كلمة depleted المركبة مع يورانيوم.

واختلف في ترجمة:semiconductur فترجمت إلى أشباه الموصلات، وترجمها بعضهم إلى نصف ناقل.

الجمع بين الترجمة والتعريب:

كما ذكرنا من قبل فإن كثيرا من النماذج حدث الاختلاف فيها بسبب الجمع بين الترجمة والتعريب نذكر منها الأمثلة الآتية:

تستعمل كلمة ديموغرافيا المعربة من كلمة demographically أكثر من اللفظة العربية علم السكان أو التركيبة السكانية.

وتستعمل كلمة الديموقراطية المعربة من democracy إلى جانب الترجمة العربية (الحرية) بل ما زالت أكثر شيوعا منها وأوضح دلالة.

وفي مجال التكنولوجيا المعاصرة فإن كلمة الانترنت المعربة من Internet استعملت مع كلمة الشبكة الدولية للمعلومات وأحيانا الشبكة وأحيانا (النت).

كلمة التقانة استعملت مع كلمة التكنولوجيا، في جمع بين التعريب والرد إلى الأصل الذي يعود إلى أتقن.

كلمة (ديجيتال) استعملت إلى جوار كلمة رقمي المترجمة.

وبعض المخترعات رغم قدم تاريخها، وشيوع استعمالها إلا أن أسماءها مازالت تتأرجح بين التعريب والترجمة، أشهرها كومبيوتر الذي استعمل له الحاسب، والحاسب الآلي، والحاسوب، والحاسب المحمول يقال له الكومبيوتر المحمول، واللابتوب، والحاسب المحمول. والهاتف مازال اسمه الأول الأجنبي

(تلفون) متداولا على نطاق واسع بل يشتق منه أحيانا فيقال تلفن يتلفن وتلفنني بمعنى كلمني على الهاتف. ولكن أن الملاحظ أن الانتقال بدا تدريجيا وسلسلا في استبدال التلفون بالهاتف رغم أن التلفون كانت في الماضي أكثر شيوعا – والبريد الذي عرف في صورته الحديثة باسم البوستة من اللغة الإنجليزية مازال الاسم الأعجمي مستعملا فيه في كثير من الدول العربية .

والموبايل mobile رغم انتشار استعماله، وعموم البلوى به، ولكن اسمه متعدد مشترك ففي بعض الأوساط يستعمل اسمه الأجنبي موبايل وأحيانا جوال، ومحمول، ومتنقل وهذه الأخيرة ترجمة مباشرة للفظ.

وفي مجال التعليم تغلبت كلمة سيمنار Seminar على حلقة نقاش أو حلقة دراسية وشاع استعمالها على نطاق واسع بل إن ترجمتها لا تكاد تستعمل ويجعلها كثير من العاملين في هذا الحقل .

وكلمة بروجكتر هي الشائعة لأجهزة العرض التوضيحية التي يعرض عليها، وليس هناك لفظ أشد شيوعا منه .

والكلندر شائع على نطاق واسع في إطلاقه على مفكرات التقويم.

وبعض ألفاظ المخترعات استقرت في العربية ويكاد ينسى أصلها وتلاشى الجدل حول ترجمتها بعد أن كان محتدما، فعربتها الألسن وضربت بأطنابها في العربية، أشهرها كلمة تلفاز وتلفزيون، التي اشتق منها المضارع والماضي والأمر، واسم الفاعل، واسم واسم المفعول، وليس بعيدا منها كلمة راديو في استقرارها لا الاشتقاق منها .

وفي المقابل فإن بعض نماذج التعريب لا يمكن قبول اللسان العربي لها بحال لثقلها عليه، وطولها وغرابتها وصعوبة الجمع بين أصواتها في العربية مثل

(الهرمينوطيقي، والفينومينولوجيا) اللتين عربهما بعض المترجمين [1] وأرى أنهما مثال على التعريب غير الموفق.

ومما يحسن الإشارة إليه هنا أن كثيرا من المصطلحات الرياضية وبخاصة كرة القدم الأجنبية تمت ترجمتها ترجمة جيدة وشاعت بين الناس فاستعملت فيها ألفاظ عربية مترجمة مثل هدف بدلا عن goal وركن بدلا عن corner وظهير أيمن وظهير أيسر غيرها ورغم كل هذا فإن واقع الحال على الأقل – في بلادنا السودان – يعكس أن ترجمة مصطلحات الكرة الطائرة أشد بطئا.

وبعض الألفاظ والأسماء الأعجمية بقيت في العربية حينا من الزمن ثم تلاشت تلقائيا واستطاب الوجدان العربي ألفاظا تنتمي إلى صميم العربية مثل أجزخانة التي استبدلت بصيدلية الأقرب إلى الأسلوب العربي وشفاخانة التي استبدلت بالوحدة الصحية .

وفي ختام هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم ما توصلت إليه من نتائج فيما يأتي:

- أن العربية دخلت منذ نشأتها في تحديات مع لغات أخرى ترجمة وتعريبا، وأن المترجمين اجتهدوا منذ صدر الإسلام الأول، في ترجمة المعارف إلى العربية وعربوا ما لم يجدوا له ألفاظا ملائمة لترجمته ، أو سهل على منظومتهم الصوتية بعد صقله بأساليبهم الخاصة.
- إن العرب في القرنين التاسعة عشر والعشرين انتبهوا إلى أهمية الترجمة والتعريب من اللغات الأخرى، وأنهم كانوا يسيرون في هذين الطريقين لاكتساب معارف اللغات الأخرى دون مساس بجوهر اللغة وأصولها.

---

١ ورد المصطلحان في كتاب المنعرج الهرمينوطيقى للفينومينولوجيا تأليف جان غراندان، ترجمة وتحقيق عمر مهيبل، الناشر الدار العربية للعلوم، وقد أثار المصطلحان الواردان في عنوان جدلا وصارا مدعاة للتندر لطولهما، وغرابتهما.

- نشأة المجامع العربية جاءت في إطار الحفاظ على اللغة، ووضع منهج لتوحيد المصطلحات ترجمة وتعريبا، وقد بذل علماء الأمة جهودا حثيثة - ومازالوا - من أجل اكتساب المعارف، من اللغات الأجنبية، مع الحفاظ على اللغة وكثير من البحوث والمؤتمرات كانت مخلصة وجادة في تحقيق هدف واضح هو الحفاظ على العربية من الانجراف والذوبان داخل اللغات الأخرى، أو استعجامها على أبنائها

- إن كثيرا من تلك الجهود التي بذلت كللت بالنجاح من خلال تعريب التعليم في الكليات العلمية في العالم العربي بعد أن كانت اللغات المعتمدة في تدريسها لغات أجنبية، ودل هذا على أن العربية أثبتت كفاءتها في ريادة هذه الميادين تشهد بذلك كثرة المصطلحات التي وضعت في العربية في التخصصات المختلفة ثم شاعت واستقرت.

- إن كثرة المصطلحات العربية في مقابلة المصطلح الأجنبي ليس سببها عجزا في اللغة العربية، أو قصورا، وإنما سببها واحد من الأسباب التي ذكرنا في في ثنايا البحث أنها تؤدي إلى اختلاف ترجمة المصطلح - وليس من ضمنها عجز العربية أو قصورها.

- إن من أشد الآفات التي تفتك بترجمة المصطلح الذاتية في ترجمته، ولا سيما إذا كانت هذه الذاتية في الترجمة آتية من مترجم ليس لسانه العربية أو اعتمد على غير أولي الخبرة والاختصاص في ترجمته إلى العربية.

- إن المصطلحات الجديدة لا تشكل عبئا على العربية وحدها بل فيها عبء على جميع اللغات وكثير من اللغات تقبل المصطلحات كما هي، أما العربية فلارتباطها الديني والتاريخي لا تستطيع فتح هذا الباب على مصراعيه،والفرنسيون الذين كانوا أشد تعصبا للغتهم أصبحوا يقبلون المصطلحات الأجنبية فيها بعد أن أصبحت كالسيل الجارف المتدفق من جميع الأركان والجهات.

- العربية لها نفور من اللفظة الأعجمية التي لا تنسجم مع منظومتها الصوتية وكثير من الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية واستقرت فيها رفضتها العربية بعد حين ومجها الذوق العربي ثم ترجمت.

- إن المعجم الطبي الذي تبنته منظمة الصحة العالية واعتمدته في الترجمة خطوة جادة في مجال توحيد المصطلح وسيصبح أكثر كفاءة إذا فُعّلت آلية عدم قبول أي ترجمة لمصطلح معرب أو مترجم مختلف عما ورد فيه ، وبوجوده في الشبكة فهو متاح للجميع، مع سهولة في البحث والتعامل، وهذا يشي أيضا بأن تجربة هذا المعجم يمكن تعميمها في مجالات المعرفة عبر اللجان التي تتبع لمجامع اللغة العربية في البلاد العربية.

- بالرغم من الانفجار المعرفي الذي تصعب مجاراته وتستعصي على الحصر والمتابعة إلا أن الاتصالات الحديثة تشكل أيضا رافدا أكبر وداعما للتوحد في استعمال المصطلحات.

- إن دخول مصطلح أجنبيّ ما في العربية أو لفظة لا يعني خلوده فيها، بل قد يُترجم لاحقا، فالمصطلحات تحتاج إلى بعض الوقت لتستقر دلالاتها في الأذهان، ومن ثم تترجم ترجمة دقيقة ، وذلك لأن دخولها ودخول معانيها يشكل صدمة في البداية للغة والمتكلمين بها، ثم إذا استفاقت واستفاقوا تُرجم المصطلح أيا كانت دلالته.

- بعض أشكال التعريب ينفر منها الإملاء واللسان العربي وقد تكون محرجة في النطق، لأولى التخصص وهي لغيرهم أشد إحراجا ومثل هذه الألفاظ يجب أن يسلك نهج آخر في تعريبها أو تترجم بأقرب العبارات إليها.

- إن وضع آليات واقعية عملية قابلة للتنفيذ سريعة وسهلة لتعـــميم المصطلحات المترجمة أو المعربة هو الضامن الأقوى لتوحيد المصطلح وتوحيد الناطقين بالعربية حوله، فالاجتماع والتفرق من أجل وضع المصطلحات دون نشرها في الدول العربية سيكون عملا قليل الفائدة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

١ - أحمد ابن فارس / مقايس اللغة تحقيق عبد السلام هارون.

٢ - إسماعيل بن حماد الجوهري / الصحاح في اللغة الجوهري مادة ت/ محمد محمد تامر دار الحديث القاهرة ٢٠٠٩ .

٣ - جان غراندان / المنعرج الهرمينوطيقى للفينومينولوجيا ، ترجمة وتحقيق عمر مهيبل، الناشر الدار العربية للعلوم.

٤ - الجواليقي أبي منصور : المعرب، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى.

٥ - رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦ - رينيت نوميلا كاين وآخرون / تفعيل المبادئ الاثني عشر لتعلم الدماغ (العقل) تنمية الوظائف التنفيذية للدماغ البشري تأليف،ترجمة د-هشام محمد سلامة منشورات جامعة القصيم٢٠١٤.

٧ - سيوبهان مكاوليفي وآخر / الأطلس الملون لأمراض واضطرابات المهر، ترجمة أ.د فهد السبيل وآخر، منشورات جامعة القصيم ٢٠١٤.

٨ - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين ط١١، ١٩٨٦.

٩ - محمد بن مكرم ابن منظور / لسان العرب،دار صادر ٢٠٠٣ .

١٠ - وفاء كامل فايد،المجامع العربية وقضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين عالم الكتب ٢٠٠٤.

الدوريات واليوميات ومواقع الشبكة

١ - أحمد الإسكندراني مجلة المنار العدد ١٠ ص ٨٨٧.

٢ - أمل سيف / جريدة الرياض ٢٠١٣/١٢/٨.

٣ - حسناء القنيعر كرسي بحث صحيفة الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة على الشبكة، محاضرة بعنوان بين المصطلح والتعبير الاصطلاحي.

٤ - الروبي أبوشادي - ملاحظات على حركة الترجمة وتعريب الطب من حنين بن إسحاق إلى كلوت بك إلى الحاضر / مجلة مجمع اللغة العربية.

٥ - محمد حسن عبد العزيز / جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تعريب المصطلح العلمي - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٦ - يوسف زيدان / حركة الترجمة والنقل درس تاريخي ، موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات على الشبكة.

نعوت البلاغة - دراسة في المصطلح[(١)]*

د. إبراهيم عبدالعزيز زيد
أستاذ البلاغة والنقد المشارك
بجامعتي القصيم وقناة
السويس

(١)

أقامت البلاغة لنفسها صرحًا مشيدًا، امتدّ زمانيًّا ليضرب بأطنابه – في حدود ما وصل إلينا – إلى القرن السابع قبل الميلاد، واتسع مكانيًا باتساع آفاق الأرض، وقد أطلّ هذا الصرح على ما حوله من معارف، وألقى بظلاله على هذه المعارف ليشكّلها، ويتشكّل بها أيضاً، عندما تحاول هذه المعارف أن تتطاول في البنيان.

وهو ما أدى – وفقًا لهذا الاتساع الزماني والمكاني، والتداخل المعرفي – إلى وجود بلاغات متعددة لا بلاغة واحدة، وأن تكون هذه البلاغات في سياقاتها المختلفة متجاورة أحيانا، ومتجاوزة أحيانًا أخرى لما قبلها، والتجاور والتجاوز لا يعنيان بالضرورة التناقض بل التطور، والبلاغة بوصفها علمًا حقّ لها أن تتطور كغيرها من العلوم، وتطورها علامة صحّة ، ودليل حيوية، ومن صحته وحيويته تغير مجال العمل الذي تبحث فيه، وتبعه تغير في الأدوات الإجرائية الكاشفة عن هذا المجال، وهي في مراحل تطورها لا تعيش منعزلة عن غيرها من العلوم والمعارف، بل شكّلت مع هذه العلوم والمعارف سياقًا معرفيًا للزمان والمكان اللذين مارست فيهما العمل، وكوّنت بحكم هذه السياقات المعرفية المتعددة

---

(١) *الباحث مدين بالشكر والتقدير لأساتذة وزملاء أعزاء، وفروا – مشكورين – كثيرًا من مراجع هذه الدراسة، وهم: أ.د إبراهيم البطشان، أ.د. إبراهيم التركي، أ. حمود العصيلي.

تاريخًا، وهو تاريخ ينمّ عن طموح وصلت فيه البلاغة قمة مجدها، إذ كوّنت إمبراطورية لها، وفي الوقت نفسه يكشف هذا التاريخ عن انحسار هذه البلاغة حتى وصل الأمر إلى المطالبة بدفن هذا العلم الميت أو المحتضر عند كثير من المتفائلين، والبلاغة في كل أحوالها ليست أصلا واحدا، لكن الحكم بالتعميم قال به البلاغيون المعاصرون.

في ضوء ما سبق،كان بدهيًّا أن يتطور مفهوم البلاغة تطورًا كبيرًا، إذ قد يتسع باتساع طموحه، أو ينحسر، ويقبع في زاوية ضيقة، وهو في هذا وذاك، لا ينشأ من فراغ، إنّما تشكله بيئات ثقافية متنوعة، تسعى لتحديد مدلوله وفقاً لمعارفها التي تنطلق منها، والانتقال من المفهوم إلى المصطلح؛ أعني من تحديد البلاغة بوصفها مصطلحًا له حدود ليس بالأمر اليسير، قد يتيسر في أحايين كثيرة تحديد هذا المصطلح في كتابة من أوجده، وتحديد دلالته، لكن هذا الاصطلاح قد يصعب تحديده في سياق النقاد الذين استعملوه، وتحديد دلالاته قد يكشف عن هوّة عميقة.

وإذا كانت هذه الدراسة لم نفارق المصطلح المركزي الأم «البلاغة»، فيمكن تصور كمّ المصطلحات التي تندرج في البلاغة، وما قد يصيبها من اهتزاز بتنوع دلالات المصطلح المركزي، بل وصل الأمر إلى اختزال البلاغة، وتبديل مواقع الأصل والفروع، والعلاقة بين البلاغة والاستعارة شاهد ودليل. و في الوقت ذاته ارتبطت البلاغة بكثير من النعوت، عملت هذه النعوت أيضًا على تعدد مناحي فهم هذه البلاغة.

فقد صاحب البلاغة/ المصطلح مجموعة كبيرة من النعوت، أغلبها ينتمي إلى مجال يكتسب قيمته من اقترانه بالمنعوت على نحو: البلاغة (الواضحة)، البلاغة (الوافية)، البلاغة (الكاشفة)، البلاغة (العالية)، فمثل هذه النعوت

تعمل بمعزل عن العالم الخارجي الذي تدل عليه البلاغة، وتتخذ حكما قيميا. وتستعمل مثل هذه النعوت المصاحبة للبلاغة - عادة - في أغراض تعليمية، والوضوح والكشف والوفاء والارتقاء كلها صفات لا تضع حدودا للمصطلح، أو تميزه عن غيره، إنّما تعمل على إزالة اللبس والغموض فيما يطرحه هو، من ثمّ لا تشكل هذه النعوت جزءا من المصطلح إذ يمكن الاستعاضة عنها دون أن يتغير فهمنا للمنعوت البلاغة.

وهناك نعوت أخرى تتشكّل عضويا مع البلاغة /المنعوت؛ لتعزز طبيعة المصطلح بوصفه حاملاً «لمعرفة متخصصة؛ أي إنها تنتمي إلى مجال محدد من مجالات المعرفة، أو بتعبير آخر إلى لغة متخصصة، وترتبط ارتباطًا عضويًّا بمكونات المجال المعرفي الذي تنتمي إليه»[(١)]، على نحو: البلاغة (القديمة)، البلاغة (الحديثة)،البلاغة (الجديدة)، البلاغة (المعاصرة)، البلاغة (العامّة)، البلاغة (المعممّة)، فهذه النعوت تطل على العالم الخارجي الذي أنتج هذه البلاغة، كاشفة عن المجال الذي تعمل فيه البلاغة، ويتغير فهمنا للمنعوت البلاغة بناء عليها، ومن ثمّ فإن الوظائف المنوطة بالبلاغة قد تتغير؛ أي إنها تسعى لتقييد مصطلح البلاغة، وتضع له حدًا، وهو ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه.

وهو ما يدعونا إلى طرح مجموعة من التساؤلات:

- **ما السياق المعرفي الذي ظهرت فيه هذه النعوت؟**

- **هل تكشف فيما بينها عن دلالات تواصل أم انفصال؟**

- **ما مقدار ائتلافها أو اختلافها بين من أوجدوها ومن استعملوها؟**

---

(١) ماري - كلود لوم، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة د. ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٢م. ص١٨ مقدمة المترجمة

(٢)

تقتضي الإجابة عن هذه التساؤلات، وما يمكن أن يتفرع منها من أسئلة، الإشارة إلى **ملاحظات** أساسية:

الأولى: - أن هذه النعوت - في أغلبها - ترتبط بالبعد الزمني، فهي: قديمة وحديثة وجديدة ومعاصرة، وهو ما يحقق للبلاغة سيرورتها وحيويتها المشار إليها سابقًا. لكن هل هذه السيرورة تعني بالضرورة التواصل مع البعد التاريخي التراكمي أم أنها تمارس فعلا إقصائيا؟

الثانية: - أن هذه النعوت ظهرت في سياق مراجعة المنجز المعرفي للبلاغة؛ أي إنها ظهرت من منظور الحاضر المتطلع إلى الإنجاز، وليس الماضي المنجز، وهو ما يعني أن كل قراءة - في هذا السياق- تهدف بالضرورة إلى تلبية احتياجات الحاضر.

الثالثة: - أن هذه الدراسة تضع في اعتبارها البلاغة العربية بوصفها متأثرة بالبلاغة اليونانية القديمة من جهة، وبالاتجاهات البلاغية المعاصرة من جهة أخرى. وهو ما يطرح تساؤلا يحتاج إلى إجابة: أين هذه البلاغات من البلاغة العربية؟ فالذين يصفون البلاغة بكل هذه الأوصاف هم عرب، وليسوا غير ذلك، ومواقفهم من البلاغة العربية متباينة. هل يمكن للبلاغة العربية أن تتصل بآفاق الدرس المعاصر؟ أم أنها منجز تاريخي فقد دوره في نظرهم فانطلقوا واعين أو غير واعين إلى هذه النعوت التي تمثل موقفهم من المنجز العربي؟. ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات قبل رصد هذه النعوت وتحديد مدلولاتها، وتحديدها لا يتم بعزل البلاغة العربية عن غيرها من البلاغات؛ أي إننا نفترض علاقات التأثير والتأثر بين المنجز الغربي وما يترتب عليه من مواقف لدارسي البلاغة العربية.

بناء على ذلك فإن رؤيتنا لهذه النعوت يجب ألا تفارق هذا السياق، وهو سياق مشغول بالسؤال عمّا كان، حتى يتمكن من رؤية ما هو كائن ، وما يجب أن يكون، وهو سؤال تتعدد طرائقه؛ لأن المشتغلين به ينتمون إلى اهتمامات معرفية متعددة،

على نحو ما يمكن التمثيل بـما طرحه كل من آ. ريتشاردز في **فلسفة البلاغة** (١٩٣٦م)، بيرلمان وتيتكاه في كتابهما المعنون بـ « **مصنف في الحجاج - البلاغة الجديدة** » (١٩٥٨م)، رولان بارت في كتابه **قراءة جديدة للبلاغة القديمة** (١٩٦٤-١٩٦٥م)، جيرار جنت في دراسته عن **البلاغة المقيدة/المختزلة** (١٩٧٠م)، بول ريكور في دراسته عن **البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا** (١٩٧٠م)، ومجموعة MU في دراستهم **البلاغة العامة** (١٩٧٠م)، هنريت بليت في دراسته عن **البلاغة والأسلوبية** (١٩٨١م)، أوليفي روبول في **مدخل إلى البلاغة** ١٩٩١م.

وقد طرح هؤلاء كما يتضح من عناوين أعمالهم مجموعة من النعوت بوصفها جزءا من المصطلح، كما سبقت الإشارة إليها سابقا، وسنناقش في هذه الدراسة مجموعة من هذه النعوت، وهي: البلاغة الجديدة، البلاغة القديمة، البلاغة المختزلة، البلاغة العامة.

والتساؤل الآن:

كيف ناقش هؤلاء مصطلح البلاغة الجديدة؟وما الحدود التي يمكن أن تندرج في هذا المصطلح؟

أقرّ دارسو البلاغة أن مصطلح البلاغة الجديدة [(١)] ظهر لأول مرة مع كتاب

(١) نؤكد أننا معنيون بالنعت المصاحب للبلاغة بوصفه مصطلحا يرسم حدودا، ويحدد مجال عمل؛ لأن عبارة البلاغة الجديدة وردت في سياقات أخرى قبل بيرلمان، على نحو ما نجده عند سلامة موسى في كتابه البلاغة العصرية (لاحظ دلالة العصرية وارتباطها بالبعد الزمني أيضا)، يقول: يجب أن نشرح غايتنا من البلاغة الجديدة: ١- فهي قبل كل شيء، التفكير المنطقي السديد، الذي يؤمن فيه الخطأ. ٢- تحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات. ٣- أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتحريك التوجيهي. ٤- أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتحريك الاجتماعي.

سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، ط٣، ١٩٦٤م. ص١٠٦

أما فيما يتعلق بريادة بيرلمان للمصطلح يمكن مراجعة:

صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، منشورات دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٤م. ص٩٥.

محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠٠٨م. ص١٠١-١٣٣

بيرلمان وتيتكاه، ووصفت هذه الدراسة بأنها ثورة معرفية كبرى في القرن العشرين انتقلت بها البلاغة إلى أوج عظمتها، واعتلى صاحبها مكانا عليًّا بين أفذاذ البلاغيين «فلأول مرة يقترح بلاغي توريط البلاغة في شراك تحليل أجناس من الخطاب لم تكن تحلم بها في السابق. إن مدونته التي يعنى بدراستها تمتد من الخطاب الفلسفي إلى الخطاب اليومي مرورا بالخطاب الأدبي والسياسي والديني والتاريخي والاجتماعي». [1].

وهنا ملاحظتان:

الملاحظة الأولى: أن ترجمة عنوان كتاب بيرلمان غير مستقرة؛ إذ تراوحت بين مصطلحين «البلاغة الجديدة - الخطابة الجديدة» وهو ما دفع أحد الباحثين إلى أن يتساءل «حول مدى صواب تسمية هذه النظرية: نظرية البلاغة الجديدة بدل تسميتها نظرية الخَطابية الجديدة»[2]. وهو ما يمكن القول به أيضا في الشق الأول، إذ ترجم: مقال في البرهان، ومصنف في الحجاج[3].

الملاحظة الأخرى: أن للكتاب عنوانين: مصنف في الحجاج - البلاغة الجديدة، **فهل العلاقة بين مصطلحي البلاغة والحجاج علاقة ترادف أم علاقة الجزء بالكل أم علاقة الكل بالجزء؟** وما الذي يمكن أن يترتب على هذا النعت، فالبلاغة /أو/ الخطابة الجديدة تعني بالضرورة أن يقابلها بلاغة /أو/ خطابة قديمة، وهو ما يتضح من العنوان الذي طرحه بيرلمان، فهو لم يقل مثل بارت إنه يقدم قراءة جديدة للبلاغة القديمة.

توقف بيرلمان طويلا أمام مشروع أرسطو - وهو ما سنوضحه لاحقا - في

(١) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م. ص١٠، وانظر أيضا ص٣٥٤ -٣٥٥

(٢) الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤م. ص ١٥٠

(٣) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، سابق.ص ٩٥،

الخطابة ، وأبدى ملاحظات إيجابية حول هذا المشروع، وهو ما دفعه إلى أن يبني عليه، وتوقف أيضا أمام بلاغة القرن التاسع عشر ، ورفض هذا المشروع، وهو ما يعني أن المجال الزمني الذي تشمله البلاغة القديمة، كما تصوره بيرلمان، يمتد ليشمل كل ما سبقه من بلاغات.

وهذا لا يمنع أنه نظر في هذا التراث الممتد، ولم يره بوصفه كتلة واحدة، لكنه توقف عند ما يعوق مشروعه فاستبعده، و قرأ ما رأى منه صالحا للاستمرار في سياقه المعرفي، فلم ينكر عليه عمله وفقا لشروط إنتاجه، لكنه عندما أراد أن يعيد إنتاج هذا العمل، أعاده وفقا للسياق المعرفي الجديد وشروط إنتاجه، وعلى هذا فليس هناك ما يمنع أن يطلق على كل هذا التراث الممتد بلاغة قديمة، ولا يحصرها فيما توقف عنده.

بناء على ذلك بدأ بيرلمان يؤسس لمصطلح البلاغة الجديدة، ويعرفه بأنه «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.... وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[(١)]؛أي إن «نقطة ارتكاز البلاغة الجديدة هي العقل (إذعان العقول) والكلام (تقنيات الخطاب)»[(٢)]اقتضى هذا المرتكز أولاً تخطي كل خطاب يمتلك حقيقة مطلقة أو بعبارة أخرى، لا يقع في دائرة الاحتمال؛ لأنه بالضرورة لا يحتاج إلى إذعان العقول لقبوله والتسليم بصحته، وهو ما يتحقق فيما يطلق عليه العلوم الحقة، وما دون ذلك يصح إخضاعه للتحليل؛ لأنه نسبي، ونسبيته تجعله يقع في دائرة

---

(١) نقلا عن: محمد سالم الأمين، ص١٠٧-١٠٨

(٢) عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م، ص٧٦

الحجاج وليس البرهان، ووفقا لبيرلمان تتميز البلاغة الجديدة عن البرهان بأنها: [1]

١ – تتوجه إلى مستمع.

٢ – يعبر عنها بلغة طبيعية.

٣ – لا تعدو مسلماتها أن تكون احتمالية.

٤ – لا يفتقر تناميها إلى ضرورة منطقية.

٥ – ليست ملزمة بنتائجها.

يرى ريبول أن هذا التمييز بين البرهاني و البلاغي، وخلو الأخير من الصرامة الشكلية التي تتمتع بها البرهنة، هو ما يطرح مشكل العلاقة بين البلاغة والحجاج؛ لذلك تساءل: **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟**

وقد أجاب ريبول عن تساؤله بالقول «كل حجاج هو حجاج بلاغي، وهو كذلك متفاوت، فيكون أكثر بلاغية ما كان شفويا مثلا، وأضيف بأن بلاغته راجعة إلى كونه موجها إلى الإنسان ككل، إلى الإنسان الذي يفكر ويتصرف ويحس»[2]. والتطابق بين الحجاج والبلاغة يرجع إلى أنهما منطلقان من «فكرة أن كل خطاب يسعى لتدعيم وضع ما أو تعيير آخر أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما، وأن كل تلك الخيارات لابد لها من أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطبون»[3].

ساعد بيرلمان على ذلك استبعاده المنطق الرياضي؛ لأنه «لما كان هدف

---

(١) أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، ضمن البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.. ص٢٢٠

(٢) أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي. ص٢٢٩

(٣) محمد سالم ولد الأمين .ص١٠٥

الحجاج/**البلاغة** هو التأثير في السامعة auditoire، فإنّ أول معيار يسمح بالحكم على أي خطاب هو فعاليته، لكن هذا المعيار غير كاف؛ لأنه لا يمكن إغفال نوعية السامعة التي يتوجه إليها الخطاب؛ لذلك يمكن التمييز بين خطابات رجل السياسة والمحامي والعالم، ورجل الدين، والفيلسوف، ليس من حيث الموضوع فقط، بل ومن حيث السامعة التي يتوجه إليها أيضا... لذلك فإن الخطأ الذي لا يمكن اغتفاره في الحجاج/ **البلاغة** هو المصادرة على المطلوب حيث تؤخذ الدعوى على أنها صالحة مع أنها ليست كذلك عند تصديق السامعة»[١].

ونقطة الانطلاق السابقة - للحجاج والبلاغة - ستؤدي إلى تطابق من جهة أخرى، مرجعه أنهما يهدفان إلى بيان البعد الوظيفي، وهي وظيفة تتباين بتباين النصوص في (إذعان العقول وتقنيات الخطاب)، ومدى تأثيرها في مجموع الذين يتوجه إليهم الخطاب، ومفهوم النص في ضوء البلاغة الجديدة المقترحة يتسع ليشمل المنطوق والمكتوب، ويشمل كذلك نصوص اللغة العليا - أعني لغة الأدب - وغيرها، ووفقًا لذلك درس الخطاب السياسي الشفاهي والمكتوب والمقال الفلسفي والمقال الصحفي والنثر الأدبي والشعر....إلخ. يترتب على ما سبق نتيجة مهمة مفادها:

أن البلاغة هنا ليست معيارية تتسق في نسق، لكنها وظيفية، ووظيفتها تختلف من نص إلى آخر، وهو ما يعني أن حدود المصطلح هنا ليست ثابتة؛ لأنها مرتبطة بالنص المدروس، وهو نص متغير، من ثمّ فإن وظيفة البلاغة هنا متغيرة.

في ضوء ما سبق ليس هناك ما يثير إشكالا في تطابق مصطلحي الخطابة والبلاغة الجديدة في توجه بيرلمان، والتساؤل: **ما الفارق بين هذين المصطلحين قديما؟**

يمكن القول إن بارت قدّم تصنيفا شاملا - موجزًا- عن ملامح البلاغة

(١) شايم بيرلمان، الحجاج، تقديم وترجمة محمد أسيداه، مجلة فكر ونقد، ع٨٣، المغرب،٢٠٠٦م. ص١٢٥

القديمة من القرن السابع قبل الميلاد إلى السادس بعده، و نتوقف هنا عند المرحلة الأرسطية التي انطلق منها بيرلمان، يقول بارت تحت عنوان **البلاغة والشعرية**: «كتب أرسطو مصنفين يتعلقان بوقائع الخطاب، لكن هذين المصنفين متمايزان: فالتقنية الشعرية تتناول فنا للاستحضار التخييلي، في الحالة الأولى: يتعلق الأمر بتقعيد تطور الخطاب، من فكرة إلى فكرة؛ أما في الحالة الثانية: فيتعلق الأمر بتقعيد تطور الأثر من صورة إلى صورة؛ إنهما بالنسبة إلى أرسطو، طريقان خصوصيان، تقنيتان، وإن تقابل هذين النسقين؛ أحدهما بلاغي، والآخر شعري، هو أساسا ما يحدد جوهر البلاغة الأرسطية»[1].

يشير هذا النص إلى أن ما اصطلح عليه بلاغة عند أرسطو، ليس إلا الجانب المختص بالخطابة Rhétorique، وهو ما شرحه أرسطو في كتاب يحمل هذا الاسم الخطابة، في مقابل الشعرية poétique، وهذا الجانب شرحه أرسطو في كتابه الشعر. وارتباط البلاغة بالخطابة عند اليونان برز قبل أرسطو عند السوفسطائيين الذين رأوا البلاغة وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير « فارتبط عندهم علم البلاغة بفن الخطابة ارتباطا وثيقا، وكان أكثر ما ينظر في تدوين قواعد البلاغة إلى الخطابة وشئونها ووسائل رقيها»[2].

وقد قسم أرسطو كتاب الخطابة إلى أقسام ثلاثة: القسم الأول بيّن فيه العلاقة بين الخطابة والجدل، وأبان عن البعد الوظيفي للخطابة بتعريفه لها بأنها «القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل»[3]، ووضح أنواع الخطابة وقسمها إلى ثلاثة: استشارية، واستدلالية، وقضائية. وجاء القسم الثاني من كتابه كاشفا عن العلاقات التي تربط الخطيب بالمستمع، وما

---

(١) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١١م. ص ٣١-٣٢

(٢) عباس ارحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩م. ص٢٢٣

(٣) نفسه. ص٢٣٤

يصاحب ذلك من انفعالات. أما القسم الثالث أو ما يعرف بقسم العبارة، فقد ناقش فيه الأسلوب في العمل الأدبي، وترتيب أجزاء الخطابة، ولم يفرق فيه بين الأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري، أو بعبارة أخرى ما قاله أرسطو في الخطابة يصلح مع الشعر دون تمييز [١].

والإشارة الأخيرة إلى التداخل بين الشعري والخطابي في الأسلوب لها أهميتها، إذ «يظل الأسلوب في كل معانيه غايته الإقناع عند أرسطو، إما بالمحاكاة الفنية في الشعر المسرحي والملحمي، وهي المحاكاة التي تقوم في مجال الفن بوظيفة الإقناع بالأقيسة في المنطق، وإما بالإقناع بالتعبير مباشرة في الخطابة وما يلتحق بها»[٢]. وهو ما يعني أن كتاب الخطابة - والقسم الثالث منه يتضمن قضايا الأسلوبين الخطابي والشعري - يمثل مفهوم البلاغة الأرسطية، وهي بلاغة تهدف إلى الإقناع، وهذا لا يمنع أن لهذه الخطابة تعريفًا ثانيًا له قيمته، عرف قديما بأنه «دراسة كيفية عمل الكلمات»[٣]، وهذه الكيفية أيضا وسيلة من وسائل الإقناع؛ أي إن هذه الخطابة / البلاغة تقع في دائرة النسبي، لكنها تختلف عن بلاغة بيرلمان من جهتين: [٤]

الأولى: نوع الجمهور الذي يقتصر عند أرسطو على الشخص الحاضر جسدا أمام الخطيب، أما بيرلمان فقد وسّع الدائرة لتشمل الحجاج بين شخصين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

الأخرى: نوع الخطاب، فهو منطوق عند أرسطو، أما بيرلمان فيشمل المنطوق والمكتوب معا، مع اهتمام بالأخير.

(١) انظر: ارحيلة. ص٢٣٢ وما بعدها، و محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث،، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م. ص٩٧ وما بعدها. و أوليفي روبول، أرسطو الخطابة والجدلية: القسم الأول، تعريب محمد النويري، مجلة علامات، السعودية، ج١٩ ،م٥، مارس ١٩٩٦م. ص ٢١٥-٢٢٨

(٢) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق. ص١١٦

(٣) ارحيلة، الأثر الأرسطي، مرجع سابق. ص٢٢٦

(٤) عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق.ص ٢١-٢٢

في ضوء ما سبق يمكن القول إن **البلاغة الأرسطية - الخطابة - ذات طابع معياري، صحيح أنها من العلوم الإنتاجية، ولم تصل إلى حقائق (مثل العلوم النظرية: الطبيعة وما وراء الطبيعة)، لكنها في الوقت نفسه، وضعت قواعد ثابتة**؛ لتحقق المنفعة للإنسان[١]. وقد صنّف رولان بارت هذه القواعد، وفقا لأنواع الخطاب في الخطاطة الآتية:[٢]

الأجناس	المستمعون	الغاية	الموضوع	الزمن	الاستدلال	المواضع المشتركة
الاستشاري	أعضاء مجلس	نصح / تحذير	مفيد/ ضار	مستقبل / ماض	الأمثلة	ممكن / مستحيل
القضائي	قضاة	اتهام / دفاع	عادل/ جائر	حاضر	القياسات الإضمارية	واقعي/ غير واقعي
الاحتفالي	مشاهدون /جمهور	مدح/ هجاء	جميل / قبيح	حاضر	مقارنات تعميمية	أكثر / أقل

يتسع مصطلح البلاغة قديما ليشمل التخييلي / الشعري والخطابي / الإقناعي، ولا يضيق الأخير عند أرسطو مقتصرا على الخطابة، لكنه يمتد في باب العبارة ليشمل الأسلوب الشعري والخطابي.

انتشر مصطلح الشعرية poétique، في مستوى المصطلح، واستقر، مع وجود ترجمات أخرى للكلمة نحو: البويطيقا، البويتيك، الإنشائية، أدبية الشعر [٣]، لكن الأمر كان أكثر صعوبة مع مصطلح البلاغة / الخطابة Rhétorique، ولم

(١) ارحيلة، الأثر الأرسطي، مرجع سابق. ص ١٦٩

(٢) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق.ص١٢١

(٣) لمناقشة القضايا المرتبطة بهذا المصطلح، ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م. ص ٢٨٢-٣٣١

ينل أي استقرار «وزاد من تعقيد أمره إعادة الصياغة حديثا لتدل على نظرية الإقناع تحت اسم البلاغة الجديدة، كما هو الحال عند بيرلمان ومدرسته. وبخلاف المترجمين والشراح القدماء الذين تنبهوا إلى أن ريطورية أرسطو لا تطابق مفهوم بلاغة ولا خطابة، فعربوا اللفظين حينا وتحدثوا عن الصناعة حينا فإن الدارسين المحدثين حسموا الأمر، وانزلقوا إلى جهات شتى، فمنهم من استعمل لفظ بلاغة بدون تقييد، ومنهم من استعمل لفظ خطابة، ومنهم من تردد بينهما»[1] والطريف حقا أن يمثّل العمري بنفسه، ويشير إلى تردده إذ استعمل عنوانا مركبا يقابل ريطورية أرسطو، عنون به كتابه « بلاغة الخطاب الإقناعي»، ثم ترجم كتاب بيرلمان مرة بالبلاغة الجديدة ومرة إمبراطورية البلاغة، ثم أخيرا استقر على مصطلح خطابية، لتكون سمات لفظ خطابية موازية لسمات لفظ شعرية [2]. وتبنت مجلة البلاغة وتحليل الخطاب المغربية هذا الاقتراح الأخير في دعوتها لضبط المصطلحات وتدقيق المفاهيم، ورأت في استخدام هذا المصطلح، ما يتوافق مع شروط وضع المصطلح، وأضافت أن هذه الصياغة «تجعلها تقابل شريكتها في علم البلاغة: الشعرية . وهو ما يزيل كثيرا من التداخل والخلط، ويضمن التمييز بين مصطلحات ثلاث: البلاغة والشعرية والخطابية... وأن ذلك التقابل بين مصطلحي خطابية وشعرية هو جواز مرور لهذا المصطلح، يمكّن من قبوله وتداوله، ما دام مصطلح شعرية قد تبوّأ مكانه وشاع استعماله»[3].

ويفضل محمد الولي ترجمتها إلى خطابة، حينما يكون المقصود بلاغة الحجاج، وترجمتها بلاغة حينما يكون المقصود بلاغة المحسنات، لكنه يرى،

---

(١) محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، مرجع سابق. ص ٤٣

(٢) نفسه.هامش ٢ ص٤٣.

(٣) النص في مجلة البلاغة وتحليل الخطاب باب مصطلحات ومفاهيم، عنوانه الخطابية والمستمع، ع ٢، ٢٠١٣م. ص١٦٣

أن هذين الاختيارين لا يكونان دائما سهلين [١]؛ أي إن الخلط يتم بين الخطابة ومصطلح البلاغة عند نعتها بـ (القديمة)، وهو ما ذهب إليه حمّادي صمّود في دراسته «بلاغة / Rhétorique في الخلفية المعرفية للمصطلح »؛ لذلك نبّه إلى أن» الحقل المعنوي لكلمة Rhétorique لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة بلاغة في السنن العربية، وإن كنا نضطر دائما ،عن خطأ أو عن صواب، إلى المطابقة في الترجمة بين الكلمتين»[٢]، وقد آثر ترجمة كتاب بيرلمان بـ(الخطابة الجديدة)، لكن بصفة عامة يمكن أن نرى ترادفًا بين مصطلحي البلاغة الجديدة والخطابة دون لبس في دلالة المصطلح، ويمكن التمثيل بمؤلّف عبدالله صولة في نظرية الحجاج فقد عنون القسم الأول بـ «مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة »وعنون القسم الثاني «البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج»، يقول صولة: «البلاغة الجديدة في العصر الحديث (بلاغات) كما يقول روبول. لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها برلمان وتيتكاه، هي هذه البلاغة الجديدة، كما ينص على ذلك عنوان كتابهما الفرعي مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة. وقولهما جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة، وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو) من ناحية والبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى»[٣].

يشير كلام صولة إلى اتساع مفهوم الخطابة الجديدة وهو ما يصلح معه أن يكون مرادفًا للبلاغة التي تشمل جنس الخطابة بمفهومها القديم، وتشمل جنس الشعر ذا البعد الحجاجي، في الوقت الذي قيّد فيه مصطلح البلاغة قديما بخطابة أرسطو، وبلاغة المحسنات في الأدب الأوروبي في القرن التاسع عشر؛ أي إن الخلط يتم بين الخطابة ومصطلح البلاغة عند نعتها بـ (القديمة).

(١) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط،٢٠٠٥م. ص١٩

(٢) حمادي صمود، من تجليات الخطاب، مكتبة المتنبي – سلسلة دروب، الدمام،٢٠١٢م. ص٨٨

(٣) عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، مرجع سابق. ص٧١

لكن استخدام مصطلح البلاغة الجديدة مقابل مصطلح البلاغة القديمة لا يتم بين بيرلمان وأرسطو فقط، إذ يستخدم بارت -كما سبق - مصطلح البلاغة القديمة، ويعلن أن « هذا القدم لا يعني أنه توجد اليوم بلاغة جديدة، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد: إن العالم مليء، وبشكل عجيب، بالبلاغة القديمة»[1]، وهو ما يعني بشكل أو بآخر وجود بلاغات متعاصرة قديمة وجديدة في آن، وليس هناك ما يمنع من إعادة قراءة البلاغة القديمة قراءة جديدة على مستوى المنهج في ضوء المعطيات الجديدة التي شهدت تقدما في مجال اللسانيات ونظرية الإعلام[2].

وحسب بارت ذهب بعض الباحثين إلى التنظير إلى البلاغة العربية القديمة من هذا المنظور، فمنها ما يصلح القول معه بلاغة جديدة، ومنها ما يصلح معه مصطلح بلاغة قديمة، ويمكن التمثيل هنا بدراسة عمر أوكان الموسومة بـ « مقدمة في البلاغة العربية القديمة»[3]، فقد وضع كتاب الروض المريع لابن البناء المراكشي ضمن البلاغة الجديدة لخروجه عن النسق المعياري عند السكاكي.

ويرى محمد الولي أن مقياس الجدة هو أن تحقق تحولا معرفيا قياسا إلى الفترات السابقة، وهو ما ينطبق على مشروع عبدالقاهر الجرجاني وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجني، ولا ينطبق هذا على مشروع أسامة بن منقذ، وبالجملة فليس هناك بلاغة جديدة عند العرب المعاصرين؛ لأنهم يعيشون عالة على المنجز الغربي[4].

ونخلص من هذا إلى نتيجة، وهي أن تناول مصطلح البلاغة الجديدة في الكتابة الغربية والعربية لا يسير في اتجاه واحد.

---

(١) رولان بارت، قراءة جديدة، سابق. ص١٦

(٢) نفسه. ص١٩٥

(٣) عمر أوكان، مقدمة في البلاغة العربية القديمة، مجلة فكر ونقد، ع٢٥، المغرب،٢٠٠م. ص١٣٠-١٣١

(٤) محمد الولي (حوار)، مسارات باحث في البلاغة والترجمة والأمازيغية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع٢،المغرب، ٢٠١٣م.. ص ١٣١-١٣٢

(٣)

أدى هذا الامتداد والتداخل بين مصطلحي البلاغة والخطابة قديما، واستدعاؤهما في التناول المعاصر إلى إفراز مصطلحات جديدة كثيرة التناول مع اختلاف في المدلولات؛ أعني مصطلح (البلاغة العامة)، وليس ببعيد عنه مصطلح (الأسلوب/ أو / البلاغة الحديثة)، ومصطلح (البلاغة المنحسرة). ويرى ميشيل مايير أن بلاغات القرن العشرين ناتجة عن بعث بلاغة أرسطو بوجوهها أو أنواع حججها.(١)

ظهر مصطلح البلاغة العامة Rhétorique Generale مع جماعة مو MU في مؤلّف يحمل هذا الاسم لمجموعة من الباحثين، وصفها بلانتان بأنها» بلاغة منحسرة تقصي الحجاج، وتندرج في سلالة بلاغة العبارة، وقد جددت دراسة الوجوه الأسلوبية بإدماجها في الإشكاليات اللسانية الحديثة»(٢)، وهذا النعت (المنحسرة)، يقيد مصطلح البلاغة؛ليشير إلى تناول قسم واحد من أقسام خطابة أرسطو أو بلاغته، أما ملامح هذه البلاغة العامة / البلاغة المنحسرة في هذا الكتاب المكون من مقدمة وقسمين: أحدهما لضبط أسس البلاغة، والثاني لوضع أسس البلاغة العامة، فتشمل مجموعة من الأفكار الأساسية:(٣)

١ - البلاغة التقليدية معطياتها غير متماسكة، هدفها الإقناع، وتتقاسمها نزعتان منطقية وجمالية.

٢ - بلاغة القرن التاسع عشر اقتصرت على وسائل التعبير دون وعي بفلسفة الجمال فتحجرت.

---

(١) نفسه. ص٧٤

(٢) كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م. ص٢٢

(٣) عبدالقادر المهيري، البلاغة العامة - تقديم الكتب، حوليات الجامعة التونسية ،ع٨، تونس،١٩٧١م . ص٢٠٧-٢٢١ . وانظر أيضا: أحمد بلبداوي، الكلام الشعري من الضرورة إلى البلاغة العامة، دار الأمان، الرباط،١٩٩٧م. ص ١٢٥-١٤١

٣ - أصحاب الأسلوبية نفروا من المقارنة بينهم وبين البلاغيين؛ لأن القيمة الجمالية عندهم ليست معيارية.

٤ - الأدب استعمال خاص للغة، وموضوع البلاغة العامة الأول هو وضع نظرية تفسر هذا الاستعمال في جميع الأشكال الأدبية.

٥ - من عيوب البلاغة القديمة عدم التبويب والتصنيف، وأهمها عدم تصنيف ما للغة من جوانب يمكن أن تكون لها وظائف بلاغية.

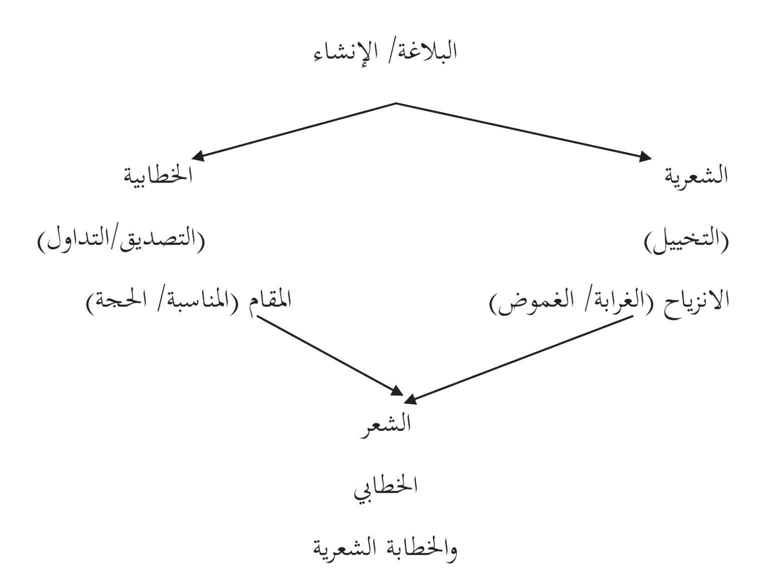
٦ - الأسلوب ليس خروجا عن الحد (انزياحا)، لكن هذه مرحلة في الإدراك تتبعها مرحلة أخرى يسعى فيها السامع إلى العودة إلى هذا الحد وإرجاع الأمور إلى أصولها.

٧ - البلاغة العامة تحليل للطرق الفنية، وتصلح لتناول كل فنون القول.

طبق فريق جماعة مو هذه الأفكار لكنهم سعوا إلى تعميمها على أشكال القول الأخرى، وهو ما أنتج نعت (العامة) للبلاغة. وحاول كثير من الباحثين الإفادة من هذا الدمج لكن بطريقة مخالفة لفكرة الانحسار/ الاختزال إذ اتجهوا إلى توسيع المنطقة المشتركة بين الشعري والخطابي « قصد توسيعها، وتهييئها لتكون موضوعا للبلاغة العامة. واستعمل بعضهم في التعبير عن هذه المنطقة نفس الكلمة التي استعملها ريكور في سياق الفصل وهي region»[1] أفاد ريبول من منطقة الاحتمال هذه، ورسم في ضوئها بلاغة عامة تجمع بين التخييلي والتداولي عموما. وهي الفكرة التي تجد لها رواجا في كتابات محمد العمري، وأحدثها دراسته الموسومة بـ «البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب»، إذ يحاول عبر نصوص أبي حيان التوحيدي أن يقيم حوار الرصد والتنظير في البلاغة العربية منتهيا إلى نتيجة مفادها أن نصوص التوحيدي تعبر عن «بلاغة عامة قادرة على استيعاب جميع البلاغات الخاصة، قادرة على

(١) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، سابق. ص٢١-٢٢

بيان فعالية الإنشاء نظما كان أم نثرا»[١]، ويخرج العمري خطاطة أولية لمشروع بلاغة عامة على النحو الآتي[٢] :



لكن لن يحقق هذا الدمج نتائجه المرجوة ما لم يتم الكشف عن الجانب الآخر لنظرية البلاغة عند العرب؛ أعني أن البلاغة العربية القديمة اهتمت بالجانب التخييلي،ونظّرت له، وصنفت ضمن البلاغات القديمة التي انحسرت في باب العبارة، من هنا كان مسعى العمري إلى بيان هذا الجانب التداولي الإقناعي في نصوص أبي حيان التوحيدي، والمدونة النقدية لا تعني الرغبة في إبراز الجانب التطبيقي، لكنها تعني الطموح للتنظير لبلاغة الخطاب في العربية، وهو اتجاه انشغل به باحثون آخرون، منهم حمّادي صمود الذي صاغه على هيئة تساؤل في دراستين:

(١) محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، مرجع سابق. ص٣٩

(٢) نفسه. ص ٤٢. وحول مشروع البلاغة العامة للعمري راجع أيضا: إدريس جبري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة، ضمن البلاغة والخطاب.ص٢٥٧ -٢٨٦

الأولى أتكون البلاغة في جوهرها حجاجا؟ ١٩٩٧م [١]، والثانية: البلاغة العربية - بلاغة وجوه أم بلاغة خطاب[٢]. وينطلق صمود أيضا فيهما من منطقة دائرة الاحتمال، ليرد نموذج الجاحظ، ويضع نصه في صلب تداولية الخطاب.

وفي غير هذا الاتجاه يقترح عمر أوكان أن يطلق مصطلح البلاغة العامة على ما يشير إلى البلاغة بمعناها العام بوصفها خطاب الخطابات أو مفتاح العلوم، وليس الجمع بين الشعري والخطابي فقط، وهو ما يتحقق في مشروع السكاكي الذي جمع - من وجهة نظر أوكان - بين مستويات الخطاب (الصوتي، التركيبي، الدلالي، التداولي) ، ولم يفصل بين بلاغة الإقناع التي يمثلها الجاحظ وبلاغة الإمتاع التي يمثلها ابن سنان الخفاجي، وهو ما يعني أن مشروع السكاكي اهتم بالجانب التداولي للغة الأدبية، لكنه تحول على يدي القزويني إلى بلاغة مختزلة[٣].

وهو ما يعني تباينا شديدا في استخدام مصطلح البلاغة العامة، ويشير إلى اجتهادات من الباحثين، وهي نتيجة تنطبق على كل ما مرّ من مصطلحات.

---

(١) نشرت في كتابه: من تجليات الخطاب، مرجع سابق. ص٧٥-٨٧

(٢) حمادي صمود، البلاغة العربية بلاغة وجوه أم بلاغة خطاب، حوليات الجامعة التونسية، ع٥٧، ٢٠١٢م ص ١٧-٣٤

(٣) عمر أوكان ، مقدمة في البلاغة العربية القديمة، مرجع سابق. ص١٢٩-١٣٠

قائمة المصادر والمراجع

١ – أحمد بلبداوي، الكلام الشعري من الضرورة إلى البلاغة العامة، دار الأمان، الرباط،١٩٩٧م.

٢ – الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤م.

٣ – إدريس جبري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة، ضمن البلاغة والخطاب إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤م.

٤ – أوليفي ريبول، أرسطو الخطابة والجدلية: القسم الأول، تعريب محمد النويري، مجلة علامات، السعودية، ج١٩،م٥، مارس ١٩٩٦م.

٥ – أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، ضمن البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م..

٦ – حمادي صمود، البلاغة العربية بلاغة وجوه أم بلاغة خطاب، حوليات الجامعة التونسية، ع٥٧، ٢٠١٢م.

٧ – حمادي صمود، من تجليات الخطاب، مكتبة المتنبي – سلسلة دروب، الدمام،٢٠١٢م.

٨ – رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١١م.

٩ – سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، ط٣،

١٩٦٤م.

١٠ – شايم بيرلمان، الحجاج، تقديم وترجمة محمد أسيداه، مجلة فكر ونقد، ع٣٨، المغرب،٢٠٠٦م.

١١ – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، منشورات دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٤م.

١٢ – عباس ارحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩م.

١٣ – عبدالقادر المهيري، البلاغة العامة – تقديم الكتب، حوليات الجامعة التونسية،،ع٨، تونس،١٩٧١م.

١٤ – عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م.

١٥ – عمر أوكان، مقدمة في البلاغة العربية القديمة، مجلة فكر ونقد، ع٢٥، المغرب،٢٠٠م.

١٦ – كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١٧ – ماري – كلود لوم، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة د. ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٢م.

١٨ – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.

١٩ – محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى

الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤م.

٢٠ - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م.

٢١ - محمد الولي (حوار)، مسارات باحث في البلاغة والترجمة والأمازيغية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع٢،المغرب، ٢٠١٣م.

٢٢ - محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠٠٨م.

٢٣ - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث،، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٤ - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.

المصطلح اللغوي
الإشكاليات ومعالجتها

إعداد الدكتور
علاء رمضان عبد الكريم أحمد
وحدة تعليم اللغة العربية
للناطقين بغيرها
١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

المقدمة

الحمد لله على نعمائه، والشكر له سبحانه وتعالي على وافر آلائه، وصلاته وسلامه على صفوة الصفوة من رسله وأنبيائه وعلى آله وصحبه وسائر أوليائه. وبعد:

فالمصطلحات مفاتيح العلوم وأدواتها التي لا غنى لباحث أو دارس عنها، لأنها حلقة الاتصال بين العلماء بعضهم ببعض، حيث تنقل ما توصلوا إليه من نتائج في بحوثهم إلى الدارسين من بعدهم، ولا تخرج المصطلحات اللغوية عن هذا الإطار، ولذلك يشغل المصطلح اللغوي قدراً كبيراً من اهتمام اللغويين والباحثين في الميادين اللغوية المختلفة، إذ يسعى العلماء إلى ترسيخه من أجل ضمان التواصل، وتقدم العلوم اللغوية وتطورها، ومن ثم جاء هذا الموضوع بعنوان « المصطلح اللغوي: الإشكاليات والحلول».

لأن دراسة المصطلحات - كما أشرنا آنفا - أمر ضروري في فروع العلوم المختلفة، وهي قضية مهمة تعترض سبيلنا عندما نحاول جعل لغتنا العربية صالحة للتعبير عن حاجات الحياة العصرية، وبخاصة في أيامنا هذه والتي كثرت فيها الأصوات الداعية إلى استخدام المصطلحات الأجنبية لغة للعلم، بدعوى أن

العربية قاصرة عن مجاراة التطور السريع في مجال العلوم المختلفة، وهي دعوى باطلة لا أصل لها، فلغتنا - التي وسعت كتاب الله لفظا وغاية - قادرة على تقديم المصطلح الملائم ومسايرة التقدم العلمي.

إن الاهتمام بالمصطلح بعامة واللغوي بخاصة من أعظم مهام اللغويين وأخطرها، لأن تقديم المصطلح العربي السليم يخلق لغة علمية سليمة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجنبنا - أو لنقل يجنب لغتنا - مخاطر الاقتراض الأجنبي.

حاول هذا البحث - على استحياء عظيم - الاقتراب من المصطلح اللغوي العربي، وقدم بعض الحلول لما قد يعترضه من مشكلات تعوقه عن مسايرة التقدم ورفد اللغة بألفاظ الحضارة المستجدة، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث فيما أرى.

يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك وفق الخطة التالية:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهجه ومحاوره.

المبحث الأول: وعنونته ب«المصطلح وعلم المصطلح»، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة كلمة «مصطلح»، ووضحت فيه الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة مصطلح، وذلك في فرعين هما:

الفرع الأول: الدلالة اللغوية.

الفرع الثاني: الدلالة الاصطلاحية

المطلب الثاني: علم المصطلح.

المبحث الثاني: وجاء بعنوان «المصطلح اللغوي»، وقسمته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة المصطلح اللغوي.

المطلب الثاني: بعض مشكلات المصطلح اللغوي.

المطلب الثالث: بعض المقترحات للنهوض بالمصطلح اللغوي.

الخاتمة: وضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المراجع:

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت لشيء نافع فهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

المصطلح وعلم المصطلح

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة كلمة «مصطلح».

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الدلالة اللغوية.

الفرع الثاني: الدلالة الاصطلاحية.

المطلب الثاني: علم المصطلح.

المطلب الأول: دلالة كلمة «مصطلح».

الفرع الأول: الدلالة اللغوية.

ترجع كلمة مصطلح إلى الجذر «ص- ل- ح»، وقد أشارت المعاجم اللغوية العربية القديمة[1] إلى دلالة هذه المادة بأنها تتضمن الإصلاح والتقويم فهي ضد الفساد، وهذا الجذر يستخدم منه كثير من المشتقات:

أ - فمن المشتقات الاسمية:

١ - صلح.

٢ - صالح.

٣ - صلاح.

٤ - إصلاح.

٥ - مصالحة.

٦ - مصلحة.

٧ - مصطلح.

ب - ومن المشتقات الفعلية:

١ - اصطلح.

٢ - صلح.

٣ - أصلح

---

(١) الصحاح ١/ ٣٨٣ - ٣٤٨، أساس البلاغة ٢٥٧، لسان العرب ٥/ ٣٧٤.

٤ - تصالح.

٥ - اصالح.

وهكذا تورد المعاجم اللغوية القديمة هذه المشتقات من الجذر «ص- ل- ح» دون تحديد معنى الفعل اصطلح، وهذه المشتقات جميعها تشير إلى معنى الاتفاق، ويبدو أن

هناك تقارباً في الدلالة بين المعنيين «فإصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم»[١].

وكلمة مصطلح على وزن «مفتعل» وهو مصدر ميمي من الفعل اصطلح بمعنى اتفق، وبهذا المعنى يتردد في فصيح الكلام «اصطلح القوم على كذا..» أي اتفقوا[٢].

أما دخول الطاء في الكلمة فعن طريق الإبدال من تاء الافتعال، إذا كانت فاؤه صاداً (ص) أو ضاداً (ض) أو ظاء (ظ) حيث تقلب تاء افتعل طاء[٣].

- مصطلح واصطلاح:

استخدم العرب القدماء كلمة اصطلاح في معنى كلمة مصطلح - والاصطلاح هو المصدر القياسي للفعل اصطلح - وتأييد ذلك ما شاع في كتبهم نحو قولهم «اصطلاح النحويين»، «في اصطلاح الفقهاء»، أو «اصطلاح» أو «في الاصطلاح» دون تعيين[٤] وقد استخدمت كلمات أخرى مرادفة لكلمة «مصطلح واصطلاح» وجرت معهما فى الاستعمال، مثل: أسماء وألفاظ وأوضاع وحدود

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٧

(٢) المعجم الوسيط ٥٢٠/١.

(٣) أوضح المسالك ٤٣٢/٤، الهمع ٤٣٧/٣.

(٤) العربية لغة العلوم والتقنية ١١٩ وما بعدها.

وكلمات[١]، وإن كان الباحثون المتأخرون والمحدثون يفضلون استخدام كلمتى مصطلح واصطلاح على الكلمات السابقة لأنها غير واضحة الدلالة على معنى المصطلح، ومن ثم فالقدماء لم يكونوا يفرقون بين كلمتي «المصطلح والاصطلاح» واستخدموهما بمعنى واحد تقريباً، «فالتهانوي(ت١١٥٨هـ)- من مؤلفي القرن الثاني عشر الهجري- صاحب كشاف اصطلاحات الفنون - وهو أكبر معجم للمصطلحات في الحضارة الإسلامية - يستخدم الكلمتين (مصطلح- اصطلاح) بمعنى واحد حيث يقول في مقدمته موضحاً أن سبب الحاجة إلى الأساتذة في دراسة العلوم والفنون هو: اشتباه الاصطلاحات، فإن لكل اصطلاحاً خاصاً به، ويقرر بموضع آخر «أنه توجه إلى ذخائر الحكمة الفلسفية والرياضية كالحساب والهندسة وغيرها واقتبس منها المصطلحات أوان المطالعة»[٢] دون أن يرى أي فرق بين الاستعمالين.

أما اللغويون المحدثون فربما فرقوا بين الكلمتين في الاستعمال، فالدكتور عبد الصبور شاهين يرى أن مفهوم كل منهما يختلف عن مفهوم الآخر في لغتنا المعاصرة «حيث يقول» نحن نتذوق في استعمالنا لكلمة اصطلاح معناها المصدري الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف، ونقصد في استعمالنا لكلمة مصطلح معناها الاسمي الذي يترجم كلمة Term الإنجليزية»، ولذلك فهو يرى أن تعبير:»اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث، أولى وأفضل من أن نقول: إن اصطلاحنا على اصطلاح، لما في الأخير من تكرار ركيك»[٣].

ولم ترد كلتا الكلمتين «مصطلح واصطلاح» في القرآن الكريم، على حين شاع

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٨ وما بعدها، ألفاظ الشهور العربية ٦٣.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٥/١.

(٣) العربية لغة العلوم والتقنية ١١٩، ويشير الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن «كلمة مصطلح Term تعني» اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة». (العربية لغة العلوم والتقنية ١٢١).

العديد من الألفاظ المشتقة من المادة (صلح) في القرآن الكريم[١]، والحديث الشريف[٢]، أما مشتقات الفعل «اصطلح» فلم ترد في القرآن الكريم، وإنما جاءت في الأحاديث الشريفة، مثل حديث: « لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة»[٣]، وحديث «أنظروا هذين حتى يصطلحا»..»[٤].. الخ، وهكذا تحددت دلالة اللفظة (مصطلح/ اصطلاح) في المعاجم اللغوية بمعنى الاتفاق. ثم تخصصت للدلالة على الكلمات المتفق على استخدامها في أحد المجالات للتعبير عن المفاهيم العلمية فيه.

الفرع الثاني: الدلالة الاصطلاحية.

الاصطلاح في العلم هو اتفاق جماعة من المتخصصين في مجال واحد على مدلول كلمة أو رقم أو إشارة أو مفهوم وهذا يحدث نتيجة تراكم معرفي وحضاري.

بعد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وتنوع علومها وكثرة مبتكراتها أخذ العديد من المصطلحات طريقه إلى الحياة العلمية، وقامت محاولات عديدة لحصر هذه المصطلحات وتوضيح حدودها ومجالاتها، ومن ثم تم تحديد مدلول كلمة مصطلح «لتدل على ألفاظ علمية متفق عليها عند علماء علم من العلوم أو فن من الفنون، لتؤدي وتعبر عن المفاهيم العلمية لذلك العلم أو التخصص بدقة ووضوح قدر الإمكان»[٥].

وقد وردت تعريفات عديدة لكلمة (مصطلح واصطلاح) قديماً وحديثاً على النحو التالي:

---

(١) وردت هذه المادة في القرآن الكريم على النحو التالي:
وردت مشتقات الاسم (١٥٠)مرة في القرآن الكريم، على حين جاء الفعل (٣٠) مرة، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ٤١٠– ٤١٢، معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/٦٧٦ – ٦٧٩.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٣/ ٣٣٤ – ٣٤٢.

(٣) صحيح مسلم ١٢ / ١٣٤.

(٤) صحيح مسلم ١٦ /١٠٠.

(٥) بناء مكنز عربي في مجال علم اللغة ١٨٧.

أولا- من تعريفات القدماء:

أ- عرف الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) الاصطلاح بقوله:«هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص»[١].

ب- أورد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) للاصطلاح خمسة تعريفات هي[٢]:

١ - الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

٢ - هو إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

٣ - الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع لفظ بإزاء المعنى.

٤ - هو إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى آخر لبيان المراد.

٥ - هو لفظ معين بين قوم معينين.

ج- وأورد الكفوي(ت ١٠٩٤هـ) له تعريفين هما[٣]:

١ - الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء.

٢ - هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

د- عرف التهانوي(١١٥٨هـ) الاصطلاح بقوله: «الاصطلاح العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها»[٤].

---

(١) تاج العروس ٢/١٨٣.

(٢) كتاب التعريفات ٢٨.

(٣) الكليات ١ / ٢٠١.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ٢١٧.

ومما سبق نستنبط الآتي:

١- ركز الجرجانى في التعريفين الأول والثالث على ضرورة الاتفاق على المصطلح، وهذا شرط أساسي من شروط المصطلح حيث يمكنه من أداء وظيفته وحسمه الخلاف في كثير من القضايا المختلفة، على حين أشارت تعريفاته الثلاثة الأخرى (٢، ٤، ٥) إلى انتقال اللفظ للدلالة على معنى جديد غير المعنى اللغوي، أو بمعنى آخر، انتقال الكلمة من العموم في الدلالة إلى الخصوصية فيها، لأن «المصطلح يختلف عن كلمات أخرى في اللغة العامة، نتيجة تغير دلالي يطرأ على الكلمة العامة، فيجعلها مصطلحاً ذا دلالة خاصة محددة»[١].

٢- يقترب كلام الكفوي والتهانوي - في مضمونه وألفاظه - مما قاله الجرجاني وهم متفقون على:

أ- ضرورة الاتفاق على المصطلح بين أصحاب التخصص الواحد واعتماده بينهم بهذه الصورة التي سيبقى عليها أثناء استخدامها.

ب- انتقال المصطلح من معناه اللغوى إلى معنى آخر، أو انتقال الكلمة من العموم في الدلالة إلى الخصوصية فيها[٢].

٣- لم يفرق التهانوي في تعريفه بين الاصطلاح والعرف الخاص حيث لا نستطيع إدراك الفرق بينهما من خلال تعريفه، ويرجع سبب ذلك إلى أن المعاجم اللغوية لم تفرق بينهما، وكان ينبغي بيان الفرق بينهما، حيث ينقسم العرف الخاص إلى عرف علمي وآخر غير علمي، ويفرق بينها بأن

---

(١) () الأسس اللغوية لعلم المصطلح٥٣.

(٢) ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين سببين لهذا التحول في دلالة اللفظ، أحدهما، يرجع إلى ظروف المجتمع، إما رغبة في الاحتفاظ بسر المهنة، أو خوفاً من سلطة المجتمع، وثانيهما: يرجع إلى اللغة في ذاتها، فألفاظ اللغة محدودة على حين إن المعاني غير محدودة، فلابد إذن من استخدام الألفاظ مرات عديدة للتعبير عن مختلف المعاني(العربية لغة العلوم والتقنية ١٢٥ وما بعدها).

ما يتفق عليه العرف غير العلمي كالعرف العشائري أو السياسي أو المدني يطلق عليه كلمة «عرف» وتجمع على «أعراف»، وما يتفق عليه العرف العلمي يطلق عليه «مصطلح» ويجمع على «مصطلحات»، كما أنه يطلق عليه (اصطلاح) ويراد به (مصطلح) ويجمع على (اصطلاحات).

ثانيا- من تعريفات المحدثين:

١ – تعريف الأمير مصطفى الشهابي بقوله: «الاصطلاح هو العرف الخاص.. والمصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية» [(١)].

٢ – تعريف الدكتور علي القاسمي بقوله: «المصطلح كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة أو كلمات متعددة وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما»[(٢)].

ركز الدكتور القاسمي في تعريفه على بنية المصطلح وذكر له نوعين هما:

أ – المصطلح الذي يتكون من كلمة واحدة (المصطلح البسيط).

ب – المصطلح الذي يتكون من كلمات متعددة (المصطلح المركب).

٣ – أورد الدكتور محمود فهمي حجازي تعريفين للمصطلح هما: أ– مصطلح كلمة أو مجموعة كلمات من لغة متخصصة (علمية) أو تقنية.. يوجد موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة»[(٣)].

وهذا التعريف أشار إلى أمور منها:

---

(١) ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج١٢، ١٩٦٠، ص٤.

(٢) مقدمة في علم المصطلح ٢١٥.

(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١١ وما بعدها.

١ - قد يكون المصطلح كلمة واحدة (بسيطاً) أو مجموعة كلمات (مركباً).

٢ - يعبر المصطلح عن المفاهيم والأشياء المادية فهو وسيلة للتعبير.

٣ - ذكر التعريف وسيلتين من وسائل وضع المصطلح وهما:

- الاقتراض من لغة أخرى.

- استخدام مصطلح موجود في اللغة الأم.

ب- «الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري»[(١)].

يفهم من هذا التعريف الذي أورده الدكتور حجازي واعتبره أفضل مقابل أوروبي لكلمة Term أنه يركز على شرطين مهمين هما:

١ - وضوح المصطلح: والدلالة الواضحة هي التي تميز المصطلح عن باقي الكلمات في اللغة العامة.

٢ - ورود المصطلح في سياق خاص بعلم محدد، وهذه نقطة مهمة ينبغي التركيز عليها في المصطلح وهي فهم المصطلح من خلال السياق الذي يرد فيه، وخاصة إذا كان أمامنا أكثر من مصطلح لمفهوم واحد، فربط المصطلح بالسياق الذي يجيء فيه يخفف من حدة مشكلة تعدد المصطلحات، كما أشار الدكتور حجازي إلى أمر مهم وهو أن الوسائل الصرفية المختلفة لتكوين المصطلحات «يمكن أن تعين بشكل ما على

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١١ وما بعدها.

تحديد معنى المصطلح، ولكنها ليست المنطلق الأول لتحديد الدلالة، فالمصطلحات العلمية تتحدد دلالاتها وعباراتها في إطار نظرية متكاملة، وهي لا تظهر إلا بوصفها عناصر مكملة للنظرية، ومن ثم فإن المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه، ولا يتحدد إلا في داخل النظام الذي يكونه ذلك التخصص»[١].

٤- المصطلح هو « الكلمة أو التعبير الذي يستخدم للإشارة إلى شيء معين، كالإشارة إلى مصطلح فني أو رسمي» [٢].

٥- المصطلح « كلمة أو عبارة تستخدم لتسمية شيء ما خصوصا تسمية شيء يتعلق بتخصص معين» [٣].

ولذلك نتفق مع الدكتور عبد الصبور شاهين في أن المصطلح هو: «اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم عملي أو علمي أو فني أو أي موضوع ذي دلالة خاصة»[٤].

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١٣.

(٢) Cambridge International Dictionary of English p, 1501

(٣) Oxford Advanced Learner's Dictionary p,1232

(٤) العربية لغة العلوم والتقنية ١١٨.

المطلب الثاني: علم المصطلح:

علم المصطلح من أحدث فروع علم اللغة التطبيقي، «وعلى الرغم من أهمية المصطلحات فإن العناية بها لم تتخذ صورة العلم الذي له أسسه وقواعده ونظمه التي يحتكم إليها إلا في وقت متأخر حين نشأ علم المصطلح على يد كل من Lotte وفوستر E. Wuster»[١].

«حدد فوستر مكان علم المصطلح بين أفرع المعرفة بأنه مجال يربط علم اللغة بالمنطق وبعلم الوجود الانطولوجيا.. وبفروع العلم المختلفة»[٢].

ويمكن التفريق في علم المصطلح- بناء على ما ذكره فوستر فيما نقله عنه دكتور حجازي – بين:

أولا – علم المصطلح العام: ويتناول طبيعة المفاهيم وخصائصها وطبيعة المصطلحات ومكوناتها واختصاراتها، وتوحيد المفاهيم والمصطلحات وغير ذلك من مجالات هذا العلم التي تتسع بتقدمه وهي قضايا منهجية عامة لا ترتبط بلغة مفردة أو بموضوع بعينه.

ثانيا – علم المصطلح الخاص: ويتناول قضايا منهجية خاصة بمصطلح لغة معينة مثل العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية[٣].

أما تعريفات هذا العلم (علم المصطلح) فمنها:

١- هو «العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها»[٤].

(١) ملاحظات حول ورقة عمل ندوة توحيد المصطلحات، مجلة اللسان العربي ع ٢٤ (د. ن) ١٩.
(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١٩.
(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١٩.
(٤) مقدمة في علم المصطلح ٥٠.

٢- هو «دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية»[١].

٣- هو «الدراسة النسقية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من التجربة الإنسانية»[٢].

٤- هو» دراسة نظام المفردات اللغوية المتعلقة بفن ما أو علم ما أو تجارة ما»[٣].

٥- هو « العلم الذي يدرس المصطلحات الفنية أو التعبيرات الخاصة التي تستخدم في حقل ما أو فن ما أو أي موضوع خاص» [٤].

يتبين من هذه التعريفات ما يلي:

١ - أنها ركزت على حقيقة مهمة وهي ضرورة تحديد المفاهيم تحديداً دقيقاً فعلم المصطلح «لا يصدر عن المصطلحات نفسها بوصفها واقعاً لغوياً ولكنه يصدر عن المفاهيم المحددة محاولاً إيجاد المصطلحات الدقيقة الدالة عليها»[٥].

٢ - أشار التعريف الثاني إلى علاقة علم المصطلح بالعلوم الأخرى، وإلى أن تطبيقات النظرية العامة لعلم المصطلح.. تتطلب بالضرورة تعاوناً وثيقاً مع كل فرع من فروع المعرفة.

٣ - أشارت التعريفات (٣،٤،٥) إلى نقطة مهمة وهي أن علم المصطلح يقنن المصطلحات في ضوء المفاهيم العلمية النابعة من طبيعة الموضوع نفسه.

---

(١) من قضايا المصطلح اللغوي١/ ١٩.

(٢) من قضايا المصطلح اللغوي١/ ١٩.

(٣) The American Heritage Dictionary of The English Language p,1328.

(٤) Webster's Third New International Dictionary of The English Language Unabridged p,2359.

(٥) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٤.

ويهدف علم المصطلح إلى «صياغة المبادئ التي تحكم وضع المصطلحات الجديدة وتوحيد المصطلحات القائمة فعلا، وتوثيق المصطلحات ونشرها في معاجم متخصصة»[1].

وتشير إحدى الباحثات إلى أن الوظيفة الأساسية لعلم المصطلح تتمثل في[2]:

١ - دراسة الأنظمة المفاهيمية والعلائق التي تربطها داخل حقل معرفي معين بهدف:

أ - الضبط الدقيق للمفاهيم والدلالات.

ب - إيجاد المقابلات الملائمة لها من حيث الشكل والمضمون مع مراعاة المقاييس اللغوية المتعارف عليها والمعمول بها.

وعلى هذا «فعلم المصطلح ذو منطلق تزامني، ومعنى هذا أنه لا يبحث تاريخ كل مفهوم أو مصطلح، بل يبحث الحالة المعاصرة لنظم المفاهيم ويحدد علاقاتها القائمة، ويبحث لها عن مصطلحات دالة مميزة»[3].

٢ - وضع نظرية منهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها وجمع المعطيات المصطلحية ومعالجتها وتوحيدها عند الحاجة.

والنقطة الأخيرة تشير إلى الوظيفة المعيارية لعلم المصطلح «ولهذا السبب فإن الجهود التي بذلت في مجال المصطلحات في بداية القرن العشرين كانت هادفة إلى توحيد المفاهيم والمصطلحات وأثمرت عدداً من معجمات المصطلحات المقننة والتسميات الموحدة»[4].

---

(١) من قضايا المصطلح اللغوي ١/ ٢٠.

(٢) علم المصطلحات وبنوك المعطيات، مجلة اللسان العربي، ع ٢٨، سنة ١٩٨٧م، ٨٥.

(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٥.

(٤) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٥.

يتناول علم المصطلح ثلاثة جوانب تتصل بالبحث العلمي وهي[١]:

أ - البحث في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة.

ب - البحث في المصطلحات اللغوية والعلاقات القائمة بينها ووسائل وضعها وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم.

ج - البحث في الطرق العامة لوضع اللغة العلمية، والتقنية بصرف النظر عن التطبيقات العملية في لغة طبيعية بذاتها.

---

(١) مقدمة في علم المصطلح ٧١ وما بعدها، وانظر: من قضايا المصطلح اللغوي ١/ ٢٠، مباحث في علم الدلالة والمصطلح ١٧٢.

المبحث الثاني

المصطلح اللغوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة المصطلح اللغوي.

المطلب الثاني: بعض مشكلات المصطلح اللغوي.

المطلب الثالث: بعض المقترحات للنهوض بالمصطلح اللغوي.

المطلب الأول: نشأة المصطلح اللغوي:

ارتبطت نشأة المصطلح اللغوي في اللغة العربية بمجيء الإسلام، حيث جدت ألفاظ كان العرب يعرفونها بمعان معينة في اللغة، فدل عليها بمعان أخرى، مما حدا بأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ) أن يؤلف كتاباً عن هذه الألفاظ التي تغيرت دلالتها بعد الإسلام عما كانت عليه قبله، وقد سماه «الزينة في الكلمات الإسلامية[١]».

وقد قامت الدراسات العربية -بعد الإسلام- بهدف خدمة القرآن الكريم حيث رأى المسلمون صون القرآن بالضبط حفاظاً على لغته. فقام أبو الأسود الدؤلي بوضع نقط الإعراب للقرآن، وكانت عبارته لكاتبه: «إذا رأيتني ضممت شفتي وفتحتها وكسرتها» هي الواضعة لمصطلحات الفتحة والضمة والكسرة[٢]. ومن ثم يمكن القول إن المصطلح اللغوي ظهر تحت عباءة الدراسات القرآنية.

في العصر العباسي الأول- العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية- تقدمت العلوم والفنون تقدماً هائلاً، واتصل العرب بغيرهم من الأمم، واطلعوا على ثقافاتهم ونقلوا بعضها إلى العربية، مما أدى إلى ظهور المعاجم التي تهتم بتحديد وحصر المصطلحات ومعانيها وحصرها وبخاصة في علوم اللغة.

ويتضح مما سبق أن جهود العرب اللغوية قديماً كانت عربية خالصة وكانت مصطلحاتهم نابعة من لغتهم وخاضعة لأساليبها في توليد المصطلحات.

أما في الدراسات اللغوية المعاصرة. فيشير الدكتور محمود فهمي حجازي إلى أن المصطلحات اللغوية بدأت متواضعة عند الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٢م) وذلك

---

(١) ألفاظ الشهور ٦٣، حيث تناول الدكتور أحمد عارف كثيرا من الألفاظ التي تغيرت دلالتها بعد الإسلام مثل الزكاة، الصلاة، ألفاظ الأيام، ألفاظ الشهور وبين أسباب هذا التغير ومظاهره.

(٢) المحكم في نقط المصحف١٢.

عندما حاول تعريف معاصريه بتعدد اللغات الأوروبية الحديثة والقديمة. وهنا ظهر عنده مصطلحا: اللغة واللسان[١].

وهنا- أيضاً- ظهرت مشكلة المصطلح العربي بصورة عامة والمصطلح اللغوي بخاصة. وذلك عندما بدأت البعثات العربية بالتوجه إلى الدول الأوروبية. وبدأ هؤلاء المبعوثون يفكرون في نقل المصطلحات الجديدة التي وجدوها في هذه اللغات من خلال إعداد كتب مترجمة ومؤلفة. «بدأت كلمات جديدة تتخذ دلالات اصطلاحية عند الطهطاوي ومعاصريه وأصبح عدد كبير منها من الرصيد الأساسي للمصطلحات اللغوية، منها كلمة قاموس، تحولت من اسم علم على أحد المعجمات فأصبحت كلمة عامة دالة على كل أفراد هذا النوع من المؤلفات اللغوية»[٢].

دخل المصطلح اللغوي مرحلة جديدة بإنشاء الجامعة الأهلية ١٩٠٨م، حيث حضر عدد من أعلام الدراسات اللغوية في أوروبا للتدريس فيها في مجال علوم اللغة واللغات السامية، ومنهم جويدي وبرجشتراسر G.Bergstrasser. ومن ثم وجدت مصطلحات جديدة تدل على مفاهيم يستخدمها الأوروبيون ومنها: مصطلح علم اللغة، ومصطلح علم اللغة التاريخي، ومصطلحات: علم الأصوات العمومي(العام)، والتغيرات الصوتية المطلقة والمقيدة وكلها مصطلحات جديدة في تركيبها ودلالتها الحديثة[٣].

وهؤلاء أفادوا من المصطلح التراثي فقد كان برحشتراسر مدركاً للفروق بين المصطلحات التراثية والحديثة ولم يكن يفيد من المصطلح التراثي إلا عند يقينه من مطابقة المفهوم الحديث للمفهوم التراثي. لهذا وجد من الضروري عند التعبير عن مصطلح Assimilation أن يضع مقابله مصطلح التشابه أو

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢١٧.

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢١٧.

(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢١٩.

التماثل.. وقد استقر عدد كبير من مصطلحات برجشتراسر في الاستخدام العربي الحديث[١].

وهكذا تكونت أكثر المصطلحات اللغوية في هذه الفترة بفضل جهود كثير من اللغويين الغربيين في جامعات المشرق والمغرب العربي وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكلها تعبر عن المفاهيم الأساسية للتحليل اللغوي.

المطلب الثاني: بعض إشكاليات المصطلح اللغوي

ليس اختيار المصطلح أمراً سهلاً، فاللغوي المصطلحي، قد يجد صعوبة بالغة في سبيل الوصول إلى المصطلح المناسب، ومن ثم واجهت المصطلحات عامة، والمصطلحات اللغوية خاصة العديد من المشكلات التي عاقت طريق نجاحها وحدت من فعاليتها واعترضت سبيل وضعها واختيارها وقدرتها على الوفاء بالمفاهيم التي تحملها أو تشير إليها. ركز الباحث هنا على المشكلات التي واجهت المصطلح اللغوي بصورة خاصة، فقد واجه المصطلح اللغوي في التراث عدداً من المشكلات، وسوف نركز الحديث على ثلاث مشكلات هي: عدم وضوح المفهوم، وعدم ذكر التعريف والتعددية.

أولا - عدم وضوح المفهوم:

وضوح المفهوم من أهم الشروط التي تركز عليها قضية المصطلحات، ويمثل عدم وضوحه عقبة في اختيار المصطلحات. برزت هذه القضية بشكل واضح في بدايات التأليف النحوي[٢]، حيث لم يكن للنحو قبل سيبويه مصطلحات مستقرة فقد كان سيبويه حين يعوزه اللفظ المناسب للمفهوم الذي يقصد إليه يضطر إلى وضعه بذكر خصائصه وتمييزه عما عداه يقول عما سمي فيما بعد التركيب المزجي: «هذا باب الشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم

---

(١) التطور النحوي ٢٩ وانظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح٢١٩.

(٢) من قضايا المصطلح اللغوي ١ /٨٣.

واحد»[1].

ويفهم من هذا الكلام أن المصطلحات إلى عهد سيبويه لم تكن مستقرة كما أن مفاهيمها لم تكن ثابتة، ومن ذلك - على سبيل المثال- أن سيبويه - رحمه الله- يعبر عن الاسم الذي يرتفع بعد دخول كان وأخواتها عليه باسم الفاعل في قوله: «الفعل الذي لم يتعد اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد»[2]، ولهذا المصطلح دلالة أخرى عنده تتضح من قوله: «هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منوناً، وذلك قولك: هذا ضارب زيد غداً»[3]، ويعبر عن مفهوم اسم الفاعل كما في العبارة الأخيرة بمصطلح الفعل في قوله: «هذا باب الصفة المشبه بالفاعل فيما عملت فيه، ولم تقو أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنما شبهت بالفاعل فيما عملت فيه»[4]، ومن ثم تلحظ الدراسة هذا التداخل بين مصطلحي الفاعل واسم الفاعل عنده، وهذا مناف لضرورة وضوح مفهوم المصطلح ودلالته على معناه من خلال اللفظ الذي وضع له لا من خلال غيره كالسياق مثلاً.

وهكذا يؤدى عدم وضوح المفهوم التراثي إلى لبس وغموض في فهم المقصود من عبارات القدماء، وربما كان ذلك داعياً إلى البحث عن مفهوم جديد والعدول عن المصطلح التراثي.

ثانيا - إغفال ذكر التعريف:

يشكل التعريف المدخل الأساس لتوضيح المصطلح وتحديد مفهومه الذي يتميز به عن غيره، ومن ثم يلجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف ليحدوا به المعرف

(١) الكتاب ٣/ ٢٩٦.

(٢) الكتاب ١/٤٥.

(٣) الكتاب ١/ ١٦٤.

(٤) الكتاب ١/١٩٤.

بحيث يكون جامعاً مانعاً، وليوفروا على القارئ عناء البحث عن مدلول المصطلح.

وقد عرفه التهانوي (ت١١٥٨هـ) بقوله: «هو الطريق الموصل إلى المطلوب التصوري ويسمى معرفاً (بكسر الراء المشددة)، وقولاً شارحاً أيضاً، ويسمى حداً عند الأصوليين وأهل العربية»[١].

وأشار إلى قسمين للتعريف [٢]:

الأول: التعريف الحقيقي، وهو الذي يقصد به تحصيل ما ليس بحاصل من التصورات.

الثاني: التعريف اللفظي، وهو الذي يشار به إلي صورة حاصلة وتعيينها من بين الصور الحاصلة ليعلم أن اللفظ المذكور موضوع بإزاء الصورة المشار إليها.
ويفهم من الكلام السابق أن التعريف مجموع الصفات التي تكون مفهوم الشيء وتفرق بينه وبين غيره، وهو بهذا المعنى يشكل أساساً من أسس المصطلحات، ومن ثم يجب على واضع المصطلح أن يقدم مصطلحه من خلال تعريفه ليوفر على القارئ عناء البحث عن مدلول المصطلح، كي يميز بينه وبين غيره من مصطلحات قد تشترك معه في الحقل الدلالي نفسه.

أشار أحد الباحثين إلى أن عدداً من المصطلحات اللغوية والنحوية التراثية- خاصة في بدايات العمل النحوي- قدمها أصحابها دون ذكر تعريف لها وذكر مثالاً لذلك ما أورده سيبويه تحت باب الفاعل حيث يقول: باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولا يتعدى فعله إلى مفعول آخر وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر ذلك العمل وما يجري من الصفات التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تجري مجرى الفعل المتعدي إلى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون٤/٢٧٣.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون٤/٢٧٣-٢٧٤.

مفعول مجراها»، حيث أشار إلى أن سيبويه في النص السابق قد ذكر مجموعة من المصطلحات مثل «الفاعل، المفعول، اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر، الصفة» دون أن يضع لها حداً أو تعريفاً، ويكتفي فقط بذكر الأمثلة وهذا هو حال عدد من المصطلحات عند العلماء[١].

ونرى أن عدم ذكر التعريف في بعض الحالات عند القدماء راجع إلى الأسباب التالية:

١ - وضوح التعريف في أذهانهم، ومن ثم كانت نظرتهم ضيقة حيث لم ينظروا إلى المسألة نظرة مستقبلية بأنهم إنما يكتبون لأجيال تأتي وسوف تحتاج إلى توضيح هذه المفاهيم.

٢ - لم يكلفوا أنفسهم بتوضيح المفاهيم التي تحملها هذه الألفاظ لأن جهودهم كانت متجهة إلى غاية أخرى هي البحث في أسرار اللغة، وتنظيم أمورها واختيار المصطلحات التي تقوم بنقل ما يريدون إيصاله والحديث عنه[٢].

ثالثا - التعدد:

تعني التعددية وضع أكثر من مصطلح مقابل المعنى الواحد، أو دلالة اللفظ الواحد على مصطلحات متعددة، وهذه المشكلة تظهر لنا في عدد من مصطلحات القدماء، فمن الألفاظ المترادفة للمفهوم الواحد مصطلحات: الجر والخفض، والمجاوز والمتعدي، والعطف والنسق، وغيرها.

والحق يقال إن هذه الظاهرة لم يكن لها تأثير كبير على تقدم العلم الذي وجدت فيه قديماً، فالاستعمال اليومي ثبت أحد هذه المصطلحات وألغى الآخر

---

(١) من قضايا المصطلح اللغوي ١ /٨٨.

(٢) من قضايا المصطلح اللغوي ١ /٤٣.

مثل «الحال والقطع»، والجاري والمتصرف بحيث شاع الحال، والمتصرف[١].

أما في عصرنا الحالي فالمشكلة من الخطورة بمكان بحيث تعيق تقدم علومنا، وذلك ظاهر من الاختلاف بين اللغويين حول تسمية موضع علم اللغة نفسه، فبعضهم يطلق عليه اللسانيات وآخر الألسنية وثالث اللسنية ورابع علم اللغة وخامس لانغوستيك وسادس لغويات[٢]، ويتضح ذلك أيضاً من المقابلات الكثيرة التى وضعت للمصطلح الأجنبي Phoneme وهي: فونيم، صوتم، صوت، فونيمية، صوتيم، صوت مجرد، صوتية، مستصوت، لافظ، ويفضل الدكتور أحمد مختار عمر[٣] استخدام مصطلح (فونيم) أما بقية المصطلحات السابقة فهي – من وجهة نظره – معيبة، لأحد الأسباب الآتية:

١- أنها توقع في اللبس.

٢- يصعب تعريفها.

٣- تعدد كلماتها.

٤- طابعها الفردي.

وإذا استخدم كل قطر عربي مصطلحات خاصة به هو وحده بحيث إذا استخدمناها في قطر آخر تبدو غريبة عليه، فهنا تكمن الخطورة، حيث يتكون لدينا لغات علمية إقليمية تنعدم معها أواصر التعاون العربي كما لن يتمكن أي قطر عربي من الإفادة من الكتب العلمية المؤلفة أو المترجمة في قطر آخر. ومن ثم تصبح وحدة العرب شيء شبه مستحيل[٤]، ومن ثم لا يجب أخذ قضية المصطلح اللغوي على أساس فري أو حزبي أو قطري.

---

(١) التعريب والتنمية اللغوية ٢٠٩.

(٢) التعريب والتنمية اللغوية ٢٠٦.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ١٦٥.

(٤) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ٥.

ويخفف من حدة المشكلة ما ذكره أحد الباحثين من أن «تعددية المصطلح ظاهرة لغوية عالمية ولسنا مع المستعرب الروسي كيفورك ميناجيان في زعمه أنها ظاهرة خاصة بالعربية وأنها ظاهرة فريدة يصعب علينا أن نجد أمثلة تشابهها في لغات أخرى.

أما أسباب التعدد فترجع إلى:

١ - تعدد الجهات الواضعة للمصطلح:

حيث تسهم جهات كثيرة في وضع المصطلحات من مجامع وجامعات ومنظمات عربية وأفراد. من الطبيعي أن يختلف العاملون في هذه الجهات في قدراتهم اللغوية، وخبراتهم وفهمهم لمضمون المصطلح، خاصة إذا لم يكن هناك من يقوم بالتنسيق بين هذه الجهود[١]، حيث يتبنى كل مجمع أو هيئة طرق أو وسائل معينة لوضع المصطلح ومن ذلك ما أشار إليه أحمد مختار عمر من أن مجمع القاهرة بعد تحديده لطرق الوضع «يعطي أفضلية لوسيلتين هما: اللفظ العربي على المعرب إلا إذا اشتهر المعرب، والمصطلح العربي القديم على الجديد إلا إذا شاع الجديد ويعد من باب الضرورة العلمية الالتجاء إلى الوسيلتين الآتيتين:

أ- إدخال ألفاظ أعجمية على طريقة العرب في تعريبهم.

ب- واللجوء إلى النحت[٢].

على حين نرى المجمع العراقي شديد التعصب للفظ العربي حتى وإن جعله

---

(١) أشار أحد الباحثين إلى وجود نقص في التنسيق والتعاون بين مختلف المؤسسات العربية المهتمة بصياغة المصطلح، وأرجع ذلك إلى الاختلافات السياسية والتاريخية والجغرافية واللغوية الموجودة بين هذه الدول، فضلا عن الضغوط التي تمارسها الأنظمة السياسية على أية مبادرة في هذا الاتجاه، أما فيما يتعلق بمبادرات التعاون بين الجامعات والمؤسسات الأكاديمية والمدارس العليا ومراكز البحث فإن هذه المبادرات ليس لها مكان على أرض الواقع Language in Globalizing World p,255-257.

(٢) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ٦، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٣٧ وما بعدها.

ذلك يختار اللفظ الغامض ويفضله على الواضح. كإطلاقه لفظ الجابية على الخزان والإرقال على السرعة[١]، وواضح مما سبق ما قد يصيب المصطلح العربي من اضطراب، ينتج عن عدم الانضباط من ناحية، والارتجالية في صياغته من ناحية ثانية.

ومن ثم يجب الاتفاق المصطلح على المصطلح لأنه قائم على الاتفاق أو الاصطلاح بين المشتغلين باللغة وعلومها.

أما بالنسبة للأفراد: فهناك نخبة من اللغويين العرب يشاركون بجهودهم في صوغ المصطلح اللغوي ولهم في هذا المجال جهود مشكورة ولكن اختلاف مشارب هؤلاء الأفراد.. وميل معظمهم إلى الفردية كان سبباً في تعددية المصطلح حيث كان لكل منهم مصطلحاته الخاصة به.

فلغوي مثل عبد القادر الفهري يستخدم مصطلح التأسيم في مقابل nomi-nalisation والتبئير في مقابل Focalisation والموضعة في مقابل Topicalisation وهي مصطلحات خاصة وغير مألوفة في علم اللغة، بينما نجد لغوي آخر هو محمد رشاد الحمزاوي يستخدم أكثر من مقابل للمصطلح الأجنبي فكلمة ac-cent يقابلها بالنبر والنبرة والضغط وكلمة bilabial يقابلها بـ «شفوي» «وشفتاني» و «بين الشفتين»[٢].

ومن الكلام السابق يتضح الاضطراب في المصطلح حتى عند الفرد الواحد في بعض الأحيان.. وأن تعصب كل فرد لمصطلحه سبب من أسباب التعددية.

٢ - اضطراب المصطلح في لغة الأصل:

ومعناه أن يكون المصطلح في لغته الأصلية غير واضح أو غير دقيق، ومن ثم

(١) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ١٤.

(٢) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ١٠ وما بعدها.

تنتقل هذه الإشكالية إلى العربية والمثال على ذلك المصطلحان الإنجليزيان pho-netics، phonology حيث توجد لهما تغيرات عديدة ذكرها دكتور أحمد مختار عمر، يمكن عرضها فيما يأتي:

أ - استعمل دي سوسير اللفظ phonetics للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات عبر السنين وحدد مجال phonology بدراسة العملية الميكانيكية للنطق وعده من أجل ذلك علماً مساعداً للألسنية.

ب - استخدمت مدرسة براغ مصطلح phonology في عكس ما استعمله دي سوسير.

ج - استعملت الألسنية الأمريكية مصطلح فونولوجي لعشرات السنين في معنى تاريخ الأصوات، أما (فوناتكس) فقد استعمل في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها وقد انتقل هذا الخلاف في مفهوم المصطلحين إلى العربية، فاستعملها اللغويون كل حسب دراسته ومدرسته اللغوية، فمنهم من أبقى المصطلح (فوناتكس) وعربه إلى (فوناتيك) ومنهم من عبر عنه بالمصطلح «الصوتيات أو علم الأصوات أو علم الأصوات اللغوية أو علم الأصوات العام» وحدث الشيء نفسه مع المصطلح (فونولوجي) فمنهم من أبقاه وعربه (فونولوجيا) ومنهم من عبر عنه بالمصطلح (علم الفونيمات) أو علم الأصوات، أو علم التشكيل الصوتي أو الصوتيمية»[١].

وفي هذا الصدد يشير عبد القادر الفهري إلى ضرورة مراعاة الحقل الدلالي والسياق الذي يرد فيه اللفظ ويقترح «معاينة الحقول الدلالية في كل من اللغتين، وإقامة ما يمكن إقامته من مناسبات، وفرز ما ليس له مقابل في اللغة الهدف

(١) دراسة الصوت اللغوي ٦٥ -٦٧.

(المنقول إليها) ويحتاج إلى الوضع والتوليد، ولعل في استقراء الحقول الدلالية في كل من اللغتين ما يجعلنا نتلافى اضطراب الترجمة وفوضى الاصطلاح»[١].

فالفهري يقترح حلاً يرتكز على دعامتين هما:

١ - مراعاة الحقول الدلالية بين اللغتين (المنقول منها والمنقول إليها).

٢ - مراعاة أن المصطلح الواحد قد يختلف مدلوله من مدرسة لسانية إلى أخرى.

المطلب الثالث: بعض المقترحات للنهوض بالمصطلح اللغوي(معالجة المشكلات):

عرضنا فيما سبق للعقبات التي تعوق المصطلح العربي بعامة واللغوي بخاصة وتعترض طريق تقدمه وتطوره لمسايرة التقدم الذي يشهده هذا العصر. ونعرض في السطور القادمة طرق النهوض بالمصطلح اللغوي بصورة خاصة، ونتفق مع أحمد مختار عمر على أن النهوض بالمصطلح اللغوي لا يتم إلا باتباع الخطوات الآتية[٢]:

أولاً- إنشاء مركز للمصطلحات اللغوية: على أن يتوفر فيه الشروط التالية:

١ - أن يكون مزوداً بأحدث الأجهزة التي تساعد على التخزين والتصنيف والاستدعاء.

٢ - أن يتبعه فريق عمل يجيد كل عضو فيه إحدى اللغات الأوروبية إلى جانب العربية.

---

(١) اللسانيات واللغة العربية ٢٣٠.

(٢) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ٢٠ وما بعدها.

ويكون من مهام المركز عمل الآتي:

١ - إجراء مسح شامل للمصطلحات اللغوية في العصر الحديث في اللغات الأربع: العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية مع ضرورة تعيين مفهوم كل مصطلح وتحديده تحديداً دقيقاً وتتم عملية المسح عن طريق:

أ - المؤلفات، من خلال قوائم المصطلحات الملحقة بها.

ب - معاجم المصطلحات والموسومات الألسنية.

٢ - إجراء مسح للمصطلحات اللغوية التراثية في الفكر اللغوي العربي وتحديد مفاهيمها، وترتيب هذه المصطلحات هجائياً أو طبقاً لمجالاتها الموضوعية حتى يسهل الرجوع إليها عند وضع مقابل عربي للمصطلح الأجنبي.

٣ - إعداد معاجم متنوعة للمصطلحات اللغوية تقوم على منهج واضح وبتعاون جميع اللغويين، بحيث يتوفر عندنا المعاجم الآتية:

- المعاجم أحادية اللغة التي تجمع بين المصطلح العربي وتعريفه.

- المعاجم متعددة اللغات: ثنائية أو ثلاثية وهي نوعان:

أ - النوع الأول: يبدأ بالمصطلح الأجنبي ويضع في مقابله مصطلح عربي واحد يختاره اللغويون بناء على منهجية المعجم ومن بين المفاهيم والمصطلحات التي ثبتت واستقرت. وهذا النوع يكون بمثابة المرشد أو الدستور لجميع المؤلفين في علم اللغة.

ب - النوع الثاني: يبدأ بالمصطلح الأجنبي ولكنه لا يكتفي بوضع مصطلح عربي واحد مقابله، ولكنه يضع مقابله كل ما ورد في مؤلفات اللغويين من مقابلات. وهذا النوع يكون بمثابة الدليل للقراء الذين قد يصادفهم في قراءاتهم مصطلحات متعددة ولا يدركون مفهومها.

ثانيا- فرز المصطلحات التي يتم إدراجها في المعجم بحيث تبقى المصطلحات التي تتوفر فيها الشروط الآتية:

١ - ألا يكون للمصطلح معنى آخر في ميدان علم اللغة بمعنى ألا يكون من المشترك اللفظي.

٢ - أن يكون المصطلح قليل الحروف سهل النطق به.

٣ - أن يكون المصطلح سهل التصريف، طيعا في التوليد والاشتقاق.

٤ - وجود مناسبة أو صلة بينه وبين المدلول اللغوي التراثي، وإلا فيتم توليده بأحد الطرق الآتية بالترتيب: الاشتقاق- المجاز- النحت- التعريب.

٥ - الألفاظ غير العربية يبدأ منها بما عرب ووافق شكله الصيغة العربية.

ثالثاً- فرز المصطلحات المترادفة في المعجم وفق المعايير التالية:

١ - درجة شيوع المصطلح بين المستعملين له من المتخصصين ويتم ذلك عن طريق الإحصاء وترتيب الألفاظ حسب شيوع استعمالها ترتيباً تنازلياً.

٢ - توفر الحافز على اختيار المصطلح، إما لصيغته البسيطة أو لتركيبه الصرفي الواضح أو لعدم غرابته أو لموافقته لأنماط التجمعات الصوتية العربية.

٣ - ملاءمة المصطلح حيث يفضل ما قلت ميادين استعماله على ما توزع على ميادين كثيرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن مدى شيوع المصطلح وتقبله بين أهل التخصص الواحد هو أهم هذه المعايير كلها لقياس نجاحه.

الخاتمة :

وبعد فقد تناول هذا البحث المصطلح اللغوي وبعض المشكلات التي تعترضه، واستطاع أن يقدم مجموعة من الحلول التي تثرى المصطلحية وتحاول معالجة بعض المشكلات التي تعوق تقدمها، ومن خلال من سبق - بالإضافة إلى ما ورد ذكره من تعليقات واستنتاجات في ثنايا البحث- توصلنا إلى النتائج التالية:

١ - استخدم المتقدمون كلمتي «مصطلح واصطلاح بمعنى واحد ولم يفرقوا بينهما، كما استخدموا ألفاظا أخرى في معناهما مثل: أسماء، وألفاظ، وأوضاع، وحدود، وكلمات، وأكثر هذه الكلمات استخداماً عندهم هي كلمة اصطلاح.

٢ - فرق المحدثون في الاستعمال بين كلمتي مصطلح واصطلاح.

٣ - اتفق القدماء والمحدثون على أن الاصطلاح هو الاتفاق على شيء مخصوص واتخذه العلماء للتعبير عن معنى من المعاني العلمية، كما اتفقوا على ضرورة انتقال المصطلح من المعنى اللغوي (أصل الوضع) إلى المعنى المجازى أو الاصطلاحي.

٤ - إن علم المصطلح من أحدث فروع علم اللغة التطبيقي، وبرزت نظرية علم المصطلح التي يتوقع أن تجد لها تطبيقات جدية في المؤسسات والهيئات اللغوية والعلمية في الوطن العربي.

٥ - ارتبطت نشأة المصطلح اللغوي العربي بمجيء الإسلام، حيث قامت هذه الدراسات لخدمة القرآن الكريم.

٦ - تعددت وسائل وضع المصطلح في الوطن العربي وهى مشكلة لا مفر منها، وذلك لأسباب عديدة منها.

أ- تعدد اللغات الأجنبية التي تستقى منها العربية مصطلحاتها.

ب- تعدد الجهات التي تتولى عملية الوضع «أفراد أو مؤسسات».

ج- تعدد المنهجيات المتبعة في وضع المصطلح اللغوي واختياره.

وأخيرا نوصي بضرورة الاهتمام بدراسة المصطلحات بعامة واللغوية بخاصة، من أجل عمل معجم تاريخي للغة العربية، وبيان مدى التطور الدلالي لهذه المصطلحات، وأن لغتنا قادرة على مسايرة الجديد في لغة العلم.

مراجع البحث

أولا- المراجع العربية:

١- **أحمد عارف حجازي**، ألفاظ الشهور العربية دراسة دلالية، دار (أبو هلال)، المنيا، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢- **أحمد مختار عمر**، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د. ت).

٣- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٤- **التهانوي، محمد علي**، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥- **الجرجاني**، على بن محمد الشريف التعريفات ، مكتبة بيروت ، لبنان ، ط ١٩٩٠م.

٦- **الجوهري**، تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م .

٧- **حامد صادق قنيبي** ، مباحث في علم الدلالة والمصطلح ، دار ابن الجوزي ، عمان الأردن ، ط١ ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م .

٨- **الداني**، المحكم في نقط المصحف، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٠م.

٩- **الزبيدي**، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج١، تحقيق: عبد الستارأحمد فرج ، ط٣، وزارة الإعلام ، الكويت ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

١٠- **الزمخشري**، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت. (د. ت).

١١- **سيبويه**، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٢- **السيوطي**، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

١٣- **عبد الصبور شاهين**، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٤- **عبد القادر الفارسي الفهري**، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ٣، ١٩٩٣م.

١٥- **علي القاسمي**، مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م

١٦- **الكفوي، الكليات** (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أعده للطبع وصنع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

١٧- **محمد فتحي فهمي محمود**، بناء مكنز عربي في مجال علم اللغة (المنهج والتطبيق) ،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م .

١٨- **محمد فؤاد عبد الباقي**، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة جمال للنشر، بيروت، لبنان، (د. ت).

١٩- **محمود فهمي حجازي**، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، القاهرة، (د.ت).

٢٠- **مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١- **مصطفى طاهر الحيادرة**، من قضايا المصطلح اللغوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢- **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٣- **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية**، القاهرة،ط٢، (د،ت).

٢٤- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥- **ممدوح محمد خسارة**، التعريب والتنمية اللغوية، مطبعة الأهالي، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٤م.

٢٦- **ونسنك**، أ.ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٨م.

ثانيا : الدوريات :

١- **أحمد شفيق الخطيب**، ملاحظات حول ورقة عمل ندوة توحيد المصطلحات، مجلة اللسان العربي، ع(٢٤).

٢- **أحمد مختار عمر**، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، مج (٢٠)، ع (٣)، ١٩٨٩م.

٣- **ليلى المسعودي**، علم المصطلحات وبنوك المعطيات، مجلة اللسان العربي، ع (٢٨)، ١٩٨٧م.

٤- ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج١٢، ١٩٦٠م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1- Cambridge International Dictionary of English Paul Procter(ed.), Cambridge University press, Britain , 1999.

2 - Language in A globalizing World , Jacques Mauris and Michael A.Morris, Cambridge University press, Britain ,2003.

3 - Oxford Advanced Learner’s Dictionary , Jonathan Crowther(ed.), Oxford University press, Britain ,1995.

4 - The American Heritage Dictionary of The English Language . William Morris (ed.), et.al., American Heritage Publishing co .& Houghton Mifflin co., U.S.A., 1971.

5 - Webster’s Third New International Dictionary of The English Language Unabridged . v□, Encyclopaedia Britannica, U.S.A, 1993.


الفهرس

الأبحـــاث:

المصطلح: بين المفهوم، والمقتضى

- د / حسن فهد الهويمل

إشكالات تلقي المصطلح في المدوّنة النقدية العربية بين اللسانيات والبنيوية

- د / سعيد شوقي سليمان

الحجاج بين بلاغتين: دراسة في المصطلح

- د / السيد عبدالسميع حسونة

تعدد المصطلح النحوي ومحاولات نقده في العصر الحديث

- د / سليمان يوسف خاطر

أزمة المصطلح اللساني في العربية: «لسانيات النص»

- د / أحمد عبدالرحمن حسانين

ما لا يسع المحقق جهله من مصطلحات التحقيق ورموزه

- د / عمار أمين الدّدّو

أثر الترجمة في اختلاف المصطلحات في العربية

- د / سالم عبيد القرارعة
- د / محمد عبد القادر عبد الله أحمد

نعوت البلاغة، دراسةٌ في المصطلح

- د / إبراهيم عبدالعزيز زيد

المصطلح اللغوي: الإشكاليات ومعالجتها

- د / علاء رمضان عبد الكريم أحمد



المملكة العربية السعودية
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
هاتف: 2581082 11 966+ فاكس: 2581069 11 966+
ص.ب 12500 الرياض 11473

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٦٤٠-٨-٤